

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة 8 ماي 1945 قالمة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ



عنوان المذكرة :

نقد الأثر والرواية التاريخية بين مناهج المحدثين ومناهج المؤرخين

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ وحضارة المشرق الإسلامي

إشراف الأستاذ :

د . رابح ولاد ضياف

إعداد الطالب :

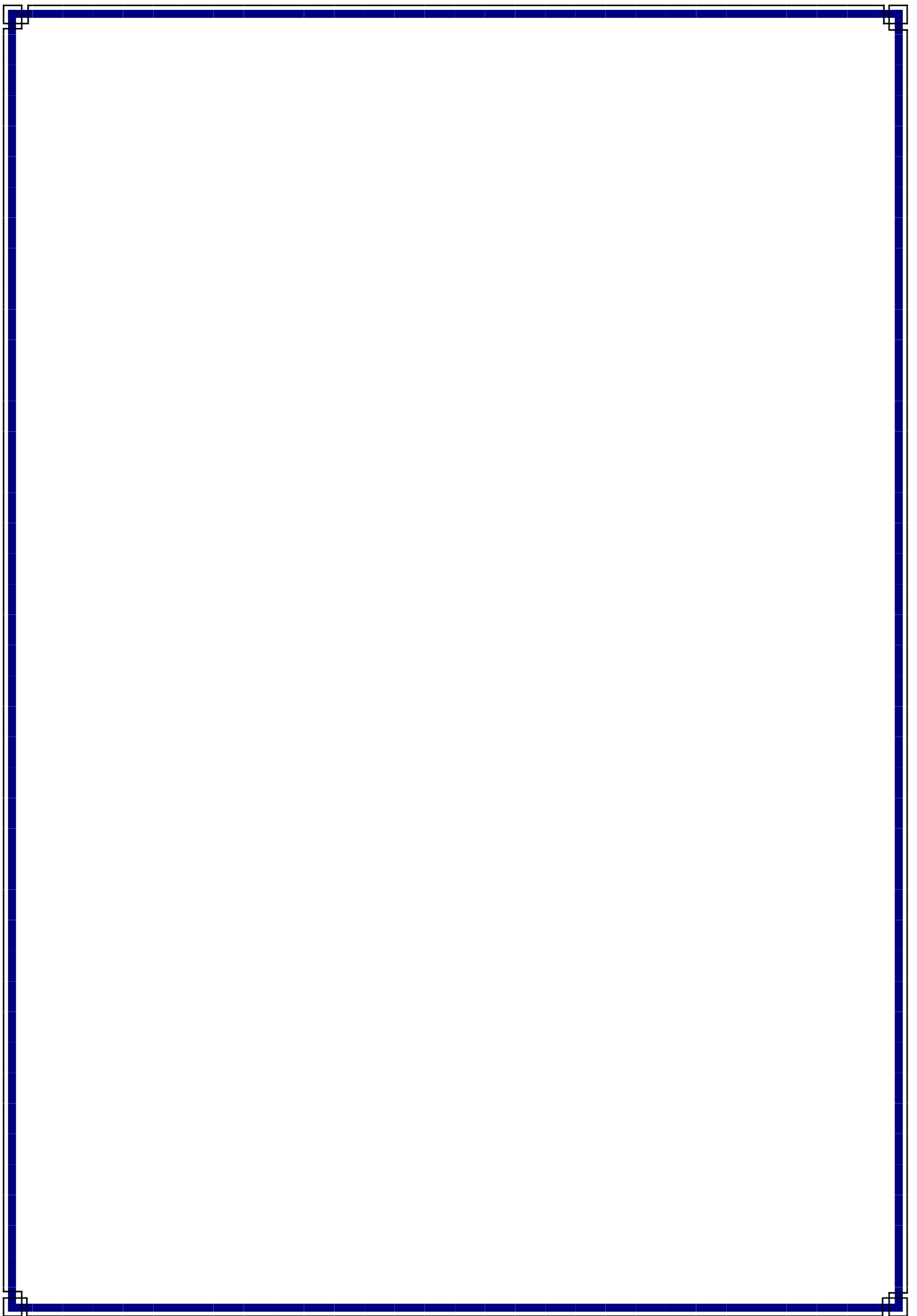
بولبدة حسين

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة
أ.د بن مارس كمال	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	8 ماي 1945 قالمة
د. رابح ولاد ضياف	أستاذ محاضر "ب"	مشرفا ومقررا	8 ماي 1945 قالمة
د. مباركية عبد القادر	أستاذ مساعد "أ"	عضوا مناقشا	8 ماي 1945 قالمة

السنة الجامعية

1440-1441هـ / 2019-2020م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ

فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾

شكرتكم

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَشْكُرُ اللَّهُ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ»
عملا بقول النبي العدنان أتقدم بجزيل الشكر والعرفان وأسمى عبارات الحب و الامتنان إلى من
شرفني بالتلمذ على يديه فمن أي أبواب الثناء سندخل وبأي أبيات القصيد نعبر وفي كل لمسة
من جودكم وأكفكم للمكرمات أسطر ،كنتم كسحابة معطاءة سقت أرض الجهل فاخضرت بنور العلم

د . رابع ولاد ضياف

تركنا جزاءكم لله وحده أستاذي الفاضل

فجزاكم الله عنا أفضل ما جزى العاملين وبارك لكم وأسعدكم في الدارين سعادة لا يخالطها كدر .

كما لا يفوتني الثناء والتقدير والاحترام **للأستاذ الدكتور بن مارس كمال** أطال الله عمره بالخير
وكساه لباس العافية لما أفادنا بخبرته الطويلة ونصائحه الثمينة الغالية فجزاه الله عنا خير الجزاء
زاده رفعة وأنفة وبارك له في أهله وماله وولده .

ونتوجه بخالص وأسمى عبارات الامتنان والتقدير **للدكتور مباركية عبد القادر** على جهده
الطيب في هذا المسار الأكاديمي ،وتوجيهه لنا بما ينفعنا من العلم والمعرفة والنصيحة الأخوية
شاكرين له تواضعه وابتسامته التي لا تغادر محياه .

كما أن الشكر موصول لكافة قسم التاريخ بأساتذته وكوادره الإدارية و طلبته الأعضاء .

إِهْدَاء

قال الله تعالى :

﴿وَإِخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾

اللهم ارحم أبي واغفر له و اعف عنه ، واشفي أمي وبارك في عمرها وارزقني برها ورضاهها إلى قرة العين زوجتي الغالية " أم أنس " ، و إلى إخوتي وأخواتي أدام الله عزهم وإلى ابنتي الهادئة " إيلاف " وابني الشهم " أنس " ، وإلى جميع الأهل و الأقارب ، و الخلان جميعا وأخص سفيان ، زاكي ، وإبراهيم ، و إلى عمي علاوة حفظه الله وبارك في عمره ، و إلى كل من غفل اللسان عن ذكره ، جزاكم الله عني خيرا وبارك لكم وفيكم واسأل الرحمان أن يجعل هذا العمل المتواضع في ميزانكم وذخرا لكم عند ربكم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المقدمة

المقدمة

الحمد لله القائل في محكم كتابه: " لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ"¹

والحمد لله الذي أنزل على رسوله في محكم تنزيله عز وجل: " وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ "² .

اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه المدينة مستقراً ومقاماً، وبدأ عهد جديد في الدعوة سمي العهد المدني، أكمل الله فيه للمسلمين دينهم وأتم عليهم نعمته ورضي لهم الإسلام ديناً، وبدأ تاريخ الإسلام والمسلمين يعد ويحسب بالسنة الأولى من الهجرة ويقال إن أول من كتب التاريخ من الهجرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، في شهر ربيع الأول سنة ست عشرة .

وكان سبب ذلك أن أبا موسى الأشعري عامل عمر على البصرة كتب إليه: إنه يأتينا من قبل أمير المؤمنين كتب، لا ندري على أيها نعمل، قد قرأنا صكاً منه محله شعبان فما ندري أي الشعبانين: الماضي أم الآتي؟ فعمم عمر رضي الله عنه على كتب التاريخ وأراد أن يجعله أول شهر رمضان، فرأى أن الأشهر الحرم تقع حينئذ في سنتين فجعله في المحرم وهو آخر الأشهر الحرم، فصيره أولاً لتجتمع الأشهر الحرم في سنة واحدة³ .

روى الطبري في تاريخه أن عمر حين جاءه كتاب أبي موسى الأشعري جمع الناس للمشورة، فقال بعضهم: أرخ لمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال بعضهم: أرخ لمهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عمر: " لا بل نؤرخ لمهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن مهاجره فرق بين الحق والباطل "⁴ .

¹ سورة يوسف، الآية 111.

² سورة هود الآية 120.

³ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، الأوائل، ط 1، دار البشير، طنطا، 1408 هـ، ج 1 ص 227.

⁴ محمد ابن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 2، دار المعارف، مصر، 1387 هـ.

1387 م، ج 2، ص 288.

المقدمة

من هنا كانت بداية تأريخ حضارتنا وثقافتنا فوق هذه البسيطة ،بدليل آثارنا العظيمة المحفوظة كتابة وتنقيحاً وتحقيقاً وتذييلاً ،والتي لا يدخل عليها الشك من أي مضنة كانت إلا النادر مما دسه المغرضون وحاكه الوضّاعون ،أو ما غفلت عنه أنامل الكتاب والمصنفون لا على وجه الخرافة والحكاية أو التخيل والأسطورة ،والتخمين والحدس والاستنتاج التي تقوم غالباً على استتطاق نقوش وأطلال ورموز على جدران ومعابد وهياكل ،قد تتأثر بعوامل الطبيعة من تقلبات الحرارة والرطوبة وتصرفات الزمان من طمس وتدليس ،فتصدق مرة وتكذب مرات ،وهذه حضارة الغربيين التي أنجبت أولئك المستشرقين ممن عبث بتراثنا .

ولا نقصد بهذا تهميش الجهود العظيمة التي بذلها علماء الآثار واللغة في حفظ الموروث الثقافي والتاريخي للأمة ،فأغلب العلوم مكملة لبعضها البعض ولكل فضل عظيم في حضارتنا الإسلامية المجيدة وتراثنا العربي العتيق ،إن علم التاريخ عند المسلمين ليس كعلم التاريخ عند الأمم الأخرى ،أحداثاً وتقلبات أيام ودول فقط ،بل إن كتب التاريخ عندنا هي مجلى حضارتنا وثقافتنا العربية والإسلامية كلها وهنا ولا ننفي كذلك تأثر مخطوطاتنا بتلك العوامل وتأثر بعض الكتب النادرة والفريدة بنوائب الدهور وتعاقب العصور ،بل قد ضاع منا الآلاف منها نتيجة ذلك .

وحين أخذ العلماء المسلمون في تدوين العلوم وتسجيل المعارف كان السبق في كل تلك العلوم والمعارف للتاريخ ،وكانت الريادة في ذلك لعبيد بن شرية الجعفي المتوفى نحو 67 هـ ،ذلك المعمر الذي أدرك الإسلام فأسلم ،وقدم على معاوية وألف له تأليفاً حول أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها وقد طبع باسم " كتاب الملوك وأخبار الماضين " بحيدر آباد بالهند سنة 1347 هـ ، مع كتاب " التيجان في ملوك حمير " لوهب بن منبه المتوفى نحو سنة 114 هـ ، ويعد كتابه هذا أيضاً من أوائل ما صنف في علم التاريخ عند المسلمين ¹ .

^{1/} محمود محمد الطناحي ،مقالات الطناحي "صفحات في التراث والتراجم واللغة والأدب" ،ط1 ،دار البشائر الإسلامية بيروت ، 1422 هـ ،ج1 ،ص295.

المقدمة

ولا يزاحم التاريخ في أولية التصنيف في علومنا إلا ما ذكر به من ذلك التأليف النحوي الذي قام به أبو الأسود الدؤلي بتكليف من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ،حين فشا اللحن بين الناس وخيف على القرآن الكريم ،وذلك في الخبر الذي ذكره الوزير القفطي المتوفى سنة 624 هـ، قال: " ورأيت بمصر في زمن الطلب بأيدي الوراقين - أي باعة الكتب أو النساخ - جزءاً فيه أبواب من النحو، يجمعون على أنها مقدمة علي بن أبي طالب التي أخذها عنه أبو الأسود الدؤلي " ¹ .

مع وجود خلاف بين المتخصصين من كون عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو من أمر أبا الأسود بذلك لما وقع بينه وبين أعراب حول اللحن الذي بدأ يظهر في القرآن الكريم.

إن علم التاريخ عند المسلمين من العلوم الضخمة ويوشك هذا العلم أن يكون نصف المكتبة العربية ،والمطلع على المصنفات البيبليوغرافية المشهورة كالفهرست لابن النديم وكشف الظنون لحاجي خليفة ،ومفتاح السعادة لطاش كبري زاده والحديثة منها كاكفتاء القنوع لما هو مطبوع لإدوارد فنديك ،ومعجم المطبوعات العربية والمعربة ليوسف إلياس سركيس وتاريخ التراث العربي لسزكين فؤاد وغيرها سيتأكد من صحة الطرح وواقعيته ،بل الملاحظ من المكتبات الخاصة أو الجامعية أو حتى التجارية منها تعج بكتب التراث ولعلم التاريخ حصة الأسد منها .

تفسير هذا أن علم التاريخ عند المسلمين ليس هو فقط تلك الكتب الحولية مثل تواريخ الطبري وابن الأثير وابن كثير ،أو كتب الأحداث العامة مثل مروج الذهب والتنبيه والإشراف للمسعودي وإنما يدخل فيه ويمثل الجانب الأكبر منه " فن التراجم والطبقات " وهو بحر ضخم كان لعلماء الحديث التأثير الأكبر في ظهوره وقد حوته مصنفاتهم وأقرته قواعدهم .

^{1/} القفطي جمال الدين أبو الحسن ،إنباه الرواة على أنباه النحاة ،تج: محمد أبو الفضل إبراهيم ،ط1 ،دار الفكر العربي القاهرة ،1406 هـ ، 1982م ،ج1 ،ص23 .

المقدمة

إن علماء الحديث يخرجون الأحاديث من "تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي، وأهل الأدب يجمعون أشعار الشعراء من "تاريخ دمشق" لابن عساكر، وكذلك يجمعون الشعر من كتب الجغرافيا العربية من "معجم ما استعجم للبكري"، و"معجم البلدان" لياقوت الحموي و"الروض المعطار في خبر الأقطار" للحميري، بل إن اللغة والشعر يجمعان من كتب النبات وكتب الهيئة، كالذي في كتاب "النبات" لأبي حنيفة الدينوري، وكتاب "الأزمنة والأمكنة للمرزوقي"¹.

ومما لا شك فيه أن علم التاريخ اختلط أيضاً بعلم الحديث، دخل كل منهما في نسيج الآخر والتحم به، بل إن علومنا كلها يجذب بعضها بعضاً، على نحو ما قال سفيان بن عيينة: "كلام العرب بعضه يأخذ برقاب بعض"².

ومن المعلوم أن حسن التعامل مع المصادر الحديثية أو التاريخية لا يتأتى إلا بفهم طبيعة تصنيف تلك المصادر ومبنى منهجها العلمي التي صيغت بناء عليه، وما لا شك فيه أن النقد العلمي في كلا العلمين قد دب بدبيبهما منذ الوهلة الأولى للتصنيف فيهما.

كما أن شهادة الحديث والتاريخ لا يماثلها ولا يدانيها شهادة، بل هي من أقوى المرجحات في حال الاضطراب وكثرة الأقاويل في المسألة الواحدة شرعية كانت أو تاريخية لأن المحدثين اعتمدوا على التاريخ للحديث واعتمد المؤرخون على الحديث للتاريخ، فكانت دراسة ومعرفة منهج النقد الحديثي والتاريخي واجبة في ضبط وتصنيف الروايات الحديثية والأخبار والمرويات التاريخية تصحيحاً وتضعيفاً وقبولاً ورداً بين شراح الحديث النبوي وعلماء التاريخ الإسلامي.

من هذا المنطلق نتوجه لدراسة موضوع "نقد الأثر والرواية التاريخية بين مناهج المحدثين ومناهج المؤرخين" وهذا يفضي إلى بيان قيمة هذه المناهج وبيان حقيقة منهج النقد فيها ومنزلته منها وتأثر المصنفات به، ومنه الإطلاع على الركائز العلمية والمنهجية

¹ / الفقطي جمال الدين أبو الحسن، المصدر السابق، ج1، ص297.

² / أبي الفرج الأصفهاني، الأغاني، (د،ط)، دار الكتب العلمية، بيروت 1971 م، ج17، ص175.

المقدمة

التي قامت على أساسها الروايات الحديثية عند المحدثين والمرويات و الأخبار التاريخية عند المؤرخين وبهذا بيان مراتبها ومدى صحة الاعتماد عليها .

وما لا بد منه أن الباحث في التاريخ وغيره من العلوم يحتاج إلى معلومات كثيرة لا سبيل له إلى كثير منها إلا بالرجوع إلى الأخبار ، والأخبار يقع فيها الحق والباطل ، والصدق والكذب والصواب والخطأ ، وهو مضطر لتمييز هذا من ذاك ، ليعمل بالحق والصدق والصواب ويجتنب الباطل والكذب والخطأ ، ولا بد لكل ذلك من منهج ثابت رصين لغربلتها من شوائب النفس والدخائل والهوى ، وتبين المقبول من المردود وقد كان لعلمائنا من سلفنا الصالح جهد كبير في وضع قواعد لنقد الروايات الحديثية ومنها الإسناد كميّزة اختصت به هذه الأمة .

كما اقتفى علماء التاريخ وكبار مؤرخي التاريخ الإسلامي أثر المحدثين في ذلك متأسين بمنهجهم النقدي في دراسة الروايات من جوانب المتن والسند ، ومستتدين على منهج العلل والرجال من جرح وتعديل وغيرها من المناهج النقدية الصالحة للتطبيق في ميدان الأخبار والروايات التاريخية ، مع الأخذ في الاعتبار طبيعة علم التاريخ وغايته ومع الحفاظ على الخصوصية التاريخية والتحرر من رابط القدسية الذي يلزم الناقد في الروايات الحديثية .

كما أن المنهج النقدي عند المؤرخين يتعدى الروايات والأخبار إلى مصادر ومواد أخرى قد لا يقصد بها التأريخ بالمعنى الاصطلاحي الذي سنسرده في البحث كالنصوص الأدبية والوثائق الإدارية والمكاتبات السياسية ، و العملات النقدية والآثار العمرانية وغيرها من ملامح التاريخ .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن لا حدود فاصلة بين المحدث والمؤرخ في هذا الباب ، بمعنى أنه لا يفهم من ذلك أن علاقة المحدثين بالتاريخ ستتوقف عند مصنفات كتب السنة والحديث ، أو أن المؤرخين لم يجاوزوا المصنفات التاريخية ورواياتها في تطبيقهم المنهج النقدي ، فكل منهما على السواء وبعزائم خفاقة ساعد بل أسهم بإنشاء الصورة التي وصلتنا صافية ونقية إلى حد كبير من الروايات الحديثية خصوصا والتاريخية عموما ، بحكم مشترك

المقدمة

التكوين المعرفي ومدار الأمر على الرواية ورجالها وشهودها وناقليها في كلا العلمين ، كما أن جل المؤرخين كانوا محدثين وجل المحدثين مؤرخون أصالة إلا القليل النادر .

وفي عصرنا هذا شهد ميدان الدراسات التاريخية صحوة فكرية تسعى إلى تأصيل الأبحاث التاريخية واستقلالها على المناهج الوافدة ، التي كانت نتائجها على تاريخ الإسلام ورجالها ونظمه غير حميدة ، فاتجه عدد من الباحثين في الدراسات الجامعية إلى التدقيق في هذه المناهج النقدية وخاصة لعلماء الحديث ومحاولة تطبيقها على المرويات التاريخية الإسلامية .

لهذا أحببنا أن نسهم في بيان منهج المحدثين النقدي في التعامل مع الأحاديث و الرويات المتعلقة بالنبي صلى الله عليه وسلم وغزواته وبعض أصحابه من قبل التصحيح والتضعيف ، وبيان منهج المؤرخين النقدي في التعامل مع الأخبار والمرويات التاريخية من حيث القبول والرد .

كما أننا حاولنا تقريب مفهوم ومعاني هذه المناهج للمهتمين ، بترتيب أصولها وخطواتها منطلقين من علم الحديث ومنهج النقد عند رجاله وبيان أصوله وملامحه العلمية والمنهجية تقديرا لهم واعترافا بفضلهم مستنديين على ما رواه البخاري باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق " وهم أهل العلم"¹ ، قال ابن حجر العسقلاني : " وأخرج الحاكم في علوم الحديث بسند صحيح عن أحمد : إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم ؟ "² ، مستتين بغيرنا من الباحثين في تقديم دراسة مناهج المحدثين على مناهج المؤرخين في دراساتهم العليا ومقرراتهم الأكاديمية .

¹ محمد بن اسماعيل البخاري ، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه ، محمد زهير بن ناصر الناصر ، ط1 ، دار طوق النجاة ، 1422 هـ ، حديث رقم : 3640 ، ج1 ، ص71 .

² ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، تح: محب الدين الخطيب ، (د،ط) ، دار المعرفة بيروت ، 1379 هـ ، ج13 ، ص358 .

المقدمة

من هذا المنطلق حاولنا عبر هذا البحث المتواضع تتبع منهج المحدثين مبلغ جهدنا لإيضاح وجه تأثر علماء التاريخ به وخاصة في تفسيراتهم للظواهر التاريخية الحساسة من تاريخ الأمة، ولمحاولة إعادة تقييمها تقويماً علمياً بما يتناسب مع ما تقتضيه الأسس الشرعية العامة التي وضعها المحدثون أساساً بالرجوع للشارع الحكيم، وكذلك دراستها دراسة نقدية علمية في سياق المنهج التاريخي والظروف العامة للظاهرة التاريخية ومقارنتها مع الروايات الصحيحة .

كما أننا حاولنا التفصيل قدر الإمكان في مناهج المؤرخين النقدية ومعرفة أصولها وقواعدها عند بعض أشهر المتقدمين من المؤرخين وأكثرهم تأثراً بمنهج المحدثين النقدي وأبلغهم تطبيقاً له في مصنفاتهم، مع التعرّيج احتياطاً على منهج النقد عند بعض المتأخرين منهم ومحاولة الكشف عن مواطن التأثير المنهجي والعلمي في مصنفات أولئك، وبيّنا مواضع النقد والرد على بعض الشبهات الواردة في تلك الروايات خاصة تلك التي لم نسمع لها رواجاً في الوسط الأكاديمي وبقية مندسة كالخنجر في الكتب التاريخية، ضاربين لذلك أمثلة من الحديث والتاريخ ومنهج أهل اللغة والفقهاء والأصول في رد بعضها .

وبناء على ما تقدم ولمعالجة هذا الموضوع لا بد أن نجيب عن سؤال جوهري: ما هي الضوابط التي اعتمدت عليها مناهج المحدثين ومناهج المؤرخين في نقد وتمحيص الروايات الحديثية والتاريخية ؟

ويتفرع عن هذا التساؤل أسئلة فرعية أخرى:

ما معنى الأثر ؟ وما هي الرواية التاريخية ؟ وما العلاقة العلمية المنهجية الرابطة

بينهما ؟ ماذا نقصد بمناهج المحدثين و المؤرخين ؟ وما الفائدة المرجوة من دراستهما ؟ .

ما هي أهم المعالم النقدية عند المحدثين والمؤرخين ؟ وما ملامح تأثيرها على الكتابة

التاريخية ؟ ما مدى إمكانية تطبيق قواعد المحدثين على المرويات التاريخية عموماً ؟ ومنهج

الجرح والتعديل خصوصاً ؟

المقدمة

منهج الدراسة :

أوجبت طبيعة الموضوع الاعتماد على مختلف أدوات المنهج التاريخي وفق ما يقتضيه الحال ،حيث وظفنا المنهج التاريخي الوصفي الذي يعتمد على استحضار المعطيات والنصوص النظرية وعرضها وفقا لما تقتضيه طبيعة الدراسة ،ثم انتهجنا أسلوب التحليل وفق ما تضمنته القواعد والدراسات التحليلية والتاريخية العتيقة والحديثة ،لاستنتاج مضآن أحكام التصحيح والتضعيف ومعرفة أصول القبول والرد ،كما اعتمدنا كذلك على المنهج المقارن في مقابلة مناهج المحدثين ومناهج المؤرخين ولإيضاح المشتركات والفوارق في آدائهما حيال التعامل مع الأثر والرواية معرجين على الفرق بين المحدث والمؤرخ في الصفات والآداب .

ولأن مدار الموضوع الرواية فإننا قمنا بتسليط ضوء النقد العلمي على ما أثبتته بعض المؤرخين في مصادرهم سواء بالرجوع للنقد التاريخي عند المؤرخين أو على شاكلة منهج المحدثين .

مبررات الدراسة :

الباعث الأهم لهذه الدراسة هو المشاركة في هذا التدافع الثقافي والسعي نحو المساهمة ولو بشكل بسيط في غربة وصيانة التراث الإسلامي من التشويه والطمس و التصدي لمد المغرضين في الكتابات التاريخية خاصة في ظل تكالب المستشرقين على التاريخ الإسلامي.

الباعث الثاني التنويه بأهمية دراسة المحاور المتعلقة بهذا الجانب المنهجي لفهم النص التاريخي ونقده ، ففي الحقيقة لا يزال هذا الموضوع يحتاج لكثير من الدراسات التاريخية لأن المواضيع في هذا السياق جد محصورة ما عدا بعض الدراسات المحدودة ،لذلك حاولنا المساهمة والمشاركة بهذا العمل المتواضع من أجل التعريف بمنهج النقد عند المحدثين والمؤرخين والتنبية على مواطن التأثير والتأثر بينهما.

المقدمة

الباعث الثالث ومما لا شك فيه أن معرفة معاني نصوص الحديث ومراتبها وسبر مرامي روايات التاريخ ومدى الاعتماد عليها تحتاج لزاما إلى المنهج النقدي ، وهذا ما دعانا إلى دراسته والتفصيل فيه في مجال الحديث أو التاريخ كما أن دراسة التاريخ الإسلامي دراسة جادة تستلزم بالضرورة، دراسة هذا الموضوع والخوض فيه.

الباعث الرابع: الدعوة إلى الاهتمام بمثل هذه الدراسات وعدم الاكتفاء بالبحوث التي لا تخرج عن التاريخ السياسي والعسكري الذي بدوره يحتاج الى هذه الضوابط المنهجية التي وضعها المحدثون والمؤرخون من أجل فهمها وغربلتها سيما تمييز الواهي منها الذي لا يخرج عن دائرة الكذب والتلفيق والأسطورة والوضع.

الباعث الخامس لفت النظر وتنبه الطلبة والباحثين بضرورة الأخذ بتلك القواعد المنهجية في التعامل مع الروايات التي قدمتها مصادرنا وعدم التسليم المطلق بكل ما يطرحه المؤرخون، وإحالة الرواية التاريخية قبل التسليم النهائي بها على المجرى العام للمرحلة التاريخية .

الباعث السادس محاولة تتبع علماء الأمة فلا نعرف أمة عني مؤرخوها بتمحيص الأخبار وبيان درجاتها وشروط الانتفاع بها ،كما عني بذلك علماء المسلمين وأن العلم بذلك من لوازم الاشتغال بالتاريخ الإسلامي ،أما الذين يحتطبون الأخبار بأهوائهم ولا يتعرفون إلى رواياتها فهؤلاء من أبعد الناس عن الانتفاع بما حفلت به كتب التاريخ الإسلامي من منارات حضارية .

الدراسات السابقة :

بعد المراجعة والبحث في حدود امكانيات الطالب وقدرته العلمية والاسترشاد بالخبرة تبين له محدودية الدراسات في هذا الشأن وفق الصيغة التوافقية التي جمعت منهج النقد عند المحدثين ومنهج النقد عند المؤرخين إلا ما كتب عن منهج المحدثين النقدي مستقلا ،مثل ما كتبه الدكتور العراقي إبراهيم أمين الجاف الشهرزوري ،"مناهج المحدثين في نقد الروايات التاريخية للقرون الهجرية الثلاثة الأولى" ،وأصله رسالة دكتوراه في العراق في تخصص نقد التاريخ والتراث

المقدمة

والحضارة الإسلامية وفق منهج المحدثين ،وكانت في منتصف التسعينيات الهجرية ،ولم تطبع إلا حديثاً عام 2014م ،ويقع في 818 صفحة بملاحقه وفهارسه و قسم الباحث كتابه إلى مقدمة وسبعة فصول وخاتمة ،جعل المقدمة في تسع صفحات دلل فيها على إمكانية إعادة كتابة التاريخ الإسلامي ،مع تطبيق منهج المحدثين في نقد الروايات التاريخية وضرب لذلك أمثلة ،وأعطى شواهد تعضد ما جنح إليه ،وأثبت أن المناهج الأصولية الحديثة، والأصولية الفقهية ،والفقهية ،والتاريخية ،قابلة للتطبيق فعلا على الروايات التاريخية، وأن هذا المنهج كفيل بتتقية كتب التاريخ وبقية كتب التراث الإسلامي، وتصحيحها مما لحق بها من التلوّث والتزوير والترهات والخزعبلات والزيادة والنقصان، والتحريف والدس.

من بين الدراسات التي تناولت هذا الموضوع أيضا كتاب الدكتور أكرم ضياء العمري "السيرة النبوية الصحيحة: محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية" يعدُّ محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية وإسهاماً كبيراً في إعادة صياغة ما أسماه "التصوّر الإسلامي" في تفسير الأحداث التي شهدها العالم الإسلامي منذ صدر الإسلام وحتى يومنا هذا ، وقد صرح بأن دراسته محاولة للإفادة من منهج المحدثين في نقد الرواية التاريخية ،ويظهر فيها التركيز على نقد الأسانيد والرواة إلى جانب نقد المتن ،وخاصة في عملية الانتقاء من مجموع الروايات الضخمة التي دونها القدامى في السيرة ،إذ أنّ الاعتماد على الروايات التي صحّحها النقاد القدامى أحياناً ،أو الإفادة من منهجهم في تصحيح أو تضعيف ما لم يحكموا عليه من الروايات ،هو أهم ما تهدف إليه هذه الدراسة لينال البحث بذلك ثقة القارئ وليعطي أصدق صورة عن السيرة .وركز بذلك على المرويات التي تعلقت بالسيرة النبوية فقط دون غيرها من المرويات التاريخية .

كذلك بحث الدكتور المصري ياسر أحمد نور ،"مصادر السيرة النبوية بين المحدثين والمؤرخين" ،وهو بحث مقدم لنيل جائزة نايف بن عبد العزيز للسنة النبوية و الدراسات الإسلامية المعاصرة ،حوت 545 صفحة وكانت طبعتها الأولى سنة 2007 حيث قسم موضوع الدراسة

المقدمة

لمعالم رئيسة وزعت على إحدى عشر فصلا، مركزا على بيان البناء العام للسيرة في إطار كل مصدر مع التنبيه على موارد مؤلفيه مع التعرّيج على منهجه النقدي في التعامل مع الروايات مركزا بعد ذلك على منهج الموازنة في أحد أبواب الدراسة بين العطاء المنهجي في أداء المحدثين وأداء المؤرخين في التعامل مع مصادر السيرة النبوية سواء على صعيد التوثيق أو على صعيد النقد والتمحيص. ولم يتعد الباحث مصادر السيرة النبوية إلى غيرها من كتب التاريخ الإسلامي .

خطة الدراسة:

تم تقسيم هذه الدراسة إلى ثلاث فصول مع مقدمة للبحث وخاتمة جمعنا فيها أهم النتائج وكانت عصاره للبحث، وقائمة للمصادر والمراجع، أما الفصل الأول عنوانه : **"علم الحديث وعلم التاريخ (التعريف ،ونشأة المنهج)"** ،وقد تم تخصيص هذا الفصل لدراسة وتعريف علم الحديث وأهم مصطلحاته وتعريفاته التي تربطها علاقة مباشرة بالموضوع، ثم عرجنا على أشهر وأهم مناهج المحدثين وركزنا على المناهج النقدية منها من حيث أسباب نشأتها وأهمية دراستها بالنسبة للمؤرخين، كما تحدثنا في هذا الفصل على تعريف علم التاريخ وأصل المصطلح واشتقاقاته اللغوية و الاصطلاحية ،و فصلنا في نشوء مناهج المؤرخين وبروز منهج النقد فيها ودواعي دراستها ودورها في الدراسات التاريخية وحاولنا بعد ذلك بيان العلاقة بين علم الحديث وعلم التاريخ منهجيا وعلميا موضحين بعدها حركة التصنيف المشتركة بين علمائهما، ضاربين أمثلة عن مصنفات حديثية وتاريخية خطها رجال العلمين معا .

والفصل الثاني كان بعنوان : **" مناهج نقد الرواية عند المحدثين والمؤرخين "** وهو يتعلق بداية بدراسة أهم المعالم النقدية والمنهجية للمحدثين في تعاملهم سواء في الروايات الحديثية البحتة، أو غيرها مما تعلق ببعض الأخبار التي وردت في أحداث السيرة النبوية أو بما روي عن الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصحابة وكبار التابعين ومن بعدهم، مبرزين بعدها أهم أصول النقد عندهم وبيان مستندهم الشرعي في ذلك، مسلطين الضوء بعدها على آثار منهجهم هذا على الكتابة التاريخية، وتناولنا بعدها النقد في اصطلاحات المؤرخين وأهم

المقدمة

أصوله مبرزين أشهر معالمه النقدية والمنهجية المتعامل بها إزاء المرويات والأخبار في التاريخ الإسلامي، كما بحثنا بعد ذلك في منهج الجرح والتعديل كرأس لهرم المناهج النقدية للمحدثين وتأثر أغلب المؤرخين به، ومدى إمكانية تطبيق قواعد المحدثين على المرويات التاريخية ومعرفة نقاط الاتفاق والاختلاف بين المتخصصين في صحة هذا الطرح من عدمه.

وكان الفصل الثالث بعنوان " نماذج تطبيقية في نقد الروايات الحديثية و التاريخية " ، وحمل هذا الفصل في ثناياه أمثلة عن نماذج تطبيقية في نقد الروايات الحديثية والتاريخية ابتدئنا بها بنقد علماء الحديث للنصوص الشرعية وبعض الروايات سندا وممتا، ثم أمثلة لنقد علماء التاريخ لروايات تاريخية خاض غمارها أكبر مؤرخي الإسلام ممن اشتهر بنقد الروايات وتمحيصها، معرجين بعد ذلك على نقد علماء اللغة للروايات وبيان أسباب ردهم لها إلى أن وصلنا لنماذج منتقدة قادها علماء الفقه والأصول ممن كان لهم السبق التاريخي في غربلة أخبار وروايات توارثتها الألسن وحوتها المصنفات الحديثية والتاريخية، مدلين في بعضها بدلو المبتدئين ممن أخذته الغيرة على تراث خير أمة في العالمين، وذبا عن شرف خير صحب المرسلين .

وكانت الخطوة الأخيرة في البحث هي تشييعه بخاتمة حاولنا أن نجمع فيها بعض النقاط والاستنتاجات التي وقفنا عليها أثناء إعداده مذيلين بأهم النتائج التي خلصت إليها الدراسة في الحدود الموضوعية الممكنة لهذا الموضوع .

صعوبات الدراسة:

كأي دراسة بحثية علمية يتعثر الباحث أمام صعوبات وعقبات أهمها :

1 - ضخامة الموروث الفكري الحديثي والتاريخي وانتشاره على نطاق واسع في المصادر الحديثية و التاريخية إلى درجة يصعب فيها الإحاطة به وحصره جميعا، ولأن هذا يتطلب الكثير من الوقت والجهد في الانتقال بين الكثير من المصادر التي تزخر بها المكتبة الإسلامية .

المقدمة

- 2 - قلة الدراسات التاريخية المعاصرة من معالجة مثل هذه المواضيع والتي تتطلب أدوات منهجية وعلمية خاصة، وإحاطة ببعض مصطلحات الحديث النبوي ومرامي فقهاء الإسلام وعلماء اللغة أثناء تحليل المادة العلمية وصياغتها في شكل دراسة تاريخية وفق منهجية صحيحة .
- 3 - كما نشير إلى بعض الصعوبات التقليدية التي زادت الجائحة شدة والتي ضربت العالم هذه السنة وسببت غلق الجامعات والمكتبات وقنوات الاتصال مع الأساتذة وأهل الشأن والمختصين في جامعات أخرى وبسبب توقف حركة النقل .
- 4 - وواجه الباحث في إعداد هذا البحث صعوبات في تعريف بعض المصطلحات الحديثية والألفاظ العلمية عند المحدثين خصوصا ما تعلق بألفاظ الجرح والتعديل وصيغته ومراتبه، وأسماء المصنفات والمصادر العتيقة الصعبة والغريبة لغير متخصص .
- 5 - كما نشير إلى قلة الدراسات الأكاديمية في هذا المجال الذي لم يعالج بشكل كبير باستثناء بعض المساهمات المتأخرة التي فتحت الباب ومهدت لقراءات مستقبلية نأمل أن تكون أكثر نضجا وخبرة .

نقد المصادر :

بالنسبة لمصادر الموضوع فهي متنوعة وتشتمل على كتب المحدثين ومصنفات المؤرخين وغيرهم من علماء اللغة والفقهاء، واعتمدنا بالأساس على أمهات المصادر في التاريخ الإسلامي التي أوردت المناهج النقدية في ثناياها ثم حذت حذوها غيرها من المصادر وأهما :

- محمد بن جرير الطبري المتوفي سنة (310 هـ) :

محمد بن جرير ابن يزيد بن كثير، الإمام العلم المجتهد، عالم العصر أبو جعفر الطبري، صاحب التصانيف البديعة، من أهل آمل طبرستان، مولده سنة أربع وعشرين ومائتين وطلب العلم بعد الأربعين ومائتين، وأكثر الترحال، ولقي نبلاء الرجال، وكان من أفراد الدهر علما، ونكاه، وكثرة تصانيف، قل أن ترى العيون مثله، قال الخطيب : سمعت علي بن عبيد الله اللغوي يحكي : أن محمد بن جرير مكث أربعين سنة يكتب في كل يوم منها أربعين ورقة، من مصنفاته، التاريخ و تاريخ الرجال، من الصحابة والتابعين، شيخ المؤرخين وله كتاب "تاريخ

المقدمة

الرسول والملوك أو تاريخ الأمم والملوك" ، ومنهج الطبري يعتمد على المنهج الكمي أي جمع أكبر قدر ممكن من الروايات حول الحادثة التاريخية الواحدة وأحد الرواد الأوائل الذين جسدوا في كتاباتهم منهج المحدثين في حركة التدوين التاريخي وظهر ذلك جليا في كتابه "تاريخ الأمم والملوك" ، وذلك لحجم ثقافته الدينية المتصلة بإنكبابه على العلوم الشرعية والتي أثرت في اتباعه مسلك المحدثين ، كما اعتمد محمد ابن جرير على الإسناد وهذا أبلغ أوجه التأثير بمنهجهم في الكتابة التاريخية ، مما أضفى على كتابه مكانة علمية رفيعة حتى وصف بأنه أصل التواريخ ، وأراد الطبري في كتابه الارتقاء بصحة الرواية التاريخية إلى مرتبة الخبر الشرعي ، بأن يمزج بين التواريخ والأسانيد فظهر حرصه على السند في معظم رواياته وخاصة الشرعية منها معتمدا صيغ التحمل والأداء ، حتى أصبح كتابه مصدرا هاما عند مؤرخي التاريخ الإسلامي .

وقد استفادت الدراسة من طريقة جمعه للروايات التاريخية و صياغها وفق منهج المحدثين فتبيننا من مادته تلك ، مواطن تأثر المؤرخين بمنهج المحدثين ومنحى الكتابة التاريخية بعد هذا الاحتكاك المنهجي بين العلمين ، كما اكتشفنا منهج الطبري العلمي الذي تأثر فيه بالمحدثين وصاغ من خلاله الروايات التاريخية بالإسناد موصفا صيغ التحمل عند المحدثين ، كما استفدنا عبر منهج الطبري في مصنفه الرسل والملوك ، حقيقة العلاقة الوطيدة بين التاريخ والحديث منذ القرون الهجرية الاولى .

- أبو الفرج ابن الجوزي المتوفي سنة (597 هـ) :

ابن الجوزي، أبو الفرج الشيخ الإمام، العلامة، الحافظ، المفسر، المحدث، المؤرخ ، شيخ الإسلام كتب بخطه كثيرا من كتبه إلى أن مات، كان ذا حظٍ عظيم، وصيت بعيد في الوعظ، يحضر مجالسه الملوك، والوزراء وبعض الخلفاء، والأئمة والكبراء، وقيل إنه حضر في بعض مجالسه مائة ألف. وقال : "كتبت بأصبعي ألفي مجلد" ومن تصانيفه المهمة: "المنتظم في التاريخ الملوك والأمم"، "زاد المسير في التفسير"، "جامع المسانيد"، "الوفا في فضائل المصطفى". وغير

المقدمة

ذلك. ويعد تاريخ ابن الجوزي "المنتظم في تاريخ الملوك والأمم" من أهم المصادر التي استفاد منها البحث لما تميز به هذا المصدر من سرد الروايات التاريخية وتطبيق منهج المحدثين عليها ثم تجاوز ذلك إلى تطبيق منهجه النقدي التاريخي، فيما لا يقبله العقل من روايات وفي غيرها من الردود خاصة في روايات أصحاب الرفض التي غالبها طعن واستنقاص من أصحاب القرون الثلاثة المفضلة، وسرد قصص ملوك العالم وجميع الأنبياء انتهاءً بأحداث القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي. تناول ابن الجوزي في كتابه التاريخ العام من بدء الخليقة إلى سنة 564 هجرية، وقد تميز عما سبقه من كتب التاريخ بأنه يجمع بين كونه سردًا تاريخيًا للأحداث على مدار السنوات، وبين احتوائه على تراجم لمختلف الأعلام من خلفاء وملوك ووزراء وفقهاء ومحدثين ومؤرخين وشعراء وغيرهم.

استفدنا منه في الدراسة العديد من الفوائد الجمة من أهمها ما طبقناه في الفصل الثالث في طرحنا لنماذج تطبيقية من النقد إذ حاولنا مجاراته في أسلوبه القيم في الطرح والتحليل والنقد، كما وجدنا في مصنفه إجماع أهل الفن في الحكم على بعض الرجال وعصارة كلام المؤرخين ممن سبق في قبول روايات بعض الإخباريين وغيرهم من المؤرخين.

- الحافظ شمس الدين الذهبي المتوفي سنة (748 هـ) :

شمس الدين شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التُّركماني الأصل، ثم الدمشقي، المقرئ الإمام الحافظ، محدث العصر، ومؤرخ الإسلام، طلب الحديث وله ثماني عشرة سنة، فسمع الكثير، ورحل وعني بهذا الشأن وتعب فيه، وخدمه إلى أن صارت له فيه قدم راسخة قال السخاوي عنه: إن المحدثين عيال في الرجال وغيرها من فنون الحديث على أربعة: المزي، والذهبي، والعراقي، وابن حجر. كُف بصره سنة 741 هـ / 1340 م. و تصانيفه كثيرة تقرب من المائة، نذكر التي أفادت منها الدراسة: تاريخ الإسلام، سير أعلام النبلاء، ترجمة الإمام مسلم ورجال صحيحه، مختصر تهذيب الكمال، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، المعين

المقدمة

في طبقات المحدثين ، من أهم ما أفادت منه الدراسة مصنفه "سير أعلام النبلاء" وهو كتاب تراجم عام اختصره المؤلف من كتابه الكبير " تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام " المعروف بتاريخ الإسلام، والكتاب مرتب على التراجم بحسب الوفيات ابتداء من الصحابة إلى نهاية القرن السابع الهجري. ونظم المؤلف كتابه على الطبقات ، فجعله في أربعين طبقة تقريبا ، على طريقة كتب التراجم ، بحيث كل طبقة تتضمن جيلا كاملا .

وقد أفادت منه الدراسة أيما فائدة من خلال تلك التراجم لأشهر الأعلام ،وقد اعتمد المؤلف فيه إلى ذكر الاسم الكامل لصاحب الترجمة ، ونسبه ومناقبه، ومكانته العلمية ، ومولده ، ونشأته ، وعلمه ، وشيوخه ، وتلامذته وآثاره ومصنفاته، وتاريخ المولد والوفاة ،كما اطلعنا على منهجه النقدي المضمن في مكانه المناسب ،مع علو كعبه في نقد الأحاديث واطلاعه الواسع على علم الرجال وتقديم الردود على المتعصبين فقد كان لهذا المصدر فوائد كثيرة منها : الإطلاع على تراجم الصحابة والتابعين ومن بعدهم من العلماء وكذلك تراجم الخلفاء والقادة السياسيين بل وحتى أرباب الملل والنحل وغيرهم .

_ الحافظ ابن كثير الدمشقي المتوفي سنة (774 هـ) :

عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر البصري ثم الدمشقي صاحب التفسير المشهور والمعروف بتفسير ابن كثير ،ولد بالبصرة ، ثم رحل إلى دمشق مع أخيه سنة 706 هـ / 1306 م بعد وفاة أبيه. سمع من علماء دمشق وأخذ عنهم مثل الآمدي وابن تيمية الذي كانت تربطه به علاقة خاصة تعرض ابن كثير للأذى بسببها. من المحققين الموسوعيين ومن الذين اتسموا بمكانتهم العلمية الرفيعة ،وعنايتهم بالحديث والتاريخ ،وامتلاك الأدوات المنهجية والوعي النقدي مما أدى إلى تأهيلهم للقيام بجهد علمي متميز يتجاوز مجرد الجمع و التقييش ،إلى تمحيص وغرلة ما جمع من روايات وأخبار ومراجعتها وبناء فقه مستنبط من واقع الأحداث خاصة فيما تعلق بالسيرة النبوية ،وغير ذلك من ملامح الإسهام النوعي القيم في مجال الكتابة في التاريخ

المقدمة

الإسلامي عامة كمصنفه البداية والنهاية والسيرة النبوية خاصة وقد ألف فيها كتابا سماه السيرة النبوية ،ولكن من يتتبع تاريخ ابن كثير يجد أن مؤرخنا اتبع في كل قسم من أقسام كتابه السيرة منهج وترتيب المؤرخين القدامى الذين استقى منهم مواد تاريخه ،وقد اختار مصادر كتابه التاريخي من بين المؤرخين وأهل السير الذين اتصفوا مثله برسوخهم وعلو كعبهم في العلوم الدينية وخاصة علم الحديث .

وقد استقينا من كتابيه السابقين العديد من المعلومات من حيث منهجه النقدي وكيفية جمعه للروايات وتمحيصها بمقابلتها بغيرها مما ثبتت صحته وتبين موضع الخلل فيها ،كما استفادت الدراسة من سعة اطلاعه على مناهج من سبقه من المؤرخين وكيفية توظيفها حسب مقتضى الحال ،وبالتالي معرفة مناهج المؤرخين في كتاباتهم ونقدم للروايات التاريخية .

كتب التراجم والطبقات :

حاولنا ترجمة الأعلام الذين ذكروا في سياق البحث وذكرنا خاصة أحوال الإخباريين والرواة جرحا وتعديلا معتمدين في ذلك على كتب الرجال والطبقات مثل: كتاب "الطبقات الكبير" لابن سعد(ت230هـ) وكتاب: "الطبقات" لخليفة بن خياط (ت240هـ) وكتاب: "الضعفاء والمتروكين" للدارقطني(ت306هـ) وكتاب الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي(ت: 327هـ) ،وكتاب: "الثقات" وكذلك "المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين" لابن حبان (ت354هـ)، و"تاريخ الثقات" لابن شاهين(ت358هـ) ، و"وفيات الأعيان" لابن خلكان (ت681هـ) . واعتمدنا على الإمام الذهبي(ت748هـ) وله: "سير أعلام النبلاء" و "ميزان الاعتدال" و"تذكرة الحفاظ" واعتمدنا أيضا على"الإصابة في تمييز الصحابة" و"التهذيب" ، و"تقريب التهذيب" ،و"لسان الميزان" ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر وكلها للحافظ ابن حجر(ت852هـ) .

المقدمة

واستفادت الدراسة من كتب التراجم والطبقات معرفة أحوال المترجم لهم وسيرهم العلمية ومصنفاتهم وعلى أيدي من طلبوا العلوم ومن عاصروا وبمن التقوا وبالتالي الوصول لتعريف الكثير من الأعلام من المحدثين ومن المؤرخين .

نقد المراجع :

- "السيرة النبوية الصحيحة: محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة

النبوية" كتاب الدكتور أكرم ضياء العمري هذا يعدُّ محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية وإسهاماً كبيراً في إعادة صياغة ما أسماه "التصوّر الإسلامي" في تفسير الأحداث التي شهدها العالم الإسلامي منذ صدر الإسلام وحتى يومنا هذا ، وقد صرح بأن دراسته محاولة للإفادة من منهج المحدثين في نقد الرواية التاريخية ، ويظهر فيها التركيز على نقد الأسانيد والرواة إلى جانب نقد المتن ، وخاصة في عملية الانتقاء من مجموع الروايات الضخمة التي دونها القدامى في السيرة ، إذ أنّ الاعتماد على الروايات التي صحّحها النقاد القدامى أحياناً أو الإفادة من منهجهم في تصحيح أو تضعيف ما لم يحكموا عليه من الروايات ، هو أهم ما تهدف إليه هذه الدراسة لينال البحث بذلك ثقة القارئ وليعطي أصدق صورة عن السيرة .

واستفدنا من الدراسة السابقة معرفة مناهج المحدثين في نقد مرويات السنة النبوية وكيفية تعاطي مناهجهم مع السند والمتن ، كما استفدنا من المنحى الذي سلكه صاحب الدراسة في وضع تعريفاته الاصطلاحية بحكم تخصصه في التاريخ ، والاستفادة من تحليله لمنهج المحدثين في الجمع والتصنيف و الإنتقاء من الموروث التاريخي الضخم المتعلق بالسيرة النبوية ، كما استفدنا من المنحى الذي سلكه صاحب الدراسة في وضع تعريفاته الاصطلاحية .

والمآخذ التي سجلناها على الكتاب تناوله الأخبار التي تناولت الفتوحات والأحداث التاريخية باكتفائه فيها باتفاق الإخباريين واختلافهم عليها وسلامتها من التناقض والشذوذ ، دون ترجيح الأقرب منها لحقيقة التاريخية كما ركز على المرويات التي تعلقت بالسيرة النبوية فقط دون غيرها

المقدمة

من المرويات التاريخية والتي كانت مليئة بالأحداث والملاحم والفتن وتداخل الأخبار وتناقضها أحيانا وخاصة ما ارتبط منها بالسيرة النبوية إما لقرب عهد أو لاشتراك في الأحداث .

- "مناهج المحدثين في نقد الروايات التاريخية للقرون الهجرية الثلاثة الأولى" كتبه

الدكتور العراقي إبراهيم أمين الجاف الشهرزوري ، وأصله رسالة دكتوراه في العراق في تخصص نقد التاريخ والتراث والحضارة الإسلامية وفق منهج المحدثين دلى في مقدمته على إمكانية إعادة كتابة التاريخ الإسلامي ، مع تطبيق منهج المحدثين في نقد الروايات التاريخية وضرب لذلك أمثلة وأعطى شواهد تعضد ما جنح إليه ، وأثبت أن المناهج الأصولية الحديثة، والأصولية الفقهية والفقهية ، والتاريخية ، قابلة للتطبيق فعلا على الروايات التاريخية ، وأن هذا المنهج كفيل بتتقية كتب التاريخ وبقية كتب التراث الإسلامي ، وتصحيحها مما لحق بها من التلوين والتزوير والترهات والخزعلات والزيادة والنقصان والتحريف والدس .

وقد استفادت منه الدراسة من ناحية الوقوف على القراءات الصحيحة لبعض المشاهد التاريخية ونقد بعض الروايات وكذلك الوقوف على بعض المسائل في المنهج التاريخي ، ويعد مرجعا مهما في مجاله لما اعتمده من منهج متميز في نقد المادة التاريخية المستقاة من المصادر .

وما لاحظنا على الكتاب أنه وفق في جمع روايات عديدة من عدة مصادر تعدت حدوده الزمنية للدراسة حدود المرجع السابق مثلا والتي كانت مقتضبة جدا إذ لم يتعد القرن الهجري الأول ، والمؤاخذ تقريظه في التركيز على منهج النقد عند المحدثين كما يجب من حيث التنظير وضبط الأصول وتوسعه في ما لا ينفع الدراسة من ترجيحات أصحاب العلل والرجال ، ولا ننسى إغفاله تماما لمنهج النقد عند المؤرخين بحيث ألغى إسهاماتهم كليا في الموضوع ، خصوصا في الجمع والتصنيف لأنه تعامل بالأساس مع المادة التاريخية التي خطها هؤلاء .

- "مصادر السيرة النبوية بين المحدثين والمؤرخين" ، وهو بحث مقدم لنيل جائزة نايف

بن عبد العزيز للسنة النبوية و الدراسات الإسلامية المعاصرة ، حيث قسم موضوع الدراسة

المقدمة

لمعالم رئيسة وزعت على إحدى عشر فصلا ،مركزا على بيان البناء العام للسيرة في إطار كل مصدر مع التنبيه على موارد مؤلفيه .

استفادت أبواب الدراسة من التعرّيج على منهجه النقدي في التعامل مع الروايات وتركيزه بعد ذلك على منهج الموازنة في أحد أبواب الكتاب بين العطاء المنهجي في أداء المحدثين وأداء المؤرخين في التعامل مع مصادر السيرة النبوية سواء على صعيد التوثيق أو على صعيد النقد والتمحيص .

شد انتباهنا أن الباحث لم يتعد مصادر السيرة النبوية إلى غيرها من كتب التاريخ الإسلامي في التحليل واستنباط الروايات ونقدها ،ولا نبه لما في هذه الأخيرة من روايات ،فهو حاول التعامل المباشر مع مادة السيرة محاولا عرض ما فيها على المناهج النقدية للمحدثين وعلى أحكام المؤرخين من أصحاب المصادر التي استقى منها مادته فقط .

- " المنهج النقدي عند المحدثين وعلاقته بالمناهج النقدية التاريخية، دراسة تأصيلية في الموازنة بين حتمية الاختلاف وضرورة الاجتماع " للدكتور عبد الرحمان السلمي، يقدم الكتاب موازنة بين المنهج النقدي الذي اتبعه المحدثون ،وبين المنهج الاستردادي التاريخي المعتمد في الدراسات التاريخية الغربية اليوم ،في شكل دراسة تصيلية حتى يُبرز الصورة الكاملة لمنهج المحدثين في نقد الأخبار وعلاقته بمناهج النقد التاريخية الأخرى ،مرتكزا في مقارنته هذه على معرفته بمناهج النقد عند المؤرخين ،مقدما لنا خلاصة استقرأه لأساس المنهج النقدي عند المحدثين في حصره في بعض أصول النقد وقواعده عند المحدثين : كعدم تطرق الخلل للرواية إلا بسبب راويها ،وهو ما يتشابه مع القاعدة التي بُنيت عليها المناهج النقدية التاريخية ،وبذلك فهو بحث نافع في جزئه الثاني المتعلق بمنهج المتحدثين بحكم تخصص المؤلف ، يتسم بالموضوعية وإن لم يتوسع في المقارنة في جميع مباحثه، إلا أنه تبيان لقوة منهج المحدثين ودقته إذ أن منهج المحدثين إلى اليوم هو المنهج النقدي

المقدمة

التخصصي الوحيد في هذه البسيطة وأن المنهج التاريخي الحديث مجمل وبدائي يتفق فقط في انطلاقة منهج المحدثين وتأسيسه وكذا فطريته.

وقد استقدنا من الكتاب تفصيله فيما يخص منهج النقد عند المحدثين بالموازاة مع منهج المؤرخين في النقد، كما رجعنا لبعض المصادر التي وضعتها الدراسة لنجد فيها ضاللتنا العلمية، وكما استقيننا منها مسار الترتيب المنهجي لأصول منهج النقد عند الطرفين .

وما يعاب على الدراسة خلوها من أمثلة متعمقة وتفصيلية في المنهجين التاريخي و الحديثي إذ كانت كلها كلام تنظيري أو أمثلة بسيطة، ثم انه يعتبر مدخلا للمبتدئين في مناهج علوم الحديث النقدية فقط، إذ أن الجزء الآخر من الدراسة اهتم بالمناهج الغربية في النقد التاريخي كالمنهج الإستردادي عند الأوروبيين والمستشرقين المتأثرين بالحضارة والتاريخ الإسلامي، وأغفل مناهج أساطين التاريخ الإسلامي ممن نقل أو احتك أو طبق المنهج الحديثي والتاريخي في مصنفاته ومثل لها من حوادث الإسلام ووقائعه .

وفي الأخير نحمد الله الذي فضله تتم الصالحات حمدا كثيرا يليق بجلاله وعظيم سلطانه، راجين منه وحده أن تكون هذه الدراسة المتواضعة قد بلغت مقصدها ولو نسبيا وهذا مبلغ الجهد والله المستعان.

الفصل الأول : علم الحديث وعلم التاريخ (التعريف ، ونشأة المنهج) .

المبحث الأول : تعريف علم الحديث ومناهجه :

أولا – تعريف علم الحديث .

ثانيا – مناهج المحدثين نشأتها وأهمية دراستها .

المبحث الثاني : تعريف علم التاريخ ومناهجه :

أولا – تعريف علم التاريخ .

ثانيا – مناهج المؤرخين نشأتها وأهمية دراستها .

المبحث الثالث : العلاقة بين علم الحديث وعلم التاريخ والتصنيف فيهما .

أولا – الفرق بين علم الحديث وعلم التاريخ .

ثانيا – المحدثون المؤرخون ومصنفاتهم .

تعريف علم الحديث ومناهجه :

أولاً – تعريف علم الحديث:

1 – لغة:

تعددت وتتنوعت المفاهيم اللغوية المقدمة لعلم الحديث، مما جعلنا نذكر أهم المفاهيم ذات الصلة بمجال الدراسة ونذكر منها: الحديث نقيض القديم، ويقال: أخذني ما قدم وما حدث، ويأتي بمعنى الخبر ثم أن واحد الأحاديث أُخِدُوْتُ، ثم جعلوه جمعاً للحديث، ورجل حَدَّثْتُ، أي شابٌّ فإن ذكرت السنَّ قلت: حديث السن¹.

كما أن ماضي الفعل حدث الشيء يحدث حدوثاً وحادثة، وأحدثه هو، فهو محدث وحديث، وكذلك استحدثه، ومحدثات الأمور: ما ابتدعه أهل الأهواء والبدع من الأشياء في الدين التي لم تكن فيمن كان قبلهم وفي الحديث: (إياكم ومحدثات الأمور)، جمع محدثة بالفتح، وهي ما لم يكن معروفاً في كتاب، ولا سنة، ولا إجماع. وفي حديث بني قريظة: لم يقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة كانت أحدثت حدثاً.² ورجل حديث أي: كثير الحديث، والحديث: الخبر يأتي على القليل والكثير ويجمع على أحاديث على غير قياس³.

نبه علماء اللغة: أن بين الحديث والخبر تفصيلاً، فكل حديث خبر من غير عكس⁴.

قال أبو البقاء¹: فالحديث هو اسم من التحديث، وهو الإخبار أي الوصف، كما أن الحديث كان معروفاً للعرب في الجاهلية منذ كانوا يطلقون على أيامهم المشهورة اسم الأحاديث².

¹ أبو نصر إسماعيل الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1407 هـ، 1987 م، ج1، ص278.

² محمد بن مكرم جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 1414 هـ، 1993 م، ج2، ص131.

³ قاسم الرومي الحنفي، أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، تح: قاسم بن عبد الله بن أمير، دار الكتب العلمية، 1424 هـ، 2004 م، ج1، ص30.

⁴ أيوب بن موسى أبو البقاء الحنفي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، (د،ط)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج1، ص370.

وقد تنبه أهل اللغة إلى هذا المعنى حيث رأوا أن واحد الأحاديث أحوثة ثم جعلوه جمعا للحديث ومن هنا شاع على الألسن فصار أحوثة، وحديثا إذا ضرب به المثل. ومن ابرز من أصل لمفهوم الحديث ،العالم اللغوي الفراء³ ضاربا بدليل من شعر العرب:

ولا تصبوحوا أحوثة مثل قائل *** به يضرب الأمثال من تمثل .

جامعا بذلك المثل والأحوثة مشيرا لترادفهما.⁴ وكيفما تقلب مادة "الحديث" نجد معنى "الأخبار" واضحا فيها ومنه قوله تعالى " فليأتوا بحديث مثله"⁵ ،وقوله تعالى " الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها"⁶

وَحَدَّثَ الشَّيْءُ يَحْدُثُ حَدُوثًا، بِالضَّمِّ، وَحَدَاثَةٌ بِالْفَتْحِ: نَقِيضُ قَدَمٍ⁷. والمحدث: بكسر الدال المشددة اسم فاعل، من كان كثير الاشتغال بالحديث، حافظا له متقنا إياه ،وقد أجازته الشيوخ برواية الحديث وتدريبه.⁸

استشعر أغلب العلماء في مادة الحديث معنى الجدة فأطلقوه على ما يقابل القديم وهم يريدون بالقديم كتاب الله ، وبالجديد ما أضيف إلى رسوله صلى الله عليه وسلم ،وكان أقل ما يجزم به أن في العلماء من تخرج من إطلاق اسم الحديث على كتاب الله القديم.⁹

و الشيء الملاحظ من خلال البحث في المدلول اللغوي للفظ "الحديث" هو أنه اسم من التحديث وهو الإخبار ،وأحاديث جمع تكسير لحديث وإنما سميت هذه الكلمات والعبارات أحاديث لأن الكلمات إنما تتركب من الحروف المتعاقبة المتوالية أو لأن سماعها يحدث في القلوب من

1/ أبو البقاء: هو أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكوفي، كان من القضاة وتوفي سنة 308م، وهو قاض بالقدس، انظر: أنظر: محمد بن سعد البغدادي، الطبقات الكبرى ،ط2، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1408هـ، ص46.

2/ أحمد بن يحيى البلاذري، فتوح البلدان ،(د،ط) ،دار ومكتبة الهلال ،بيروت، 1988 م،ص38.

3/ الفراء: هو يحيى بن زياد الديلمي، احد نحاة الكوفة وأئمتها المشهورين في اللغة ،له كتاب في معان القرآن ،وصاحب كتاب مختصر النحو ،توفي سنة 207هـ ، أنظر: ابن سعد،المصدر السابق ، ،ص26.

4/ محمد بن أبي المحاسن أبو العلاء الحنفي ، مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني ،تح: عبد الكريم مصطفى مدلج ، ط 1 ،دار ابن حزم ،بيروت ، 2001 م،ص120.

5/ سورة الطور 34.

6/ سورة الزمر 23.

7/ مرتضى الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مجموعة من المحققين،(د،ط) ،دار الهداية، ج5، ص205.

8/ محمد رواس قلنجي وحامد صادق قنبيي، معجم لغة الفقهاء ،ط2، دار النفائس للطباعة ،1408هـ ،1988م، ج1، ص410.

9/ صبحي الصالح، علوم الحديث ومصطلحه عرض ودراسة ،ط15، دار العلم للملايين ،بيروت ،1984م ص05.

العلوم والمعاني وإلا لكانت المهمة والتلثم واللججة وخط الحروف حديثاً ، فلا يشترط إن لم يكن مسموعاً لوجود الكلام المكتوب والكلام بلغة الإشارة للصم والبكم ، ومنه فالحديث يستلزم وقوع الفعل حدث فوجود الشخص المتحدث يتطلب متحدث إليه أو إليهم ولا يتطلب وجود المتكلم بالكلمات ذلك. ثم إن الحديث يبدأ مسموعاً أولاً لأنه فعل اللسان ولا فرق بعد ذلك إذا تمت كتابته ككلام أم لا فسيظل حديثاً لأنه تم التحدث به¹ ومنه حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا نَافِعُ بْنُ مَالِكِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ أَبُو سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبًا، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ " ².

وعموماً يمكننا القول أن هذا اللفظ سلك مفاهيم عديدة بين أهل اللغة وأهل الفقه وأهل المصطلح في تفصيلاتهم اللغوية لاشتباه رسم اللفظ فيها ولذلك آثرنا الاكتفاء بما يخدم الموضوع ولعلنا نبليغ مريض الفرس بفتحنا المجال للكلام عن المدلول الاصطلاحي .

2- اصطلاحاً:

تعددت التعريفات الاصطلاحية حول علم الحديث وتتنوع عبارات العلماء في بيان عنوانه وتسميته فمنهم من نحى إلى أنه خلاصة لعلوم متعددة ومعارف متنوعة ، وأقر آخرون أنه علم أصول الحديث كون هذا العلم أصلاً لعلم الحديث رواية³ .

وهو بمنزلة "أصول الفقه" من "الفقه" ، ومنهم من سماه علم مصطلح الحديث كون أصوله وقواعده تغلب عليها الاصطلاحات الفنية ، وهناك من العلماء من سماه بعلم الحديث دراية⁴ ، وهي مباحث تدور حول الرواية والراوي والمتون والأسانيد من حيث القبول والرد⁵.

¹ يوسف بن جودة الداودي ، أثر تاريخ النص الحديثي في توجيه المعاني عند شراح الحديث دراسة تطبيقية ، حولية كلية أصول الدين والدعوة ، جامعة المنوفية ، العدد 36 ، 1438 هـ ، 2017 م ، ص 18 .
² محمد بن اسماعيل البخاري ، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه محمد زهير بن ناصر الناصر ، ط1 ، دار طوق النجاة ، 1422 هـ ، حديث رقم : 33 ، ج1 ، ص16 .
³ علم الحديث من حيث الرواية : نقل كل ما أضيف إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، من قول أو فعل ، أو وصف خلقي أو خلقي ، أو تقرير . أنظر : رفعت فوزي ، مناهج المحدثين الأسس والتطبيق ، ط1 ، دار السلام ، القاهرة ، 1429 هـ ، ص 8 .
⁴ علم الحديث من حيث الدراية : هو العلوم المشتملة على قوانين وقواعد يعرف بها حال الراوي ، وحال المروي ، أي حال السند وحال المتن . أنظر رفعت فوزي ، المرجع نفسه ، ص 11 .
⁵ محمد بن محمد أبو شهبه ، الوسيط في علوم ومصطلح الحديث ، (د،ط) ، دار المعرفة ، جدة ، 1433 هـ ، ص 30 .

ويمكن القول أن دراسة مصطلح الحديث هو جزء من دراسة علم الحديث كاملا وكتب علم المصطلح هي كتب أصوله وقواعده ومصطلحاته ، فنسبة هذا العلم (علم المصطلح) إلى مجموع علوم الحديث كنسبة قواعد النحاة ومصطلحاتهم إلى مجموع علوم النحو ، وفيها الإعراب والتعليل وتاريخ علم النحو ومدارسه والرد على المخالفين وغير ذلك وهي أيضا كنسبة علم أصول الفقه إلى علم الأحكام الشرعية العملية ، ومنه فان أصول كل علم من علوم الحديث (كعلم الرجال ، علم العلل ، علم التخريج علم شروط الرواية وآدابها) هي في الحقيقة راجعة إلى "علم المصطلح"¹.

لقد تأخر العلماء في وضع تعريف محرر لعلم الحديث لعدة قرون ، حيث أن المؤلفات المستقلة في هذا الفن قد بدأت تظهر في القرن الرابع الهجري ، في حين أن الباحث لا يكاد يجد تعريفا متكاملا ودقيقا لهذا العلم قبل القرن السابع الهجري ورغم كثرة المصنفات التي عنت بهذا العلم من نقل لأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، وضبطها وتحري ألفاظها وصيانتها من الدخيل والتصنيف فيما يتعلق به ومعرفة صحيحه من سقيمه ومعرفة أحوال رواته وفقه ما فيه من العقائد والأحكام والفوائد المتنوعة² .

ويجدر بنا قبل البدء في التعرض لتعريف علم الحديث ، يجب التعرّيج على تعريف الحديث كأساس لهذا العلم ، إذ عرفه بن حجر العسقلاني في شرحه لصحيح البخاري: " الْمُرَادُ بِالْحَدِيثِ فِي عُرْفِ الشَّرْعِ مَا يُضَافُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"³.

وهنا يتضح لنا أن ابن حجر قد ربط الحديث بما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم وحده دون غيره ، كما عرفه الطيبي¹ : الْحَدِيثُ أَعْمٌ مِنْ أَنْ يَكُونَ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالصَّحَابِيِّ وَالنَّبَائِعِيِّ وَفِعْلَهُمْ وَتَقْرِيرَهُمْ².

¹ محمد خلف سلامة ، لسان المحدثين ، ط1 ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، ج2 ، ص100.

² محمد أبو شهبه ، المرجع السابق ، ص11.

³ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، (د،ط) ، دار المعرفة ، بيروت ، 1379 هـ ، ج1 ، ص193.

والملاحظ من كلامه أن الحديث أعم من أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأقوال صحابته رضوان الله عليهم وأقوال تابعيهم وأفعال أولئك وتقريرهم ، وبهذا يخالف الطيبي ابن حجر في تعريفه السابق ، فالأول خص بالنبي صلى الله عليه وسلم وحده والثاني جمع تقريراته وأفعاله وتقريرات الصحابة والتابعين وأفعالهم بل وما أكثر من ذلك .

وجب التنبيه إلى لفظ مهم ألا وهو الخبر وارتباطه بالحديث فقد رجح ابن حجر بقوله : " الْخَبْرُ عِنْدَ عُلَمَاءِ الْفَنِّ مُرَادِفٌ لِلْحَدِيثِ " وبهذا فالحديث والخبر واحد من مشكاة النبوة فقط " في حين ذهب غيره إلى أن الْحَدِيثُ مَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالْخَبْرُ مَا جَاءَ عَنْ غَيْرِهِ ، وَمِنْ ثَمَّ قِيلَ لِمَنْ يَشْتَغِلُ بِالسُّنَّةِ : مُحَدِّثٌ ، وَبِالتَّوَارِيخِ وَنَحْوِهَا أَخْبَارِيٌّ ³ .

وللفصل في تداخل اللفظين كان لزاما علينا طرح مصطلح لا يقل أهمية عن الخبر وهو الأثر ، خاصة وأن عنوان بحثنا يحمل نفس هذا اللفظ ، فقد ثبت أن الْمُحَدِّثِينَ يُسَمُّونَ الْمَرْفُوعَ ⁴ وَالْمَوْثُوفَ ⁵ بِالْأَثَرِ ، وَأَنَّ فُقَهَاءَ خُرَّاسَانَ يُسَمُّونَ الْمَوْثُوفَ بِالْأَثَرِ وَالْمَرْفُوعَ بِالْخَبْرِ . وَيُقَالُ : أَثَرْتُ الْحَدِيثَ بِمَعْنَى رَوَيْتُهُ ، وَيُسَمَّى الْمُحَدِّثُ أَثَرِيًّا نِسْبَةً لِلْأَثَرِ ⁶ .

الخبر أجدر من السنة ⁷ أن يرادف الحديث ، فما التحديث إلا الإخبار وما حديث النبي صلى الله عليه وسلم إلا الخبر المرفوع إليه ، غير أن إطلاق اسم الإخباري ⁸ على من يشتغل

^{1/} الطيبي: هو الحسين بن محمد بن عبد الله شرف الدين الطيبي من علماء الحديث والتفسير والبيان من عراق العجم ، من كتبه: الخلاصة في معرفة الحديث ، شرح المشكات ، التبيان في المعاني والبيان ، توفي سنة 743 هـ . انظر: خير الدين بن محمود الزركلي ، الأعلام ، دار العلم للملايين ، ط 15 ، 2002 م ، ج 2 ، ص 256 .

^{2/} جلال الدين السيوطي ، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، تح: أبو قتيبة نظر محمد الفارابي ، (د،ط) ، دار طيبة ، ج 1 ، ص 29 .

^{3/} نفسه ، ج 1 ، ص 30 .

^{4/} الحديث المرفوع : وهو ما أضيف إلى النبي - صلى الله عليه وسلم خاصة قولاً كان أو فعلاً ، أو تقريراً (لا يقع مطلقه على غيره متصلاً كان ، أو منقطعاً أي عدم ذكر الصحابي في سند الرواية أو غيره) ، انظر : تدريب الراوي ، ج 1 ، ص 202 .

^{5/} الحديث الموقوف : وَهُوَ الْمَرْوِيُّ عَنِ الصَّحَابَةِ قَوْلًا لَهُمْ ، أَوْ فِعْلًا ، أَوْ نَحْوَهُ أَيُّ تَقْرِيرًا (مُتَّصِلًا كَانَ إِسْنَادُهُ ، أَوْ مُنْقَطِعًا ، وَيُسْتَعْمَلُ فِي غَيْرِهِمْ) كَالتَّابِعِينَ (مُقَيَّدًا ، فَيُقَالُ : وَقَفَهُ فَلَانَ عَلَى الزُّهْرِيِّ) ، انظر تدريب الراوي ، ج 1 ، ص 203 .

^{6/} نفسه ، ج 1 ، ص 30 .

^{7/} السنة : هي أقوال رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأفعاله وتقريراته وصفاته الخَلْقِيَّةِ وَالْخُلُقِيَّةِ ، وسائر أخباره ، سواء أكان ذلك قبل البعثة أم بعدها ، انظر : أبو القاسم يوسف بن محمد الهمداني ، المهورونيات الفوائد المنتخبة الصحاح والغرائب تح : سعود بن عيد الجربوعي ، ط 1 ، المدينة المنورة ، 2002 م ، ج 1 ، ص 125 .

^{8/} الأخباريون : هم رواة الأخبار التاريخية الذين ظهوروا في القرن الثاني الهجري ومن أبرزهم محمد بن السائب الكلبي (ت 146هـ) ، وعوانة بن الحكم (ت 147هـ) ، وأبو مخنف لوط بن يحيى (ت 157هـ) ، وسيف بن عمر التميمي (ت 180هـ) ، وأبو

بالتواريخ ونحوها حمل بعض العلماء على تخصيص المشتغل بالسنة بلقب **المحدث** لتمييزه عن الإخباري ، وعلى تسمية ما جاء عنه حديثاً لتمييزه عن الخبر الذي يجيء عن غيره¹ .

فكل بذلك رواية ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وما جاء عن غيره، والرواية إخبار هنا وهناك ، فلا ضير في تسمية الحديث خبراً ، والخبر حديثاً ، ومن نفس الزاوية نظر إلى الأثر كمرادف للخبر والسنة والحديث ، فلا مسوغ لتخصيص الأثر بما أضيف للسلف من الصحابة والتابعين ، إذ أجمع الجمهور في تساوي المصطلحات جميعاً في إفادة التحديث والإخبار وعليهما مدار البحث في علم أصول الحديث² .

ونجد من الأوائل المعرفين لعلم الحديث الإمام يحيى بن شرف النووي³ ، حيث قال في شرحه لمقدمة الإمام مسلم : " المراد من علم الحديث تحقيق معنى المتن ، وتحقيق علم الإسناد والمعلل ، والعلة عبارة عن معنى خفي في الحديث ، يقتضي ضعف الحديث ، مع أن ظاهره السلامة ، وتكون العلة تارة في المتن وتارة في الإسناد"⁴ .

نلاحظ من خلال تعريف النووي أن علم الحديث يشتمل دراسة كلام النبي صلى الله عليه وسلم وهو "المتن" وتحقيقه ومعرفة ألفاظه ومعانيه ثم دراسة الطريق التي أوصلته لنا وهو "الإسناد" وتحقيق رجاله وأحوالهم وكشف الخلل الخفي فيهما، بينما عرفه ابن حجر بقوله: "علم الحديث علم يعرف به حال الراوي والمروي من حيث القبول والرد"⁵ .

اليقطان النسابة (ت190هـ) ، والهيثم بن عدي (ت206هـ) ، وأبو عبيدة معمر بن المثنى (ت209هـ) ، ونصر بن مزاحم (ت212هـ) ، وكان علي بن محمد المدائني (ت212هـ) شيخ الإخباريين وخاتمهم ، وقد اعتنى هؤلاء الأخباريون بجمع معلومات واسعة عن حركة الردة والفتوحات وأوضاع الحياة في عصر الخلافة الراشدة والدولة الأموية والعصر العباسي الأول ، وبذلك مهدوا لظهور المؤرخين الكبار ، كأبي حنيفة الدينوري (ت235هـ) ، خليفة بن خياط (ت240هـ) وابن قتيبة (ت276هـ) والبلاذري (ت279هـ) واليعقوبي (ت284هـ) وإمام أهل هذه الصنعة : محمد بن جرير الطبري (ت310هـ) المسعودي (ت346هـ) ، أنظر : أكرم ضياء العمري ، مرويات السيرة النبوية بين قواعد المحدثين وروايات الأخباريين ، (د، ط) ، مجمع الملك فهد ، المدينة المنورة ، ص 02 .

^{1/} صبحي الصالح ، المرجع السابق ، ص 10 .

^{2/} نفسه ، ص 11 .

^{3/} النووي : هو الإمام الحافظ شيخ الإسلام محيي الدين ابو زكريا يحيى بن حزام النووي دمشقي شيخ المذاهب وكبير الفقهاء ، ولد في 631 هـ ومن مؤلفاته شرح صحيح مسلم ورياض الصالحين ، والأربعين النووية ، توفي 676 هـ ، انظر : **تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محي الدين** ، علاء الدين بن العطار ، ط 1 ، الدار الأثرية ، الأردن ، 1428 هـ ، 2007 م ، ص 42 ، 43 .

^{4/} شرف الدين النووي : شرح النووي على صحيح مسلم ، دار احياء التراث العربي ، ط 2 ، بيروت ، 1392 هـ ، ج 1 ، ص 42 .

^{5/} ابن حجر العسقلاني ، نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر ، تج : عبد بن ضيف الله الرحيلي ، مطبعة سفير ، ط 1 ، الرياض ، 1422 هـ ، ص 155 .

نجد أن ابن حجر قد اختصر وأفاد ولم يخل بل وضع تعريفا أصوليا لعلم الحديث لبه الاهتمام بحال الرواية التي بلغتنا عن صاحبها وحال الراوي الذي نقلها وبذلك تقبل أو ترد .
كما عرف آخرون علم الحديث : أقوال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام وأفعاله وأحواله ، وَهَذَا التَّعْرِيفُ هُوَ الْمَشْهُورُ عِنْدَ عُلَمَاءِ الْحَدِيثِ وَهُوَ الْمُوَافِقُ لِفَنهِمْ فَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ أَكْثَرَ مَا يَذْكَرُ فِي كِتَابِ السِّيَرَةِ كَوَقْتِ مِيلَادِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام ومكانه وَتَحْوُ ذَلِكَ¹.

كما فصل غيرهم بأن المراد بعلم الحديث عند الإطلاق علم يقصد به حال الراوي، والمروي، من حيث القبول والرد، وما يتعلق بذلك من معرفة اصطلاح أهله، وموضوعه هو الراوي والمروي من حيث ذلك، وغايته هي معرفة ما يُقْبَلُ وما يُرَدُّ من ذلك أما مسائله فما يذكر في كتبه من المقاصد².

قال الذهبي : وواضع علم الحديث وأول من صنف فيه القاضي أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي في مصنف سماه "محدث الفاصل بين الراوي والواعي" ما أحسنه من كتاب سبعة أجزاء في مجلدة واحدة وله عدة مصنفات ربيع المتيم في أخبار العشاق والأمثال، والنوادر، والرتاء والتعازي، وأدب الناطق³.

من خلال الطرح السابق نستطيع القول أن علم الحديث بشقيه رواية ودراية أصل من العلوم الشرعية الذي اختصت به الأمة الإسلامية، إذ يهتم بدراسة كل ما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم من أفعال وأقوال وتقرير قبل البعثة أو بعدها من جهة، ويبحث في مصادر الأحاديث وأسانيدنا وشروحيها ومصنفاتها، دون غيرها من المرويات التاريخية⁴.

¹ طاهر بن صالح أحمد الجزائري، توجيه النظر إلى أصول الأثر، تح: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، ط1، حلب، 1416 هـ، 1995 م، ج1، ص11.

² محمد الخضر بن سيد الشنقيطي، كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1415 هـ، 1995 م، ج1، ص115.

³ الرامهرمزي : الامام الحافظ البارح محدث العجم ابو محمد الحسن بن خلاد الفارسي، (المتوفى: نحو 360هـ) من أدباء القضاة وهو من أهل رامهرمز، صاحب كتاب محدث الفاصل بين الراوي والواعي وهو من أول من صنف في علم الحديث، انظر سير اعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، تح: شعيب الأرنؤوط، (د،ط)، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1982 م، ج7، ص288.

⁴ الأخبار المروية قبل الإسلام الحكم فيها ظاهر، فما لم يدل عليه دليل من القرآن أو السنة الصحيحة أو السند الصحيح فهو مردود أو متوقف فيه، والتوقف ضرب من الرد كما يقال، ومن ذلك قوله تعالى (تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها

يعتبر هذا العلم من أرسن علوم هذه الأمة وأوثقها ، لما فيه من قواعد مضبوطة ومناهج دقيقة ، لا يسوغ التساهل فيها أو التراخي ، فما ينقله هذا العلم هو الحديث النبوي كما فصلنا وروايته تبنى عليها الأحكام وإقامة الحدود ، فهي تتصل مباشرة بأصل من أصول التشريع ، وبناء على هذا تحرز العلماء رحمهم الله في شروط من تؤخذ عنه الرواية¹.

ومن هنا فرق أصحاب هذا المنهج بين ما يُتشدد فيه من الأخبار و بين ما يُتساهل فيه تبعاً لطبيعة ما يُروى ، فإذا كان المروي متعلقاً بالنبي صلى الله عليه وسلم أو بأحد من الصحابة رضي الله عنهم ، فإنه يجب التدقيق في رواته والاعتناء بنقده ، أما إذا كان الخبر المروي لا يتعلق بشيء مما سبق فإنه يُتساهل فيه ، وهذا لا يعني الرواية عن المعروفين بالكذب وساقطي العدالة ، ومن هنا سنتطرق إلى مناهج أصحاب هذا الفن من العلماء والمحدثين ممن شرعوا مبادئه وأسسها ووضعوا أحكامه وأصوله معرجين على التعريف الاصطلاحي لمناهج المحدثين .

ثانيا - مناهج المحدثين نشأتها وأهمية دراستها .

1 - تعريف مناهج المحدثين :

يتركب مفهوم مناهج المحدثين من كلمتين "مناهج" مضاف، و"المحدثين" مضاف إليه، ووجب تعريف كل شق على حدة ونستهله بالتعريف اللغوي:

1 - 1 لغة:

أنت ولا قومك من قبل هذا). فليس للعقل أثر في إثباتها أو نفيها، ولكن هناك من الأقوال ما لا يصدق ولا يكذب وهي أخبار بني إسرائيل ما لم يثبت بطلانها في شرعنا وذلك بالنص عن النبي صلى الله عليه وسلم « وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ». البخاري، المصدر السابق، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ج:3، ص 1275 ، ومعناه الرخصة في الحديث عنهم على معنى البلاغ وإن لم يتحقق صحة ذلك بنقل الإسناد، وذلك لأنه أمر قد تعذر في أخبارهم لبعده المسافة ، وطول المدة ووقوع الفترة بين زمني النبوة. أنظر: الخطابي حمد بن محمد، معالم السنن شرح سنن أبي داود ، ط1 ، المطبعة العلمية، 1351 هـ ، 1932 م ، ج4 ، ص 187 .
¹ / سياطي التفصيل فيها لاحقا في ثنايا البحث .

أ - المناهج : جمع مفردة منهج ومنهاج والمنهاج: الطريق الواضح¹ ، قال الله تعالى: «لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً»² و نهج الطريق أبانه وأوضحه ، و نهجه أيضا سلكه وفي الحديث: «أنه رأى رجلا ي نهج» أي به علة من السمنة.³

والنهج، بفتح فسكون: الطريق البين، وطرق «أنه رأى رجلا ي نهج» أي به علة من السمنة.⁴
ب - المحدثين:

مصدر حَدَّثَ إنما هو التحديثُ، فأما الحديثُ فليس بمصدر ،وقوله تعالى: "وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ"⁵ أي بَلِّغْ ما أُرْسِلْتَ به، وَحَدِّثْ بالنبوة التي آتاك الله، وهي أَجَلُ النَّعْمِ ،ومنه : حدث بفتح الدال وشدها يحدث حديثا ومحدث مفرد جمعه محدثون بكسر الدال ،ومصدر حدث إنما هو التحديث⁶.

فالحديث كل ما يتحدث به من كلام وخبر ،قال تعالى "فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره"⁷ وجاذبه أطراف الحديث أي شاركه في الحوار⁸. وحدث كذا وبكذا تحديتا: خبر ونبا. ومحدث مخبر ومنبىء ،ومنه قوله تعالى: "يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها" أي تعلن أخبارها وأنباءها ،وأطلقت الأحاديث على الرؤى والأحلام لأن النفس تحدث بها في منامها، واسم فاعله محدث مفرد جمعه محدثون.⁹ والخبر من الحديث: حدث به وأشاعه وأظهره وفضاه فهو محدث أصاب أو أخطأ ،صدق أو كذب¹⁰.

¹ نشوان بن سعيد الحميرى ،شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ،تح :حسين بن عبد الله العمري ،دار الفكر المعاصر ،ط1 ،بيروت ،1420 هـ ، 1999 م ،ج10 ،ص6769.

² سورة المائدة آية 48.

³ زين الدين محمد الرازي ،مختار الصحاح ،تح : يوسف الشيخ محمد ،الدار النموذجية ،ط5 ،بيروت ،1420 هـ ، 1999 م ،ج1 ،ص320.

⁴ زين الدين محمد الرازي ،مختار الصحاح ،تح : يوسف الشيخ محمد ،الدار النموذجية ،ط5 ،بيروت ،1420 هـ ، 1999 م ،ج1 ،ص320.

⁵ سورة الضحى ،الآية 11 .

⁶ ابن منظور ، المصدر السابق ،ج2 ،ص134.

⁷ سورة النساء ،الآية 140 .

⁸ مجد الدين بن يعقوب الفيروزآبادى ،القاموس المحيط ،تح :محمد نعيم العرقسوسى ،ط8 ،مؤسسة الرسالة ،بيروت ، 2005 م ،ج1 ،ص612.

⁹ حسن عز الدين بن أحمد الجمل ،مخطوطة الجمل - معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن ،ط1 ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،مصر ، 2003 م ،ج1 ،ص375.

¹⁰ أحمد رضا ،المرجع السابق ، ج 5 ،ص 398 .

نلاحظ من التعريف اللغوي للمصطلحين : أن مناهج جمع مفردة منهاج وهو السبيل أو الطريق الواضح البين ولفظ المحدثين جمع للفظ المحدث وتحمل غالبا معنى الإخبار والإفشاء للكلام المنطوق والمسموع أو المقروء وسنتطرق لمفهومها الاصطلاحي فيما يأتي وخاصة في مصنفات رجال الحديث والعلل مقرونة بالمناهج التي قعدوا بها هذا العلم .

1 - 2 اصطلاحا :

إن العناية ببيان مناهج المحدثين في مصنفاتهم تصدرت كثيرا من البحوث والدراسات العلمية لما تشتمل عليه من فوائد حافلة وعظيمة ،ومن هذا المنطلق سنتطرق لمعرفة المعنى الاصطلاحي لمناهج المحدثين كمؤلفين تصدوا للبحث والتدوين منذ القرون الأولى لبداية التدوين ،فخرجت علوم السنة من عصارة تلك العقول ومن نتائج تلك الأفكار علوما عميقة، بعيدة الغور، دقيقة المسالك، فليس من السهل فهمها، ولا من المتيسر إدراكها، وعبر عن ذلك قائلهم بنوع من الطرافة، فقال: "الحديث ذكر يحبه ذكور الرجال ويكرهه مؤنثوهم"¹.

ومنه فإن تعريف مناهج المحدثين تعدد من مختص لآخر غير أن مدار أغلب التعريفات واحد ومشترك في معظمها ومنها :

تعريف السيوطي جلال الدين: "هي أحوال رواة الحديث، وصفاتهم، وأحوال متون الحديث وصفاتها، وما من حالة منها ولا صفة إلا وهي بصدد أن تفرد بالذكر وأهل له، فإذا هي نوع على حياله"².

في هذا التعريف مصطلحات بسيطة يسيرة الفهم إذ أن مناهج المحدثين عند صاحبه عنت بالراوي وأصوله العلمية من ضبط وسماع وحفظ ،وقواعده الخلقية من عدالة وصدق في النقل والإسناد وثبت ومسؤولية ، وما تعلق بمتن الحديث من ألفاظ وأسلوب ومقصد ،ثم بين أن لكل منها تفصيل وجب التفرد به وتبينه فعليها مدار القبول والرد .

¹ / عبد الله بن عدي الجرجاني، الكامل في ضعفاء الرجال، تح: عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون، ط 1، دار الكتب العلمية،

بيروت ، 1418 هـ، 1997م، ج 1، ص 58.

² / جلال الدين السيوطي، المصدر السابق، ج 01، ص 53.

وقد قارب صاحب التعريف في المعنى ، أنها كل محاولة بذلت خدمة للحديث رواية ونقلًا وتحصيلًا وجمعًا وفهمًا وهضمًا وتأصيلًا وحكمًا وتوضيحًا وتبيينًا¹ .

كما عرفه غيرهم من المتخصصين بما فحواه : مجمل الضوابط العلمية والعقلية التي تستند على الدقة والرجوع للقضايا التاريخية الثابتة ومقارنة الروايات بعرضها على بعضها أو سواها مما رآه المحدثون ضابطًا أو دليلًا لصحتها² .

والتي يشترك أغلب البشر في قبولها وإدراكها مع مراعاة القواعد الإيمانية في استعمال العقل ، فالكذب والشذوذ والتدليس واحد بين كل العقول إلا ما يستثنى من بعض المفارقات عند بعض المفاهيم .

كما عرفها غيره من أنها الطرق التي يسلكها المحدثون في رواية الحديث ، والتعليق عليها وتصنيفها حسب شروط معينة ، ويدخل في قوله "رواية الحديث" كل طرق التحمل والأداء³ الشفوية والكتابية ، وإنما أدخلت كلمة تصنيفها زيادة على الرواية لأن الرواية قد لا تكون تصنيفًا ، كرواية الصحابة والتابعين رضي الله عنهم قبل بدأ التصنيف ، أما قوله "بحسب شروط" لتدخل في ذلك الصفات التي يلتزمها كل محدث في رواة الأحاديث التي يختارها لكتابه وقوله "التعليق عليها" يدخل في ذلك الفوائد الإسنادية والفقهية التي يبرزها أو يشير إليها المحدثون⁴ .

كما عمد بعض المحدثين إلى تقسيم المناهج إلى قسمين : مناهج عامة : وهي الطرق التي يسير على كل منها جماعة من المحدثين ، المسانيد ، الجوامع ، السنن ، والمعاجم . أما القسم الثاني فهي المناهج الخاصة : كل طريقة يختص بها المحدث عن أمثاله ، مثل ما يختص به المسند للإمام أحمد ، والمسند لبقية بن مخلد عن غيرهما من المسانيد ، ومثل ما يختص به

¹ أحمد محرم الشيخ ناجي ، الضوء اللامع المبين عن مناهج المحدثين ، ط5 ، دار المسلم ، الرياض ، ص18 .
² عبد الله بن ضيف الله الرحيلي ، حوار حول منهج المحدثين في نقد الروايات سندا ومتنا ، ط01 ، دار المسلم ، الرياض ، 1414 هـ ، 1994 م ، ص12 .
³ سنتطرق لمفهوم المصطلحين في الفصل الثاني من البحث .
⁴ علي نايف بقاعي ، مناهج المحدثين العامة والخاصة (الصناعة الحديثية) ، ط2 ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، 1430 هـ ، 2009 م ، ص20 .

الجامع الصحيح للإمام البخاري والجامع الصحيح للإمام مسلم ، وجامع الترمذي وجامع الترمذي عن غيره من كتب الموضوعات.¹

ولعل هذا التعريف ومع سرد صاحبه له في التعريفات الاصطلاحية لمناهج المحدثين إلا أن الذي تبادر إلى أذهاننا ، أن مصبه في سياق مناهج المحدثين في التصنيف لا في التعامل مع الرواية فهو لم يذكر لأي رجل من أهل الفن منهاجا خاصا به في إثبات الرواية وعزوها لصحيح أو ضعيف ، ونكتفي بهذا القدر من التعريفات الاصطلاحية وننتقل لمعرفة أهمية دراسة هذه المناهج الرصينة التي تثبتت في أوجه التصحيفات والتحريفات وصاننت ميراث الأمة الإسلامية .

2 – نشأة مناهج المحدثين :

2 – 1 مكانة الحديث في التشريع الإسلامي :

أمر الله تعالى بإتباع رسوله دون مرء ، وطاعته دون جدال ، فقال : "وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا"² ، وحذرنا من مخالفته بالفتنة أو العذاب الأليم ، قال تعالى : "فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ"³ ، فلا ينبغي لمؤمن أن يتردد في الاحتكام إلى شرعه ، والالتزام بمنهجه وهديه . قال تعالى : "وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا " ⁴ .

ولا يشك مسلم في أن شرع الله تعالى وهديه يتمثل في القرآن الكريم والسنة المطهرة ولذلك قال تعالى : " قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ"⁵ ، وقال صلى الله عليه وسلم : "ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه"¹ .

¹ نور الدين عتر ، مناهج المحدثين العامة في الرواية والتصنيف ، ط1 ، دار طيبة الدمشقية ، دمشق ، 1429هـ ، 2007م ، ص 10 .

² سورة الحشر : الآية 07 .

³ سورة النور : الآية 63 .

⁴ سورة الأحزاب : الآية 36 .

⁵ سورة النور : الآية 54 .

فالكتاب والسنة² هما الشرع الحنيف، والدين القيم، من تمسك بهما رشد، ومن حكم بهما عدل، ومن عمل بهما أجر، ومن التزم بهما هُدي إلى صراط مستقيم، قال صلى الله عليه وسلم: "تركت فيكم أمرين لن تضلوا بعدي إن تمسكتم بهما، كتاب الله وسنتي"³.

فالسنة هي المصدر الثاني في التشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، وإنها حُجة جميع المسلمين اتفاقاً، وبنص القرآن الكريم في آيات عديدة⁴، ومهمة الرسول صلى الله عليه وسلم الأولى هي تبليغ الوحي الإلهي متمثلاً في القرآن الكريم، قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ " ⁵ ، وقال تعالى: " مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ " ⁶ . وقال تعالى : " وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى " ⁷ .

2 – 2 مظاهر اهتمام الصحابة بالحديث:

قرن الله تعالى طاعة رسوله بطاعته عز وجل، وجعل في التزامنا بذلك حياة لنا، قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ " ⁸، وجعل الله شرط الإيمان الصحيح الاحتكام إلى الله ورسوله، قال تعالى: " فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا " ⁹، وقال تعالى: " فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا " ¹⁰ ولا يجوز مخالفته البتة، وعملاً بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كل

¹ / محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته، ط3، دار المکتب الإسلامي، بيروت، 1408 هـ، 1988 حديث رقم: 1211، ص202.

² السنة النبوية، هي السنة الشريفة بشعبها جميعاً: القول والفعل والتقارير. أنظر: أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط1، مؤسسة الرسالة، 1421 هـ، 2001 م، ج1، ص12.

³ محمد ناصر الدين الألباني، المصدر السابق، حديث رقم: 48، ص76.

⁴ على عبد الباسط مزيد، منهاج المحدثين في القرن الأول الهجري وحتى عصرنا الحاضر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د،ط)، ج01، ص07.

⁵ سورة النساء: الآية: 59.

⁶ سورة النساء: الآية: 80.

⁷ سورة النجم: الآية: 04.

⁸ سورة الأنفال: الآية: 24.

⁹ سورة النساء: الآية: 59.

¹⁰ سورة النساء: الآية: 65.

أمّتي يدخلون الجنة إلا من أبى" ، قالوا: يا رسول الله! ومن يأبى؟ قال: "من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى" ¹ .

وعملا بالأدلة السابقة وإتباعا لأوامر النبي صلى الله عليه وسلم كان اهتمام الصحابة بالحديث والسنة ، وتجلى ذلك في عدة مظاهر تدل على اهتمام الصحابة رضي الله عنهم بذلك ، ومن أهمها حرصهم على حضور مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم لسماعه والرواية عنه والالتزام به والالتزام بأوامره وتوجيهاته ، ومما يدل على ذلك ما رواه البخاري في صحيحه عن عمر رضي الله عنه - قال: كنت أنا وجار لي من الأنصار من بني أمية بن زيد، وهي من عوالي المدينة، وكنا نتناوب النزول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل يوماً وأنزل يوماً، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك ².

كما حرص بعضهم على سماع الحديث من الرسول صلى الله عليه وسلم أكثر من مرة ليحدث به غيره؛ فقد جاء في صحيح مسلم قول عمرو بن عَبَسَةَ السلمي رضي الله عنه بعد أن حدّث بحديث: لقد كبرت سني، ورق عظمي، واقترب أجلي، وما بي حاجة إلى أن أكذب على الله ولا على رسول الله صلى الله عليه وسلم لو لم أسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا مرة أو مرتين أو ثلاثاً - حتى عدّ سبع مرات - ما حدثت به أبداً؛ ولكني سمعته أكثر من ذلك ³. كما حرصوا على أن تتقل أقواله صلى الله عليه وسلم كما صدرت منه نقيّة غير مشوبة بشائبة وغير محرفة أدنى تحريف ⁴.

¹ / رواه البخاري حديث رقم : 7280 ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 318 .

² / نفسه ، حديث رقم : 89 ، باب التناوب على العلم ، ج 1 ، ص 89 .

³ / مسلم ابن الحجاج ، المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تح محمد

فؤاد عبد الباقي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، حديث رقم : 1430 ، باب إسلام عمر بن عبسة ، ج 1 ، ص 569 .

⁴ / علي عبد الباسط مزيد ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 37 .

2 – 3 تدوين الحديث في العهد النبوي وإرهاصات ظهور منهج المحدثين :

اتخذ الصحابة رضي الله عنهم الحيطة في حفظ الحديث وفي ضبط سماعه، وخاصة بعدما سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لهم محذراً من الكذب عليه: "مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ"¹، ومن مظاهر اهتمام الصحابة بالسُّنَّة: تدوينها في صحف، وهذا التدوين في كتب، أو صحف، أو رسائل² يعد من الجهود الهامة التي قام بها الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.³

وثبت عن عدد كبير من الصحابة رضوان الله عليهم أنهم كتبوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مباشرة، ومن هؤلاء: عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، فقال في الحديث الذي رواه الدارمي وغيره: "فأما الصادقة فصحيفة كتبها من رسول الله صلى الله عليه وسلم"⁴، وصحيفته الصادقة مشهورة عند المحدثين، وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: " ما من أصحاب النبي أحد أكثر حديثاً عنه مني؛ إلا ما كان من عبد الله بن عمرو؛ فإنه كان يكتب ولا أكتب"⁵، كما أن أبا هريرة تعلم الكتابة مؤخرًا ثم أتقنها بعد ذلك، فكان النهي في حقه في مرحلة مبكرة خشية الخطأ، ثم كتب بعد ذلك لما تمكن من الكتابة⁶، فقد روي عنه قوله: "إنني أملك أحاديث مكتوبة تملأ خمسة أجولة"⁷.

¹ رواه مسلم : 03، باب التحذير من الكذب .
² يجب أن نبين في هذا الموضوع مسألة الخلاف في تدوين السنة النبوية مبتعدين على منهج من يضرب الأدلة ببعض كالمستشرقين وغيرهم ، وأن نسرد خلاصة الموضوع مما أجمع عليه أهل الفن ما ذكره النووي عن القاضي عياض في شرحه له ثلاث إجابات كلها مقبولة ومحتملة: الأولى: أن نهي النبي -صلى الله عليه وسلم- كان موجهاً لمن يثق بحفظه خشية اتكاله على الكتابة، وأما من لم يثق بحفظه فقد أذن له بالكتابة، الثانية: أن حديث النهي منسوخ بحديث الإذن بالكتابة فقد كان النهي حين خيف اختلاطه بالقرآن، فلما أمن ذلك أذن في الكتابة ، الثالثة: أن النهي كان منصباً على الكتابة في صحيفة واحدة "أي: كتابة السُّنَّة مع القرآن في صحيفة واحدة" خشية الاختلاط، وحتى لا يشبهه على القاريء. أنظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح: أحمد محمد شاكر ، ط01 ، دار الحديث ، القاهرة ، 1416 هـ ، 1995 م ، ج6 ، ص70 .
³ رفعت فوزي عبد المطلب ، توثيق السنة في القرن الثاني الهجري أسسه واتجاهاته ، ط1 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1400 هـ ، 1981 م ، ص32 .
⁴ رواه الدارمي : 513 ، باب من رخص في كتابة الحديث .
⁵ رواه البخاري : 113 ، باب كتابة العلم .
⁶ علي عبد الباسط مزيد ، المرجع السابق ، ج1 ، ص45 .
⁷ أجولة : آلة يصاد به الطيور والسباع ، أنظر: رينهارت بيتر أندوزي ، تكملة المعاجم العربية ، تر: جمال الخياط ، ط1 ، وزارة الثقافة والإعلام ، العراق ، 2000 م ، ج8 ، ص28 .

وكانت مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه صحيفة في جراب سيفه سأله أبو جحيفة¹ عما فيها فقال: العقل "أي: الأحكام المتعلقة بالدية" وفكاك الأسير، ولا يقتل مسلم بكافر².
ولعل فيما ذكر كفاية لتبيين حال الصحابة مع الحديث ، ولا يسع المقام للتفصيل في ذلك ، فالموضوع طويل ومتشعب وفيه خلاف طويل بين رجال الحديث ، ولعلنا نكتفي بالراجح بينهم رحمهم الله ونفتح الباب لمنهج المحدثين على عهد الصحابة في التعامل مع الأثر لأنهم أول المتعاملين معه ، وأصدق الناقلين له، شربوا من مناهله الصافية النقية وطبقوا مناهجهم المستقاة من مدرسة النبوة المحمدية كيف لا وكلهم " ثقات عدول "³ رضي الله عنهم أجمعين .

2 - 4 منهج المحدثين على عهد الصحابة⁴ وظهور النقد الحديثي :

طالما كان النبي صلى الله عليه وسلم بين ظهرائي أصحابه يعلمهم الكتاب والحكمة، ويزكيهم كانوا سعيدين به في أمر دينهم، ودنياهم فلم يعد هناك خوف على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعمال المنافقين ودجل الكذابين.

فالوحي ما دام يتنزل على نبي الله يفصح أمرهم ويكشف سرهم، والسنة في أمن من عبثهم وكيدهم : " يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ " ⁵ ، كما أنه لم يكن هناك مجال لنقد الحديث، وروايته بدون الرجوع إلى صاحب الرسالة، فقد كانوا إذا جد بينهم

¹ أبو جحيفة السوائي : وهب بن عبد الله بن مسلم، من صغار الصحابة، من أسنان بن عباس ، لم يكن قد بلغ الحلم حين توفي النبي، روى عدة أحاديث، كان على شرطة علي بن أبي طالب وبيت المال، توفي سنة 74 هـ ، أنظر: شمس الدين الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون ، ط3 ، مؤسسة الرسالة ، 1405 هـ ، 1985 م ، ج 3 ، ص 202 .

² رواه البخاري : 3047 ، باب فكاك الأسير .

³ سياأتي التفصيل في الكلمتين في الفصل الثاني من البحث .

⁴ الصحابة : لرفع اللبس عن هذا المصطلح وخاصة لمن يتناول الموضوع من غير المتخصصين في الحديث وجب التنبيه على أن الصحابي : من رأى النبي صلى الله عليه وسلم في حال إسلام الراوي ، وإن لم يرو عنه شيئاً ، ولقد نص الإمام أبو زرعة ، وغيرهما كابن عبد البر وابن منده وابن الأثير على أن مجرد الرؤية كاف لإطلاق الصحبة ، كما رأى غيرهم كسعيد ابن المسيب لا بد أن يصحبه سنة أو سنتين ويغزو معه غزوة أو غزوتين ، قال ابن حجر : أصح ما وقفت عليه من ذلك أن الصحابي : من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمناً به ومات على الإسلام ، فيدخل فيمن لقي من طالت مجلسته ، أو قصرت ، ومن روى عنه أو لم يرو ، ومن غزى معه أو لم يغز ، ومن رآه رؤية ولم يجالسه ، ومن لم يره لعارض كالعمرى . وأمثلة التعاريف تلك التي خطها الإمام البخاري في صحيحه : من صحب النبي صلى الله عليه وسلم أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه ، وبلغنا عن أب المظفر السمعاني المروزي أنه قال : أصحاب الحديث يطلقون اسم الصحابة على كل من روى عنه حديثاً ، أو كلمة ، ويتوسعون حتى يعدون من رآه رؤية من الصحابة ، وهذا لشرف منزلة الرسول صلى الله عليه وسلم ، أعطوا لكل من رآه حكم الصحبة . أنظر : زكرية أحمد غلفان زكري ، المنهج العلمي للصحابة في رواية الحديث ، ط 01 ، دار الداعي ، الرياض 1427 هـ ، ج 01 ، ص 372 ، 371 .

⁵ سورة التوبة : الآية 64 .

خلاف لجئوا إلى حضرة النبي صلى الله عليه وسلم، كما أمرهم الله بذلك " فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ " ¹، ثم بعد رحيله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى، تاركا خلفه رجالا عدولا ثقات، كيف لا وقد زكاهم رب العزة والجلال، ورباهم النبي صلى الله عليه وسلم العدلان، قال الله تعالى: "وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ" ² فما ظننا بمن رضي الله عنهم ورضوا عنه وهي تزكية ما بعدها تزكية .

ثم بعد اتساع رقعة الفتوحات الإسلامية، واختلاط اللسان العربي مع الأعجمي وظهور اللحن في اللفظ والمعنى وامتداد سلسلة الإسناد بين الرواة، وظهور المرجفين والمندسين ممن دخل الإسلام بلسانه لا بقلبه واجتهد في الوضع والكذب، من هنا اهتم المسلمون بنقد السند فبحثوا في الرواة من حيث العدالة ومن حيث الضبط، جرحا وتعديلا وتوثيقا وتضعيفا، ولما بدأت تتعدد حلقات الإسناد بحث أهل الفن فيه من حيث الاتصال والانقطاع، خشية سقوط اسم احد الرواة من الإسناد، غفلة أو قصدا لعله فيه رادة لنقله، كما كان لابد من النظر في المرويات بعين بصيرة ونظر ثاقب، إذ قد يكون المروي مما لا يتصور صدوره عن النبي صلى الله عليه وسلم، فيحكم عليه العلماء بالرد دون الحاجة للنظر في إسناده أصلا، بل قد يكون مردودا حتى لو صح السند ظاهرا وهذا يسمى نقد المتن ³ .

وهنا وجب الوقوف على أقدم تعريف لمنهج النقد عند المحدثين ما ساقه ابن أبي حاتم ⁴ :

تميز الأحاديث الصحيحة من الضعيفة، والحكم على الرواة توثيقا وتجريحا ⁵ .

¹ /سورة النساء : الآية 59.

² /سورة التوبة : الآية 100.

³ /صلاح الدين ابن أحمد الإدليبي، منهج نقد المتن عند علماء الحديث النبوي، ط01، دار الفتح للدراسات والنشر، القاهرة 2013، ص18.

⁴ /أبو حاتم : محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران، الحافظ، شيخ المحدثين ولد سنة 195 هـ وهو من نظراء البخاري، ومن طبقتة، ولكنه عمر بعده أزيد من عشرين عاما، توفي سنة 277 هـ، أنظر: الذهبي، المصدر السابق، ج13، ص247، 263.

⁵ /أبو محمد عبد الرحمن الرازي ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، تح: المعلمي اليماني، ط01، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1271 هـ 1952 م، ج1، ص11.

وهذا هو الهدف الأسمى من عملية نقد الأثر عند المحدثين ، أي تمييز أقوال النبي صلى الله عليه وسلم من أقوال غيره ، للعمل بما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم وطرح ما سواه ، ولا يمكن ذلك إلا بمعرفة أحوال حملة الآثار ورواة الحديث ، فيأخذ حديث أهل العدالة والضبط ، و يهمل حديث أهل الكذب والضعفاء ضعفا غير هين .¹

كان لظهور هذه المناهج وتربعها على عرش العلوم الشرعية دوافع ومستجدات منها وفاة الصحابة ومعظم التابعين الذين كانوا يحفظون سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونزول الإسناد² واستحالة لقيا جميع الرواة الموصّلين إلى النبي صلى الله عليه وسلم وظهور المذاهب الفقهية ، ومن ثم الاختلاف بين الأئمة ومحاولة توثيق ما عندهم من الأحاديث ومناقشة مخالفهم ، وتمخض عن ذلك حركة كبيرة في توثيق السُّنة خاض غمارها الأحناف والشافعي وأصحاب مالك رضي الله عنهم أجمعين ، وكثرة الوضع في الحديث ، وكثرة الخطأ فيه من قبل بعض المنتسبين إلى الإسلام من ضعاف الإيمان وأهل البدع .

في العصر الأول لم تدون السُّنة تدوينًا شاملاً خوفاً من اختلاطها بالقرآن ، وأما في عصر أتباع التابعين كثر الحفاظ والكتابة وزال الخوف السابق ، فضلاً عن الحاجة الماسة لهذا التدوين ، خشية اندراس السُّنة وضياعها بموت حفاظها³ .

3 — فوائد وأهمية دراسة مناهج المحدثين :

لدراسة مناهج المحدثين فوائد جمة وعديدة ومنها : هذه المناهج مفخرة من مفاخر هذه الأمة من ناحية السبق أولاً ، ومن جهة الشمولية والموضوعية ودقة النتائج ثانياً ، وهذا ما شهد به أهل الإنصاف من غير المسلمين حتى قال مرجليوث⁴ : "ليفتخر المسلمون ما شأؤوا بعلم حديثهم"¹

^{1/} حسن فوزي حسن الصعيدي ، المنهج النقدي عند المتقدمين من المحدثين وأثر تباين المنهج ، رسالة ماجستير في الدراسات الإسلامية ، كلية التربية ، جامعة عين شمس ، القاهرة 2001 ، ص 09 .

^{2/} الإسناد النازل : هو الذي كثر عدد رجاله أي رواته بالنسبة إلى سند آخر يرد به ذلك الحديث بعدد أقل ، قال ابن المديني : النزول شؤم ، وهذا إذا تساوى الإسنادان في القوة أي انه غير مرغوب عند العلماء . أنظر : الإدلبي ، المرجع السابق ، ص 13 .

^{3/} رفعت فوزي عبد المطلب ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 56 ، 57 .

^{4/} ديفيد صامويل مارجليوث : مستشرق انجليزي ولد سنة 1274 هـ / 1858 م ، عمل قسا في إنجلترا ثم مدرسا للغة العربية في جامعة أوكسفورد ، مات سنة 1940 م من مؤلفاته : "التطورات المبكرة في الإسلام" ، و"محمد ومطلع الإسلام" ، و"الجامعة الإسلامية" أنظر : الزركلي ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 329 .

ويقول أحد المستشرقين : " لا يعد الحديث صحيحا في نظر المسلمين ، إلا إذا تتابعت سلسلة الإسناد من غير انقطاع ، وكانت تتألف من أفراد يوثق بروايتهم ، وتحقيق الإسناد جعل علماء المسلمين يقتلون الأمر بحثا ، ولم يكتفوا بتحقيق أسماء الرجال وأحوالهم لمعرفة الوقت الذي عاشوا فيه ، وأحوال معاشهم ، ومكان وجودهم ، ومن كان منهم على معرفة شخصية بالآخر ، بل فحصوا أيضا عن قيمة المحدث صدقا وكذبا ، وعن مقدار تحريه الدقة والأمانة في نقل المتون ليحكموا أي الرواة ثقة في روايته "2 .

والحق ماشهد به الأعداء ، ومعرفة شروط الأئمة أصحاب المصنفات على اختلاف أحكامهم ، وبذلك تمييز المتشدد من المتساهل ، فما يصححه ابن حبان قد لا يصححه البخاري وما يقبله الذهبي قد يرده مسلم أو غيره ، كما يطلعنا على معرفة الطرق التي تحملت بها الرواية الحديثة سماعا أو عرضا أو إجازة أو وجادة³ ، وضبط أساليبهم في أخذها وإعطائها ، والإطلاع على الأدوار التي مر بها المنقول منذ عصر النبي صلى الله عليه وسلم إلى الآن ، ومعرفة الأهوال والخطوب التي هالت الذين ناءوا بهذا الأمر الجليل ، وأصحاب هذه المناهج يمثلون الطود الشامخ لا تلين لهم عريكة ولا تنكسر لهم قناة ، وهم يواجهون في صبر وأناة ضراوة أولئك العداة ، خدمة للسنة الغراء⁴ .

كما أن لدراسة مناهج المحدثين يكشف منحي التصنيف عندهم ويرفع اللبس عن طريقة ظهور كتب الطبقات والسير والمغازي ، كما تساعد في تحقيق المخطوطات الحديثية والتاريخية ، ولا يسوغ لأي محقق جهل تلك المناهج إطلاقا ، كما تجعلنا أكثر قدرة على فهم مصنفاتهم أبلغ في الاستفادة منها ، إذ كيف يفهم كتاب ويستفاد منه دون معرفة منهج مؤلفه ومقاصده ، كما أن معرفة الطرق والمناهج التي سلكها المحدثون في رواية الحديث ونقده ، وما بذلوه من جهود في

¹ ابن أبي حاتم ، المصدر السابق ، مقدمة المحقق ، ص 2 .
² م. ت. هوتسما ، وآخرون ، دائرة المعارف الإسلامية ، تح: إبراهيم زكي خورشيد وآخرون ، تر: نخبة من الأساتذة المصريين ، ط 1 ، مركز الشارقة للإبداع الفكري ، أبو ظبي 1418 هـ ، 1998 م ، ج 6 ، ص 335 .
³ علي نايف بقاعي ، المرجع السابق ، ص 21 .
⁴ أحمد محرم الشيخ ناجي ، المرجع السابق ، ص 09 .

سبيل ذلك تجعلنا نطمئن إلى حفظ هذا الدين ، تصديقا لقوله تعالى : " إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ " 1 .

ومن الفائدة دفع التوهم للقدح في بعض الأئمة وخاصة البخاري ومسلما شيخي أهل الحديث ، إذ أن الطعن وقع من جهال بهذه المناهج والقواعد فضلا عن ضعف بعض النفوس ومن فوائد معرفة مناهج المحدثين أيضا ما ذكره نور الدين عتر² : أغراض أعداء الإسلام والحديث التي تستغل جهل المثقف المسلم بل جهل كثير من طلبة العلم وحملته بمناهج المحدثين وشروطهم ومقاصدهم الدقيقة في كتبهم³ .

كما أن معرفتها تمكننا على الإطلاع على مكانة ومنزلة أصحاب المصنفات وترفع مكانة أهل الحق منهم في نفوسنا أكثر مما كانت قبل ذلك ، وفائدة أخيرة هي أن دراسة هذه المناهج تساعد على تنمية التفكير العلمي والمنهجي لدى الدارس ، وتكسبه مهارة في البحث تيمنا بهذه المناهج الرصينة ووفق أسس علمية مدروسة ودقيقة⁴ .

تتوعدت مناهج المحدثين في التصنيف والتخريج ، و النقد أهم هذه المناهج التي تفضي القبول أو الرد على المنقول من الأثر كأساس أثر وارتبط بغيره من العلوم كالتاريخ وعلوم اللغة وغيرها⁵ .

والنقد الحديثي : هو تمحيص الروايات الحديثية ، والتمييز بين المقبول منها والمردود من خلال التمييز بين أحوال الرواة جرحا وتعديلا⁶ ، ومن خلال السند اتصالا وانقطاعا ، ومن خلال الواقع

1/ سورة الحجر، الآية : 09 .

2/ الدكتور نور الدين محمد عتر من حلب، ولد سنة 1937 م، رئيس قسم علوم القرآن والسنة في كلية الشريعة بجامعة دمشق ، وأستاذ الحديث وعلومه في عدد من الجامعات والكليات ، أنظر : <http://www.ahlalhddeeth.com> ، تمت زيارته في 2020/08/28 ، 15:15 سا .

3/ نورالدين عتر ، المرجع السابق ، ص 03 .

4/ علي نايف بقاعي ، المرجع السابق ، ص 23 .

5/ حميد يوسف قوفي ، المنهج النقدي الحديثي والمرويات التاريخية ، مجلة جامعة الشارقة ، المجلد 14 ، العدد 02 ، ديسمبر 2017 ، ص 292 .

6/ سيأتي التفصيل فيها : تأثر مناهج المحدثين بمناهج المؤرخين في ثنايا البحث .

إصابة وتخطئة ، فالنقد الحديثي موضوعه السند والمتن ، أما نقد السند فيهتم ببيان حال الراوي : هل هو ثقة أو لا ، وهل أصاب أو أخطأ ، ويهتم ببيان حال الاتصال أو الإنقطاع ، وأما نقد المتن فيهتم ببيان الصواب والخطأ فيه ، ككنازته لمخالفته لصحيح القرآن وغير ذلك مما هو معلوم في كتب علل الحديث .

نكتفي فيما سبق من فوائد دراسة مناهج المحدثين وننتقل إلى تعريف علم التاريخ فيما يأتي من البحث .

تعريف علم التاريخ ومناهجه :

أولاً – تعريف علم التاريخ :

1- لغة:

تعددت وتنوعت المفاهيم اللغوية المقدمة لعلم التاريخ، مما جعلنا نذكر أهم المفاهيم ذات الصلة بمحور بحثنا نذكر منها:

قال ابن منظور: أرخ: التأريخ: تعريف الوقت، والتوريخ مثله. أرخ الكتاب ليوم كذا: وقته والواو فيه لغة، وزعم يعقوب أن الواو بدل من الهمزة، وقيل: إن التأريخ الذي يؤرخه الناس ليس بعربي محض، وأن المسلمين أخذوه عن أهل الكتاب، وتأريخ المسلمين أرخ من زمن هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ كتب في خلافة عمر رضي الله عنه فصار تاريخاً إلى اليوم¹.

قال الجوهري: التاريخ تعريف الوقت و التوريخ مثله يقال أرخت و ورخت، وقيل: اشتقاقه من الأرخ يعني بفتح الهمزة وكسرها، وهو الأنثى من بقر الوحش لأنه شيء حدث كما يحدث الولد². وقد فرق الأصمعي بين اللغتين فقال: بنو تميم يقولون: ورخت الكتاب توريخاً، وقيس تقول: أرخته تاريخاً، وهذا كونه عربياً. وقيل: إنه ليس بعربي محض بل هو معرب مأخوذ من "ماه روز" بالفارسية، ماه: القمر وروز: اليوم وكان الليل طرفة³.

قال أبو منصور الجواليقي في كتابه المعرب من الكلام الأعجمي: يقال إن التاريخ الذي يؤرخه الناس ليس بعربي محض وإنما أخذه المسلمون عن أهل الكتاب، وتاريخ المسلمين أرخ من سنة الهجرة كتب خلافة عمر رضي الله عنه فصار تاريخاً إلى اليوم⁴.

^{1/} جمال الدين ابن منظور، المصدر السابق، ج 3، ص 4.

^{2/} نفسه، ج 3، ص 5.

^{3/} عبد الرحمن السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، ط 3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1399 هـ، 1979 م، ص 3.

^{4/} نفسه، ص 4.

يقال : أرخت الكتاب ، وورخته ، أي : بينت وقت كتابته ، قال أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب في كتاب «الخراج» له : تاريخ كل شيء آخره ، فيؤرخون بالوقت الذي فيه حوادث مشهورة¹ ، أرختُ الكتاب تأريخًا ، وورّختُهُ تاريخًا ، ويقال أيضاً : أرختُهُ أرخًا ، وورّختُهُ ورّخًا² .

نكتفي بما ذكر في التعريفات اللغوية كون مدارها واحدا بين المختصين ، سوى اختلاف الكلمة من كونها عربيا أو أعجميا ، إلا أنها حملت معنى التوقيت للشئ وحبسه على اجل معلوم ، وننتقل للتعريف الاصطلاحي لعلم التاريخ لعلنا نبلغ القصد بينهما فيما يأتي .

2 - إصطلاحا :

تعددت التعريفات الاصطلاحية المقدمة لعلم التاريخ منها تعريف السخاوي : "التعريف بالوقت الذي تضبط به الأحوال من مولد الرواة والأئمة ووفاة وصحة وعقل وبدن ورحلة وحج وحفظ وضبط وتوثيق وتجريح وما أشبه هذا مما مرجعه الفحص عن أحوالهم في ابتدائهم وحالهم واستقبالهم ، ويلتحق به ما يتفق من الحوادث والوقائع الجليلة من ظهور ملمة وتجديد فرض وخليفة ووزير وغزوة وملحمة وحرب وفتح بلد وانتزاعه من متغلب عليه وانتقال دولة ، وربما يتوسع فيه لبدئ الخلق وقصص الأنبياء وغير ذلك من أمور الأمم الماضية وأحوال القيامة ومقدماتها مما سيأتي دونها كبناء جامع أو مدرسة أو قنطرة أو رصيف أو نحوها مما يعم الانتفاع به مما هو شائع مشاهد أو خفي سماوي كجراد وكسوف وخسوف أو أرضي كزلزلة وحريق وسيل وطوفان وقحط وطاعون وموتان وغيرها من الآيات العظام والعجائب الجسام . والحاصل أنه فن يبحث فيه وقائع الزمان من حيثية التعيين والتوقيت بل عما كان في العالم"³ . استوقفنا هذا التعريف الشامل لما جمع في ثناياه أغلب أحوال الإنسان والأمم والدول وما توالى عليها من خطوب ومدلهمات ، وكيف مرت عبر العقبات الحضارية والتطورات العمرانية مثبتة بزمام ومعلمة بخطام وهو الوقت أو التاريخ والحيز أو المكان .

¹ جمال الدين أبو الفرج ابن محمد الجوزي ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، تح : محمد عبد القادر عطا ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1412 هـ ، 1992 م ، ج1 ، ص08 .

² ابن السكيت أبو يوسف يعقوب ابن اسحاق ، إصلاح المنطق ، تح : محمد مرعب ، ط1 ، دار احياء التراث العربي ، 1423 هـ ، 2002 م ، ج1 ، ص122 .

³ عبد الرحمان السخاوي ، المصدر السابق ، ص05 .

كما ذكره ابن خلدون بما نصه " اعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب، جم الفوائد، شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم، حتى تتم فائدة الإقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا " ¹. وقال : "فإنَّ فنَّ التَّاريخ من الفنون التي تتداوله الأمم والأجيال وتشدُّ إليه الرِّكائب والرِّحال، وتسمو إلى معرفته السُّوقة والأغفال، وتتنافس فيه الملوك والأقوال ، وتتساوى في فهمه العلماء والجهَّال، إذ هو في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيَّام والدُّول، والسَّوابق من القرون الأولى" ² . ولعل ابن خلدون اقتصر في تعريفه على ظاهر أحوال التاريخ مبطناً أن في حواياه فوائد وعبر وأسوة ونظر لمن تدبر واعتبر ،كيف لا وقد أمر الله أن ننظر في سير الأولين قال الله في كتابه العزيز في أكثر من موضع: " أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا " ³ ثم أبان الفائدة بقوله عز من قائل "قَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى" ⁴ .

كما ذهب غيره كالمسعودي : على أنه علم يستمتع به العالم والجاهل، ويستعذب موقعه الأحمق والعاقل، فكل غريبة منه تعرف، وكل أعجوبة منه تستظرف، ومكارم الأخلاق ومعاليها منه تقتبس، وآداب سياسة الملوك وغيرها منه تلتمس، يجمع لك الأول والآخر، والناقص والوافر، والبادي والحاضر، والموجود والغابر، وعليه مدار كثير من الأحكام، وبه يتزين في كل محفل ومقام، وإنه حملة على التصنيف فيه وفي أخبار العالم محبة احتذاء المشاكلة التي قصدها العلماء وقفها الحكماء، وأن يبقى في العالم ذكراً محموداً، وعلماً منظوماً عتيداً ⁵ .

ومن تعريف المسعودي نستنبط بساطة هذا العلم لمن نحل منه منحلاً ظاهراً لقصص ولهو، وعزيز الشأن شديداً على ذي لب وعقل، إليه المرجع في الأحكام والأعراف والعوائد وعليه

¹ عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر،تح: خليل شحادة، ط 2 ،دار الفكر، بيروت،1408هـ/1988م، ج 1، ص 121 .

² ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 01 ،ص 06 .

³ سورة يوسف ، الآية : 109 .

⁴ سورة يوسف ، الآية : 111 .

⁵ المسعودي أبي الحسن بن علي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ،تح : كمال حسن مرعي ،ط1 ،المكتبة العصرية ، بيروت ، 1425هـ ، 2005 م ، ج 1 ،ص 09.

المرتکز في انطلاق الأمم والحضارات تأسيساً بمن سلف وتقسيماً لمن غير .

كما عرفه الكافيحي¹ : "وأما علم التاريخ فهو علم يبحث عن الزمان وأحواله وعن أحوال ما يتعلق به من حيث تعيين ذلك وتوقيته"²، أما المقرزي فقد عرفه : "الإخبار عما حدث في العالم في الزمان الماضي"³ .

من الملاحظ أن المؤرخين في القرون الثلاثة الأولى لم يدونوا تعريفاً كاملاً ومحدداً لعلم التاريخ، إنما كانوا يكتفون بذكر فوائده وأغراضه، ومن المعلوم أن العلم قد يعرف ببعض أنواعه أو أمثله، أو بذكر غاياته⁴ .

وجب التنبيه أن إذا كان التاريخ هو الزمان، وما وقع فيه من الحوادث، فلا عبء إذا بطول الزمان أو قصره، ولا عبء كذلك بضالة الأحداث أو ضخامتها، فالزمن الطويل يتكون من الساعات القصيرة، والحدث العظيم من تجمع الحوادث الصغيرة، كل في نطاق زمني ومكاني محدد⁵ .

فإن كانت كلمة التاريخ تشير إلى كل من عملية التطور التاريخي وإلى وصف تلك العملية، ولكنهما أمران مختلفان تماماً، قد لا يميز بعضنا بينهما تمييزاً دقيقاً في أكثر الأحيان، فالتاريخ ينبغي أن يعرف بالوصف الأدبي لأي نشاط إنساني ثابت سواء قام به الأفراد أو الجماعات، والذي يتجلى في تطور أي جماعة أو فرد، ويؤثر على ذلك، ففي هذا المعنى فقط يستطيع التاريخ أن يكون موضوع دراسة علمية بالمعنى الدقيق⁶ .

¹ محمد بن سليمان ابن سعد الرومي الحنفي، اشتهر بمصر ولازمه السيوطي أربع عشرة عاماً، له تصانيف منها: المختصر في علم التاريخ، ولد عام 788 هـ وتوفي 879 هـ، عرف بالكافيحي لكثرة اشتغاله بالكافية في النحو. أنظر: الزركلي، المصدر السابق م، ج 6، ص 150 .

² نقلاً عن عبد العليم خضر، المسلمون وكتابة التاريخ، ط 2، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض، 1995م، ص 24 .

³ فرانز روزنثال، علم التاريخ عند المسلمين، تر: صالح أحمد العلي، ط 02، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983م ص 26 .

⁴ محمد بن صامل السلمي، منهج كتابة التاريخ الإسلامي وتدرسه، ط 1، دار الوفاء، القاهرة، 1408 هـ، 1988م، ص 50 .

⁵ فرانز روزنثال، المصدر السابق، ص 18 .

⁶ عبد العليم عبد الرحمان خضر، المسلمون وكتابة التاريخ، دراسة في التأصيل الإسلامي لعلم التاريخ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1990م، ص 23 .

وما يجب التنبيه عليه أن فترة التاريخ الإسلامي هي المعنية بالبحث فالتخصص أوجب ذلك وليس المقام هنا للتعريج على ما قبلها فقد اهتم المسلمون بكتابة التاريخ بأساليب مختلفة منذ القدم، وأكبر دليل على ذلك هو الرصيد الكبير الهائل من كتب التاريخ عند المسلمين منذ ابتداء عصر التدوين في أواخر القرن الثاني الهجري إلى يومنا هذا، وقد افتنوا في تفريعها إلى فنون كثيرة، فنراهم كتبوا في تاريخ العرب القديم والحديث، وفي أيام العرب في الجاهلية والإسلام، وفي مغازي الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته، وفي الفتوح وفي تاريخ الرجال وطبقاتهم، وفي تاريخ المدن والأمصار والخطط، وفي التاريخ السياسي العام والخاص، وفي تاريخ الرسل والملوك، وفي الأنساب وتواريخ القبائل، بل كتب بعضهم في المعارف العامة التي تتصل بالتاريخ منذ بدء الخليقة إلى عصره¹.

ونستطيع القول بأن المعنى الحقيقي الشامل للتاريخ كان راسخا منذ القرن الثاني الهجري، ثم تطور معنى التاريخ عموما باستعمال كتب الحوليات لهذه الكلمة، وبدأ استعمالها يعم ببطء منذ القرن الثالث الهجري فيما بعد²، والحاصل أن التاريخ علم نظري إنساني، يبحث فيه عن حوادث الزمان، من حيث التعيين والتوقيت، والتفسير والتعليل، وشمل نقل الحدث بالرواية أو المشاهدة مع التعليل³، وككل علم وضعت له مناهج وأسس وقواعد سطرها أهل الفن، ممن خاض غماره في بداياته أسس له أصوله معرجين على المفاهيم .

ثانيا - مناهج المؤرخين نشأتها وأهمية دراستها .

1 - لغة :

يتكون مفهوم مناهج المؤرخين مركب إضافي من كلمتين "مناهج"⁴ مضاف ، و"المؤرخين" مضاف إليه ، ووجب تعريف كل شق على حدة ونستهله بالتعريف اللغوي :

¹ سهيل حسن عبد الغفار ، علوم الحديث وأثرها في علم التاريخ ، دراسة مقارنة ، مجلة جامعة الشارقة ، المجلد 1، العدد 02 ديسمبر 2016 ، ص 198 .

² نفسه، ص 199 .

³ محمد بن صامل السلمي ، المرجع السابق ، ص 52 .

⁴ تناولنا لفظ المناهج في المبحث الأول من الفصل الأول ، أنظر ص 34 ، 35 .

مناهج ، المؤرخون¹ : جمع مفردة مؤرّخ : أرّخ يؤرّخ تأريخا ،فهو مؤرخ ،والمفعول مؤرّخ ،وأرّخ الرسالة : حدد تاريخها " كانت رسالته مؤرّخة في غرة رجب " وأرّخ الحادث : فصل تاريخه وحدد وقته " كثر الذين أرخوا السيرة النبوية "وأرّخ للقوم: كتب تاريخ حياتهم وأحداثهم وحضارتهم ،أرّخ: أرّخا وأرّخ تأريخا وأرّخ الكتاب: وقته وجعل له تأريخا، فهو أرّخ ومؤرخ. والكتاب مؤرخ ومؤرخ، والاسم الأرخة.¹ والرّاجح عند الجمع: تواريخ، ولم يقولوا: تأريخ وفاعله مؤرخ ،مفرد جمعه مؤرخون ومورخون² .

أرّخ الكتاب وورّخه فهو مؤرخ ومورخ³ ، ويؤرّخ، يقال: أرّخ يؤرّخ تأريخا: إذا ضبّط وقت شيء. وفي الحديث: "ما أرّخ من مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا من مبعثه، إنّما أرّخ من مقدّمه المدينة"⁴.

2 - اصطلاحا:

إن العناية ببيان مناهج المؤرخين في مصنفاتهم ، تصدرت كثيرا من البحوث والدراسات العلمية ،لما تشتمل عليه من فوائد حافلة وعظيمة ،كيف لا وها هو المنهج الخلدوني قد أثر حتى على العجم وجعلهم مشربيين لآثار أنامله و سويدات بنانه ،ومن هذا المنطلق سنتطرق لمعرفة المعنى الاصطلاحي لمناهج المؤرخين المسلمين ،كمصنفين تصدروا للبحث والتدوين ،منذ القرون الأولى لبداية التدوين .

ومنه فإن تعريف مناهج المؤرخين تعددت من مختص لآخر على أن مدار أغلب التعريفات واحد ومشترك في معظمها ومنها : مجمل القواعد والشروط التي يجب مراعاتها عند معالجة أي حدث تاريخي ،سواء بالكتابة والتأليف أم بالدراسة والتعليم ،وهذه الشروط تتناول

¹ أحمد رضا ،المرجع السابق ، ج 1 ،ص160 .

² عبد الرزاق بن فراج الصاعدي ،موت الألفاظ في العربية ،ط9،الجامعة الإسلامية بالمدينة،1419،1418هـ، ص417.

³ جلال الدين السيوطي ،المزهر في علوم اللغة وأنواعها ،تح: فؤاد علي منصور ،ط1،دار الكتب العلمية ،بيروت 1418هـ ،1998م ،ج1،ص357 .

⁴ جمال الدين أبو المحاسن المعروف بـ:"ابن المبرد" ،الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقى تح:رضوان مختار،ط1 دار المجتمع السعودية،1411 هـ ، 1991 م ،ج3 ،ص820 .

الكاتب ذاته ، كما تتناول المصادر التي يستمد منها ، كما أنها تعنى بالغاية والهدف ، من الدراسة التاريخية ، وتعنى كذلك بالأسلوب والمصطلحات¹ .

ولعل هذا التعريف عام وغير مفصل فينبغي التدقيق في وضع المناهج فهناك ما يتعلق بالناقل وما يتعلق بالمنقول وما يتعلق بعملية المعالجة وأدواتها المنهجية ، كما أن هناك مناهج متعلقة بطريقة التصنيف التي شهدت تطورات عديدة عند المؤرخين² ومناهج أخرى في ترتيب المادة والتبويب والتدوين .

كما ذهب آخرون إلى أن مناهج المؤرخين : القواعد والطرق التي اصطلح على وضعها العلماء ، بغرض الإعانة على الوصول إلى صحة المعلومات والتأكد من صوابها ، فيصبح المنهج هنا أداة بحث من قبل مجموعة باحثين على اختلاف مشاربهم ومناهج حياتهم وعقائدهم وتصوراتهم³ .

ومن هذا التعريف نصل إلى كونه متعلقا بالفترة التاريخية المدروسة وهل نطاق ذلك البحث من التاريخ ، العصر القديم أو الوسيط أو الحديث وهل هو التاريخ الأوروبي أو الإسلامي ، ومن هنا وجب التفريق .

وهذا قول آخر إذ الدارس لمناهج دراسة التاريخ الإسلامي مقيد بأسس أخرى تزيد وتنقص حسب فترة الدراسة وغايتها ويدخل في هذا مجمل التصورات والمبادئ التي يضعها الإسلام والمفاهيم والمنطلقات العامة ، التي تحكم دراسة التاريخ وتفسيره وفق لتلك المبادئ والمفاهيم المنبثقة من الإسلام ، فالمسلم بهذا محكوم بالتصور الإيماني والإلزام العقدي ومقوماتهما التربوية

¹ / محمد بن صامل السلمي ، المرجع السابق ، ص 87 .

² / السخاوي مثلاً يفرّد في كتابه صفحات عن التصانيف في التاريخ ، فيقول أنها لا تدخل تحت الحصر ، إذ يعدد أبوابها فإذا هي كل شيء في المجتمع والحياة اليومية ، فإلى جانب تواريخ الأنبياء والرسول ، والأمم والأئمة والملوك ، والأمراء والولاة والقضاة ، والفقهاء والعلماء والشعراء ، والأدباء اللغويين والمحدثين ، يورد تأسيساً على التصانيف التي شهدتها الكتابة التاريخية حتى وقته : تاريخ المعلمين والوراقين والقصاص ، والطريقة والغرباء والوعاظ والخطباء ، وقرءاء الأنعام والندباء ، والمطربين ، وتاريخ الأشراف والأجداد والعقلاء ، والأذكباء والحكماء. تاريخ الأطباء والفلاسفة والزنادقة والمهندسين ، ونحو ذلك من تاريخ المتكلمين والمعتزلة والأشعرية ، ... تاريخ أنواع الشيعة والخوارج ، تاريخ أهل السنة ، وتاريخ البخلاء والطفيلية والثقلاء وذوي الحمق والخيلاء والسفهاء ، تاريخ الأضرء والصم والخرس والحدبان ، والمنجمين والسحرة والمشعوذين ، وتاريخ التجار وعجائب الأسفار وتاريخ اولي الصناعات العجيبة ، والرهبان والصوامع والخلوات ، وتاريخ قطاع الطرق والمخنتين وقتلى الحب والقرآن... أنظر: السخاوي شمس الدين ، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ ، ط 1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1407هـ/ 1986م ص 74، 75.

³ / إبراهيم ببيضون ، مسائل المنهج في الكتابة التاريخية العربية ، ط 1 ، دار المؤرخ العربي ، بيروت ، 1996م ، ص 28.

والخلفية¹، وعلماء المسلمين أهل لذلك كيف لا وقد سطوروا أصول المناهج، وأسسوا قواعدها وقننوا طرائق إثبات الأخبار، ونقد المرويات والرواة ووضعوا موازين الجرح والتعديل².

كما تصدى آخرون لمرحلة ما إذا صحت الأخبار وضعوا قواعد للاستدلال بها، وإذا عدم النص أو الخبر فالاجتهاد والاستنباط مجال ضمن ضوابط وقواعد محددة ولمنهج دراسة الظواهر نصيب من التتبع والتحليل، بل طبقوا ذلك في الواقع العملي لا النظري فقط³.

والملاحظ مما سبق أن لعلماء المسلمين السبق والبراعة في وضع أصول العلوم الإنسانية وحتى الدقيقة والطبية وتسطير المناهج والقواعد، فباعثار مناهج التاريخ طريقة علمية تتبع في جمع المادة التاريخية وترتيبها والاستفادة منها، لأن الاعتماد في كتابة التاريخ على الوثائق، كتبت وفق مناهج يتحكم إليها ليتحقق من صح النقل أو بطلانه، فلا يسوغ كتابة التاريخ عن الهوى أو الذاكرة أو الانطباع الشخصي أو العاطفة بل على الوقائع التي تثبتها الوثائق⁴.

مما سبق يتضح لنا أن لكل علم مناهج وأسس وضعها أوائل منظريه، لينبني عليها ما يأتي وعلم التاريخ أحد تلك العلوم التي تعتمد على ذلك، أما عن سنام المنظرين فابن خلدون هو من ارتقى بالتاريخ الإسلامي للمستوى الحالي، ومن تعدياته: "حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا فهو محتاج إلى مأخذ متعدّدة ومعارف متنوّعة وحسن نظر وتثبت يفضيان بصاحبهما إلى الحقّ وينكبان به عن المزلات والمغالط لأنّ الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني ولا قيس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذاهب فربّما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الصّدق وكثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل من

¹ محمد بن صامل السلمي، المرجع السابق، ص 90.

² القاضي عياض بن موسى بن عياض، الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، تح: السيد أحمد صقر، ط1 المكتبة العتيقة، تونس، 1379هـ، 1970م، ص 140.

³ محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، ط 8، المكتبة الإسلامي، بيروت، 1461هـ، 2000م، ص 21.

⁴ حسين مؤنس، التاريخ والمؤرخون، ط1، دار المعارف، 1984م، القاهرة، ص 51.

المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثًا أو سمينا ولم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار فضلوا عن الحق وتاهوا في ببداء الوهم والغلط ولا سيما في إحصاء الأعداد من الأموال والعساكر إذا عرضت في الحكايات إذ هي مظنة الكذب ومطية الهذر ولا بد من ردها إلى الأصول وعرضها على القواعد".¹

وبهذا فمناهج البحث التاريخي هي كل خطوة علمية مضبوطة تعتمد على فحص وتحليل سجلات الماضي ومخلفاته للوصول للحقيقة التاريخية التي تبقى نسبية لحد ما².

ومنه يجب مراعاة الموضوعية والتجرد من الذاتية والأهواء والإيديولوجيات والدقة في التعامل مع الدليل والوثيقة المتوفرة ، وفق أسس وضوابط ومواد علمية وثابتة ، ومن أهم هذه المناهج : المنهج النقدي للمرويات التاريخية الإسلامية.

2 – نشأة مناهج المؤرخين :

2 – 1 مكانة التاريخ بين العلوم عند علماء المسلمين :

لعل الكثير منا إن لم يكن أغلبنا لا يجادل في أهمية التاريخ ومكانته وفائدته العظمى للعلماء وللباحثين ولطلبة العلم، وللعمامة أو المنقذين منهم، بل أهميته لا تقل عن أهمية أصول هذه العلوم التي يدرسونها، والإخلال بمعرفة هذا العلم كثيرًا ما يوقع طالب العلم في إشكالات، تجعله يصدر أقوالا عجيبة وخاصة في التاريخ الإسلامي ففيه رموز مجدها نصوص شرعية قطعية الثبوت .

فلا يساغ لأحد الطعن في الصحابة الكرام مثلا ولا تتبع مثالهم فكلهم ثقات عدول بإجماع الأمة ، وقد اعتنى العلماء بهذا العلم وصنفوا فيه التصانيف الطويلة وقطعوا فيه الأشواط البعيدة لحفظ ميراث الأمة ، قال ابن الأثير: " ولقد رأيت جماعة ممن يدعي المعرفة والدراية ويظن بنفسه

¹ / ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 13 .

² / ناصر الدين سعيدوني ، أساسيات منهجية التاريخ ، ط2 ، دار القصة ، الجزائر ، م2000 ، ص 29 .

التبحر في العلم والرواية يحنقر التواريخ ويزدريها ويعرض عنها ويلغيها ظنا منه أن غاية فائدتها إنما هو القصص والأخبار، ونهاية معرفتها الأحاديث والأسمار وهذه حال من اقتصر على القشر دون اللب نظره، وأصبح مخشبا جوهره، ومن رزقه الله طبعاً سليماً وهده صراطاً مستقيماً علم أن فوائدها كثيرة ومنافعها الدنيوية والأخروية جمة غزيرة، وها نحن نذكر شيئاً مما ظهر لنا فيها ونكل إلى قريحة الناظر فيه معرفة باقيها¹.

قال ابن الجوزي في مقدمة المنتظم: "وللسير والتواريخ فوائد كثيرة أهمها فائدتان: إحداهما: أنه إن نكرت سيرة حازم ووصفت عاقبة حاله، أفادت حسن التدبير واستعمال الحزم، أو سيرة مفرط ووصفت عاقبته أفادت الخوف من التقريط، فيتأدب المتسلط، ويعتبر المتذكر، ويتضمن ذلك شحذ صوارم العقول، ويكون روضة للمتنزه في المنقول. والثانية: أن يطلع بذلك على عجائب الأمور وتقلبات الزمن و تصارييف القدر، وسماع الأخبار"².

كما أن ابن خلدون يقول: "اعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب جمّ الفوائد شريف الغاية إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم والأنبياء في سيرهم والملوك في دولهم وسياستهم، حتى تتم فائدة الاقتداء"³.

كما بين السخاوي أن: "الاشتغال بفن التاريخ للعلماء من أجل القربات ، بل من العلوم الواجبات المتنوعة للأحكام الخمسة"⁴.

وقال السلاوي : اعلم أن علم التاريخ من أجل العلوم قدرا وأرفعها منزلة وذكرها وأنفعها عائدة وذخرا وكفاه شرفا أن الله تعالى شحن كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من

1 / ابن الأثير محمد ،الكامل في التاريخ ،تح: أبي الفدا القاضي، ط1، دار الكتب العلمية ،بيروت، 1987م، ج 1، ص09 .

2 / أبي الفرج ابن الجوزي ،المصدر السابق ،ج 1، ص 07 .

3 / ابن خلدون ،المصدر السابق ، ج 1، ص 13 .

4 / السخاوي ، الإعلان بالتوبيخ ، المصدر السابق ، ص 15 .

خلفه من أخبار الأمم الماضية والقرون الخالية بما أفحم به أكابر أهل الكتاب وأتى من ذلك بما لم يكن لهم في ظن ولا حساب¹.

وذكر السيوطي : قال حماد بن زيد: "لم يستعن على الكذابين بمثل التاريخ"² .

نقل الجرجاني فقال: قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ لَمَّا اسْتَعْمَلَ الرُّوَاةَ الكَذِبَ: اسْتَعْمَلْنَا لَهُمُ التَّأْرِيخَ³.
كما وضع ابن خلدون: "وما استكبر القدماء علم التَّأْرِيخِ إِلَّا لَذَلِكَ حَتَّى انْتَحَلَهُ الطَّبْرِيُّ والبَخَارِيُّ وابن إسحاق من قبلهما وأمثالهم من علماء الأُمَّة وقد ذهل الكثير عن هذا السر فيه"⁴.

كما أقر المقرئ تقي الدين بأهمية علم التاريخ : فإن علم التاريخ من أجل العلوم قدراً، وأشرفها عند العقلاء مكانةً وخطراً، لما يحويه من المواعظ والإنذار، بالرحيل إلى الآخرة عن هذه الدار، والاطلاع على مكارم الأخلاق لِيُقْتَدَى بها، واستعلام مدام الفعال ليرغب عنها أولو النهى، لا جرم أن كانت الأنفس الفاضلة به وامقة، والهمم العالية إليه مائلة وله عاشقة. وقد صنّف فيه الأئمة كثيراً، وضمّن الأجلة كتبهم منه شيئاً كبيراً⁵ .

إذا فالتاريخ هو الصورة الفكرية للحضارة ، ومؤشر نشاط الفكر الإنساني في ماضيه فهو أصدق مرآة تعكس حياة الأفراد والجماعات والشعوب والأمم ، وأحسن دليل على تجاربها الصادقة وتطلعاتها الماضية ، بدراسة جهود الإنسان ومطبات سيرته ، فيكون بذلك علماً يحيط إحاطة شاملة بحياة الإنسان في كل أبعادها وحوار دائم بين الماضي والحاضر وذاكرة للعصور يمكن الاستفادة منها في كل الميادين .

¹ شهاب الدين أبو العباس السلاوي ، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تح : جعفر الناصري ومحمد الناصري ، (د،ط) ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ج 1 ، ص 59 .

² / السيوطي جلال الدين ، الشماريخ في علم التاريخ ، تح : عبد الرحمن حسن محمود ، (د،ط) ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، 1411 هـ ، ج 1 ، ص 59 .

³ أبو أحمد بن عدي الجرجاني ، الكامل في ضعفاء الرجال ، عادل أحمد عبد الموجود ، وآخرون ، ط 1 ، دار الكتب العلمية بيروت ، 1418 هـ ، 1997 م ، ج 1 ، ص 169 .

⁴ ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 37 .

⁵ المقرئ تقي الدين أحمد ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار : الخطط المقرئية ، ط 2 ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 1987 م ، ج 1 ، ص 05 .

2 - 2 تدوين التاريخ الإسلامي وإرهاصات ظهور منهج النقد عند المؤرخين :

يعتبر التاريخ الإسلامي وإشكالية تفسيره وتدوينه من أكثر القضايا خصوبة في مجال الدراسات الإنسانية، وقد شُيِّدت تحت اسمها مدارس متعددة لتفسير التاريخ، ضرب كل فريق منها بسهم ونَعَى على أنقاضها ناعون¹.

وما زالت قضية التدوين التاريخي عند المسلمين ومناهجهم في ذلك تحظى باهتمام الباحثين وتتعرض لجدل واسع الأرجاء حتى إنها شغلت عددًا كبيرًا من المفكرين، ومعاهد علمية عريقة، واستنفدت الكثير من مجهودات المؤرخين والمتخصصين ومنه يرتبط الحديث عن مناهج المسلمين في كتابة التاريخ الإسلامي بالحديث عن تدوين التاريخ والهدف منه، فمن المعلوم أن تقصى الرواة الحديثين أدى إلى نشوؤ أحد فروع التاريخ عند المسلمين، وهو تراجم الأشخاص وطبقاتهم ، ومن ثمة وضع تصورات ورؤى عميقة لعلم التاريخ وتفسيره، وظهرت مؤلفات تاريخية إسلامية شاعت فيها روح النقد والتحليل والتعليل حتى قبل ظهور مدارس التفسير العالمية الحديثة².

فبرسوخ قدم الإسلام تطلبت الظروف الجديدة التي طرأت على المجتمع الإسلامي ظهور أنماط جديدة من المعرفة التاريخية، وكان من أبرزها ظهور الوثائق السياسية، فقد كانت من أول أعمال الرسول صلى الله عليه وسلم التي نظم بها التعاون بين المهاجرين والأنصار واليهود، وعلى يد بعض مؤرخي الإسلام انتهى عصر النقل إلى غير رجعة وأتى عصر العقل والتعويل عليه الذي يُعد ركناً أساسياً من أركان الإسلام الحنيف الذي دعا إلى التفكير والتعقل والتدبر في شتى أنواع المعرفة الإنسانية وفي ميادينها كافة، وأصبح روح التطور الذي عاشته بعد ذلك أوربا التي تعلمت على يد علماء العرب ومؤرخيهم، وأصبح التاريخ علمًا مكتمل البنيان مع جهود كبار

¹ أنور محمود زناتي، تصورات حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي، مجلة البيان للدراسات التاريخية، العدد : 347، أكتوبر 2016، ص 411.

² بشار عواد معروف، أثر الحديث في نشأة التاريخ عند المسلمين، مجلة الأعلام الأدبية العراقية، السنة الأولى، محرم 1386هـ / مارس 1964، ص 317.

المؤرخين من أمثال محمد بن جرير الطبري وكتابه «تاريخ الأمم والملوك»، الذي يمثل قمة ما وصلت إليه الكتابة التاريخية عند العرب في فترة التكوين، ثم جاءت الطفرة على يد العلامة ابن خلدون ، الذي حدد قواعد البحث في التاريخ¹.

ومن هنا وجب القول أن ظهور الرواد الأوائل في التدوين المنهجي المتخصص من حوالي منتصف القرن الثاني الهجري وما بعد ، لأن الأمية الشائعة عند العرب قبل البعثة وفي بداياتها أخرج الاهتمام بهذا المجال إلى ذلك الوقت ، والدليل ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم : " إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب "² وكان جل اهتمامهم على الذاكرة والحفظ ، أما اهتمامهم التاريخي كان منصبا على أخبار الأيام و المنافرات ، وذكر الأنساب والمفاخر والآثار والمثالب ، وكلها بنسق قصصي مشوق³.

أما تدوين الأنساب والعناية بها فقد كانت وراءه دوافع شرعية مثل أحكام الموارث والتركات، ومعرفة الأرحام والأقارب ، لغرض البر والصلة وحاجات عملية ،ومن ثمة الدواوين كالجند وديوان العطاء ، ورتبت حسب القبائل والأسر⁴.

أما فتوح البلدان لمعرفة البلدان التي فتحت عنوة أو صلحا ، وهل أهلها أهل عهد أو ذمة ،لما يترتب عن ذلك من أحكام الخراج أو الجزية ،أما العناية بتراجم الرجال وتدوينها على نظام الطبقات أو البلدان أو المدن أو أحرف المعجم ،فلخدمة الحديث أولا بتمييز السقيم من الصحيح ،ونشأ عن هذا التدوين ،ظهور تواريخ المدن ممثلة في تراجم رجالها وعلمائها⁵.

يطول الحديث عن التفصيل في التدوين التاريخي عند المسلمين مما يستدعي فتح المجال للكلام حول المناهج المتبعة في هذه المدونات التاريخية ،خصوصا التي كانت تبعا

^{1/} فاطمة يحي زكريا الريبيدي ،استخدام منهج المحدثين في حركة التدوين التاريخي ،الطبري في كتابه تاريخ الأمم والملوك أنموذجا ،مجلة كان التاريخية ،العدد 25،نو القعدة 1435هـ/سبتمبر 2014 ،دار ناشري ،ص 203.

^{2/} رواه البخاري ، حديث رقم 1814 .

^{3/} محمد بن صامل السلمي ،المرجع السابق ، ص 276 .

^{4/} أبو الفدا ابن كثير ،البداية والنهاية ،تح: عبد الله التركي ،ط1، دار هجر ، مصر ، 1418 هـ، 1997 م ،ج3،ص 204.

^{5/} أكرم ضياء العمري ، السيرة النبوية الصحيحة : محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية ، ط6 مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، 1415 هـ ، 1994م ،ص 110.

لقواعد المحدثين والتي مهدت لنشأة منهج النقد، بحسب إتباع منهج الإسناد القائم على منهج الجرح والتعديل .

ولذا فإنه يمكننا القول بأن منهج النقد التاريخي قد نشأ مستعينا بتلك القواعد ، حيث استعار علم التاريخ من علم الحديث أداه نقدية عملية استخدمت في تنقية وغرلة الأخبار التاريخية ، تكامل هذا المنهج النقدي منذ القرن الثالث الهجري حيث تم نقد الروايات وحملة الروايات النبوية أولاً لمكانتها ثم التاريخية لأصالتها¹ .

إن المنهج النقدي عند علماء المسلمين ، قد بلغ من الدقة والإحكام ، أرقى ما يمكن أن تصل إليه الطاقة البشرية ، والمقدرة الإنسانية لنقد هذه العلوم ، وتمثلت جهودهم في مقاومة الكذب والوضع والاختلاق إلى جانبين ، جانب نظري في ضبط قواعد القبول والرد وجانب عملي في التصنيف والتحقيق بين الروايات² .

وليسط الأمر يجدر بنا التمثيل برواد مناهج النقد آنذاك ، رغم عدم التصريح المباشر في مؤلفاتهم بهذا المنهج إلا أنهم صنفوا بناء على منهج نقدي رصين ، ذكر أبو يحيى زكرياء بن علي المعروف بالخطيب التبريزي صاحب شرح الحماسة أنه كان يقرأ على الخطيب البغدادي الكتب الأدبية المسموعة له ، فكان إذا مر في كتابه شيء يحتاج إلى إصلاح يصلحه ويقول : أنت تريد مني الرواية وأنا أريد منك الدراية³ .

لقد أسبغ الطبري على كتابه تدقيق المتكلمين وعطاءهم ومناهجهم واتبع في تنظيمه الترتيب الزمني ، وسار على منهج الحوليات وثالثها وأعظمها تاريخية من مؤلف المسعودي : "مروج الذهب ومعادن الجوهر" وهو كتاب يغلب عليه الأسلوب الأدبي أكثر منه كتاب أخبار إذ

¹ محمد بن صامل السلمي ، منهج كتابة التاريخ الإسلامي وتدريبه ، ط 01 ، دار الوفاء للنشر ، المنصورة ، 1408 هـ ، 1988 م ، ص 156 .

² محمد أبو زهرة ، الحديث والمحدثون ، ط 1 ، دار الفكر العربي ، 1974 م ، ص 87 .

³ ياقوت الحموي ، معجم الأدباء : إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، تح : إحسان عباس ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1993 م ، ج 1 ص 392 .

يبحث في تاريخ الخليفة وهي مصنفات تعتبر نماذج للتاريخ الإسلامي العالمي ومنهج النقد في ذلك الحين إلى نهاية القرن الرابع الهجري.

وهاهو عمدتهم في النقد الطبري محمد بن جرير، يصرح : "فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه ، أو يستشعنه سامعه ، من أجل أنه لم يعرف له وجهها في الصحة ، ولا معنى في الحقيقة ، فليعلم أنه لم يوتي في ذلك من قبلنا ، وإنما أتى من قبل بعض ناقلية إلينا ، وأنا إنما أدينا ذلك على نحو ما ذلك على نحو ما أدي إلينا " ¹.

ولم يلبث المؤرخ المسلم بعد انتشار التدوين في القرن الثاني الهجري أن تحرر تدريجيا من طريقة الإسناد التي كانت تلزم المؤرخ بأن يكون مجرد إخباري، أي ناقل للخبر إلى الكتابة ، وظهور مؤرخين ابتعدوا بالرواية التاريخية عن رواية الحديث النبوي الشريف.²

وهذا موجز بسطنا فيه مناهج بعض أساطين التاريخ الإسلامي ، وليس هذا إلا غيض من فيض أولئك الكبار ، ننقل على إثره لأهمية دراسة هذه المناهج وفوائدها .

3 – فوائد وأهمية دراسة مناهج المؤرخين :

لدراسة مناهج المحدثين فوائد جمة وعديدة ومنها: الكشف عن الحقائق التاريخية وإظهارها والقول بالحق فيها بموضوعية وحيادية ، وفق أسس متفق عليها ، ومفاهيم مشتركة عند أغلب المؤرخين ، عرض الوقائع التاريخية كما وقعت دون تضخيم أو تشنيع موضحين ملبسات الحوادث التي صاحبة ذلك أو أدت إليه ، كما أن إتباع هذه المناهج في الدراسة يحصل به العبرة والتوجيه وتتحقق به الثمرة من دراسة التاريخ ، وهي تقويم سلوك الإنسان بما يوافق الحق وأخذ العبرة والدرس لبناء المستقبل.³

¹ / محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط 2 ، دار المعارف ، مصر ، 1387 هـ ، 1387 م ، ج 1 ، ص 08 .

² عبد العزيز سالم ، مناهج البحث في التاريخ الإسلامي والآثار الإسلامية ، ط 1 ، مؤسسة شباب الجامعة ، 2011 ، ص 77 .

³ محمد بن صامل السلمي ، المرجع السابق ، ص 181 .

ودراسة هذه المناهج باب من أهم الأبواب للوقوف على الحقائق التي لا تأتي إلا بشدة البحث وكثرة المطالعة لجميع الآراء والأقوال والتفتيش في كل الحجج والبراهين فتتجاوز الأهواء والضمائر، والنحل والمذاهب وترسوا على شاطئ الحقيقة التاريخية أو قريبا¹ .

إن منهج النقد عند المؤرخين فن قديم عند المسلمين فقلما تجد مصنفا في التاريخ تخلو مقدمته من أثر نقدي، ولو يسير وغالبا ما ينصب النقد على اتهام الكتب المصنفات بخلط الغث بالسمين، وإيراد الأساطير والإسرائيليات والمفتريات، وربما اتهم المؤرخ بالميل والتحيز، تطورت تبعا ونشأ منها وعي تاريخي جاوز نقد الإسناد إلى نقد المضمون بوسائل علمية مضبوطة² .

وهنا نذكر قول أحد كبار المؤرخين المعروف بابن مسكويه : " تلك الأخبار التاريخية الحقّة مغمورة بالأسمار، متبدّدة في الخرافات والأساطير التي ليست لها فائدة إلاّ استجلاب النوم بها، والتأنس بالمستطرف منها، فأخذتها بالنقد واستخراج ذات القيمة منها"³ .

كما تكمن أهمية هذه المناهج في ضبط المفاهيم، والأحكام والتفسيرات، بمعيار موحد ممنهج يدحر الاختلاف ويبعث على التوافق والتفاهم، كما تورث هذه المناهج للباحث جدية في العمل وصفاء في الفكر واهتماما بالكليات والأصول، مبتعدا عن الإغراق في الجزئيات، التي تستغرق جهدا ووقتا، في مدهانات قد لا تعود بفائدة تذكر⁴ .

وبما أن التاريخ يعرفنا بماضي البشر كما حدث، فهذه المناهج تدرأ عنا التبريرات الزائفة والإنفلاتات الواهمة⁵ .

¹ / عبد الحليم عويس، ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث الحديث والحضاري، ط2، دار الزهراء للإعلام العربي 1409 هـ، 1988 م، ص129.

² / صائب عبد الحميد، علم التاريخ ومناهج المؤرخين، ط2، مركز الغدير، بيروت، 1429 هـ، 2008 م، ص68.

³ / ابن مسكويه، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تح: أبو القاسم إمامي، ط2، دار سروش، طهران، 2000، ج1، ص28.

⁴ / جمال عبد الهادي ومحمد وفاء رفعة، منهج كتابة التاريخ الإسلامي، لماذا وكيف؟، ط3، دار الوفاء، القاهرة 1414 هـ، 1994 م، ص229.

⁵ / حسين مؤنس، المرجع السابق، ص34.

كما يجب التنبيه إلى أن دراسة مناهج التاريخ ميزة تمنح علم التاريخ الإسلامي ، ثقة في نقله وضبط وقائعه ، لا تتحقق في غيره من تواريخ الأمم ¹ .

إن هذه المناهج تجبر كسر الباحث والمؤرخ وتقوم تكوينه الفكري ، وتساير عوامله الوراثية ، ظروفه العاطفية والشخصية أو القومية والدينية وتبعده عن أي نوع من أنواع الانحراف الفكري لا شعوريا جرائها ، وتحميه عن أي شذوذ منهجي ، عن مسار الحقل العلمي المعرفي ² .

اتخذ علم التاريخ بفضل هذه المناهج المنحى العلمي ، لا يتطرق إليه الهوى فمن أحد أدواته التنقيب والنقد والتقصي لتمحيص الأخبار وتقييمها ولم يقف عند نبش عيب الناقلين والوراقين فقط ، بل تعدى للتريع على أسس علمية موضوعية بحتة ³ .

انطوت هذه المناهج على أعمدة اتكأ عليها كبار المؤرخين المسلمين وخطوا فحوى مصنفاتهم تحت ظلالها وكيف لا وها هو ابن طباطبا يقول متحدثا عن منهجه في التاريخ: " ألا أميل فيه إلا مع الحق ، ولا أنطق فيه إلا بالعدل ، وأن أعزل سلطان الهوى ، وأخرج من حكم المنشأ والمربي ، وأفرض نفسي غريبا منهم ، وأجنبيا بينهم " ⁴ .

ناقدا لمن مال من المؤرخين عن الحق ونطق بغير العدل ، وسائر سلطان الهوى ، وسلك مسلكا يضعف قيمة التاريخ ، أو يسقط اعتباره ، وتحقق هذه المناهج للباحث والمؤرخ الحياد التام وتخرجه من المواقف المسبقة إزاء أحداث التاريخ ورجاله ، لتضعه موضع الشاهد الغريب ، الذي يشهد بالحق فلا منفعة تجره ، ولا هوى يدفعه ، وهذه الأمانة والنزاهة الواجبة .

وتوضح هذه المناهج أغراض المصنفين ، وقرب المعاني كشرطين أساسيين في تحقيق أهداف التصنيف وتبرير علل التدوين و تعتبر مفاتيح الرواية التاريخية ، فمنهج النقد أو التحليل

¹ عبد الحليم عويس ، المرجع السابق ، ص 163 .

² نفسه ، ص 176 .

³ صائب عبد الحميد ، المرجع السابق ، ص 69 .

⁴ محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي ، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، تح : عبد القادر محمد مايو ، ط1 ، دار القلم العربي ، بيروت ، 1418 هـ ، 1997 م ، ص 20 .

أو الاستقراء أو غيرها أدوات لفك لغز الحادثة ،ومن ثمة تناولها على حسب ما أَرادها الله أن تكون ، لا حظ للنفس فيها إلا العبرة والدرس والإتباع أو الترك ،فلا يقيس الباحث الحاضر بماض لا يدري ما تغير فيه أو طرأ ،ومن هنا وجب إعادة النظر في كل المرويات التاريخية التي لا تمر عبر هذه المناهج الرصينة والقواعد الثابتة لغريلة الأحداث ومعرفة الأسباب والمسببات وتجنب الوقوع فيما وقع فيه من عاشها أو أحدثها استشرافا لمستقبل أركى وأظهر .

العلاقة بين علم الحديث وعلم التاريخ والتصنيف فيهما :

أولاً - الفرق بين علم الحديث وعلم التاريخ :

1 - الفرق بين المحدث والمؤرخ :

يتداخل علم التاريخ وعلم الحديث في العديد من المناهج والأصول ويشترك كلاهما في الكثير من القواعد والدلالات ، وأن من نافلة القول أن نذكر أن من أشد العلاقات بين العلوم توطدا علاقة التاريخ بالحديث ، ومن الثابت والمعروف عند الباحثين وجود علاقة تأثير وتأثر بين العلمين ، فعلماء الحديث أول من نظم نقد الروايات التاريخية¹ .

وعليه فإن الفرق دقيق جدا بين المؤرخ والمحدث لذلك وجب التفصيل فيه لبيان تقاطع مناهجهما ، أو أدواتهما خصوصا مع وجود القول أن التاريخ ولد من رحم الحديث ، ومن هنا علينا التعرّيج على المحدث وصفاته وحقول دراسته وموضوعها لنعرف مدى تأثيره أو تأثره لما للمؤرخ من مناهج وقواعد وصفات خاصة أو مشتركة كما سيأتي بيانه .

1 - 1 المحدث :

فالمحدث في الاصطلاح يُطلق على المُشتغل بعلم الحديث الممكن فيه روايةً ودرايةً، وله القدرة على التمييز بين سقيم الحديث من صحيحه، مع معرفة بعلمه واصطلاحات أهله، والمختلف والمؤتلف من روايته، وغريب ألفاظ الحديث، وغير ذلك ، والمبتدئ في طلب الحديث يُلقب بطالب الحديث، أما المسند فهو من يروي الحديث بإسناده سواء حصل له علم به أو لم يحصل، وهما رتبتان دون رتبة المحدث²، وهنا وجب التفريق بين المحدث المباشر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راوي الحديث ، مكثرا كان أو مقلدا³ ومن معه في سلسلة الإسناد نقل منهم

¹ صبحي الصالح ، المرجع السابق ، ص 78 .

² علي بن عمر الدارقطني، الضعفاء والمتروكين ، تح: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، ط1، مكتبة المعارف ، الرياض، 1404 هـ، 1984 م، ص 13 .

³ المكثرون في رواية الحديث : اصطلح العلماء على وصف من روى أكثر من ألف حديث من الصحابة بأنه من المكثرين وعدد هؤلاء سبعة ، أبو هريرة ، وابن عمر ، وعائشة ، وجابر بن عبدالله ، وابن عباس ، وأنس رضوان الله عنهم ، وأبو هريرة أكثرهم حديثاً، وحمل عنه الثقات وذكر هذا أحمد وغيره ، ليس في الصحابة من يزيد حديثه على ألف حديث سوى هؤلاء ، أنظر : أحمد محرم ، المرجع السابق ، ص 119 . والمقلون من الصحابة في رواية الحديث : ما كان دون المكثرين منهم فمن الصحابة من روى

بسماع أو قراءة ،ومن نقل عنه ممن بعده ،ومنهم أبناء الصحابة والتابعين وأتباعه، وبين المحدث صاحب المصنفات جامع الأحاديث كالشيخين مسلم والبخاري وأصحاب الكتب الست وأصحاب المسانيد ،وبين مخرج الأحاديث والحاكم عليها كالشيخ الألباني والشيخ أحمد شاکر وغيرهم من علماء الحديث¹.

أ - صفات المحدث وآدابه :

على المحدث أن يخلص النية لله عز وجل في طلبه ،فعنى يحيى بن يمان أو وكيع قال: سمعت سفيان الثوري يقول: «ما من عمل أفضل من طلب العلم إذا صحت النية»² وعن الحسن بن شقيق يقول: سمعت ابن المبارك يقول: «أول العلم النية ثم الاستماع ثم الفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر»³، وعليه أن يتحلى بكريم الأخلاق وجميل الآداب ،ويجد في طلب الحديث ويستفرغ الوقت في تحصيله ،وعليه أن يعمل بما يعلم وهذا من سبل ضبط الحديث ، وعليه احترام شيوخه وتوقيرهم ففي هذا إجلال للعلم وأهله ،قال القاضي عياض " يجب أولاً على كل طالب علم قبل الشروع فيه ،التخلق بأخلاق أهله ،والتزام زيهم والتأدب بآداب حملته ،ولزوم السكينة والوقار والبكور لطلبه و المواضبة عليه ،إخلاص النية لله فيه ،والتواضع لمن يأخذ عنه وتعظيمه وتوقيره والصبر على ما يلقاه منه أو من رفقائه من جفاء وانتقاد من يأخذ عنه والبحث عن حاله قبل الأخذ عنه واختياره المشاهير من أهل العلم والدين"⁴.

ويستحب له إذا أراد حضور مجلس التحديث أن يتطهر ويتطيب ويسرح لحيته، ويجلس متمكناً بوقار وهيبة، وقد كان مالك يفعل ذلك، فقليل له، فقال: أحب أن أعظم حديث رسول الله

حديثاً واحداً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،كابن أبي عمارة المدني ،وأدرع السلمي وغيرهم والصحابي لا يضره أروى حديثاً واحداً أم لم يرو البتة ،ثم إن الصحابة المقلين كانت لهم أسبابهم في ذلك ليس هذا موضع سردها ،ثم إنّه قد اعتنى بمن روى حديثاً واحداً من الصحابة في كتب المنفردات والوحدان ،وهاهو أبو بكر الصديق ملازم لصاحبه في أغلب الأوقات إلا إن كان في شغل بيته لم يرو عنه إلا مائة واثنتين وأربعين حديثاً ،أنظر عبد الرزاق بن همام ،المصنف في الأحاديث والآثار ،تح: عبد الخالق الأفغاني، ط2 ،الدار السلفية ،الهند ،1399هـ، 1979م ،ص318 .

¹ عبد الله بن ضيف الله الرحيلي ،المرجع السابق ، ص 98.

² ابن عبد البر ، جامع بيان العلم وفضله، تح: أبي الأشبال الزهيري ، ط1 ،دار ابن الجوزي ،السعودية ، 1414هـ، 1994م ج 1، ص123 .

³ نفسه ،ص476 .

⁴ أبو الفضل بن عياض ،المصدر السابق ،ص45.

صلى الله عليه وسلم، ولا أحدث إلا على طهارة متمكناً، وكان يكره أن يحدث في الطريق، أو وهو قائم، أسنده البيهقي، وعن ابن المسيب أنه سئل عن حديث وهو مضطجع في مرضه، فلس وحدث به، فقيل له: وددت أنك لم تتعن، فقال: كرهت أن أحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مضطجع، وعن بشر بن الحارث أن ابن المبارك سئل عن حديث وهو يمشي فقال: ليس هذا من توقير العلم، وعن مالك قال: مجالس العلم تحتضر بالخشوع والسكينة والوقار¹ .

فمما سبق من كلام العلماء في صفات المحدث، وخاصة أن الأمر جلل والخطب كبير فهو يتعامل مع ثاني الوحيين فعليه بالصدق والموضوعية والصبر والاحتساب، والدقة والأمانة، وان يكون ملماً بقواعد اللغة وعلوم الآلة ومداخل أبواب الفقه والأصول، مطلعاً على علم الرجال ومصنفات الثقات والكذابين وأن يعلم أن العلم الذي لا ينفع صاحبه وبال عليه .

1 – 2 المؤرخ :

هو الذي يدرس ويدون التاريخ، ويُعتبر مرجعاً في هذا العلم، يهتم المؤرخون بالسرد المنهجي المتتالي والبحث في الأحداث الماضية وعلاقتها بالجنس البشري، فيتطلب باحثاً مؤهلاً سبق إعداده علمياً وله نصيب من إتقان بعض العلوم المهمة التي تساعده على دراسة النص وتفسيره، وهي التي سميت بالعلوم الموصلة أو المساعدة، لتأتي بعدها مرحلة جمع كافة الأصول والذخائر الأثرية للفترة التاريخية محل الدرس².

ووجب التنبيه هنا إلى وجود لبس وتداخل في المفاهيم حول مصطلح المؤرخ فكتاب الرواية التاريخية لا يصنف كمؤرخ، ولا يقدم كمؤرخ، لأن الرواية التاريخية يمتزج فيها خيال الراوي مع المادة التاريخية، ويشكلان مزيجاً هو الذي يكون محلاً للنقد من زوايا الأدبية والروائية والفنية، ولذلك لا يُدرج في عداد المؤرخين الأستاذ العريان أو الأستاذ جورجى زيدان وغيرهما ممن كتبوا الروايات التاريخية، ومدرس وأستاذ التاريخ غير المؤرخ، فلم يكن الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى نفسه، وهو شيخ أساتذة التاريخ مؤرخاً، ولا كان الأستاذ الكبير سليم حسن

¹ أبو بكر أحمد الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تج: محمود الطحان، (د، ط)، مكتبة المعارف، الرياض، ج 1، ص 67.

² أسد رستم، مصطلح التاريخ، ط 1، المكتبة العصرية، بيروت، 1423 هـ، 2002 م، ص 13.

مؤرخًا، ولا كان الأستاذ الكبير الدكتور حسن إبراهيم حسن مؤرخًا، وإنما كانوا أساتذة كبار للتاريخ، قاموا بتدريس التاريخ، وكتبوا المؤلفات الشارحة والمبينة والموضحة.

وإنما يُطلق لقب المؤرخ على الطبري وابن الأثير وابن كثير، وعلى النويري والمقريزي والتلقشندي وابن تغري بردي والسخاوي والسيوطي وابن إياس والجبرتي والرافعي ومن جرى مجراهم في رصد وقائع التاريخ والتأريخ لها، بل ويجرى التمييز في وصفهم إذا تعددت مجالاتهم كما هو حاصل مثلاً بالنسبة للطبري وابن كثير اللذين عملا أيضًا بتفسير القرآن وألغا فيه، وغيرهما ممن عملوا بالفقه أو الأدب فتعددت صفاتهم تبعًا لذلك، إلى جوار وصف المؤرخ الذي وصفوا به¹.

كما ذهب غيره أن هناك فرقا بين المؤرخ الشاهد والمؤرخ الباحث فذاك شاهد على الحادثة التاريخية بدقائقها والثاني فهو قاضٍ يقف خارج الحدث بمسافة زمنية تقيه من مغبة التحيز إلى أي من أطراف الحدث، وعلى خلاف ما أبيح للشاهد، فإن القاضي أو الباحث هنا باحث عن الحقيقة فهو الذي عليه أن يطالب بالحيدة والنزاهة والصدق، إلى غير ذلك من صفات القضاة الحميدة، غير أنه يتعامل مع شهادات مات أصحابها².

أ - صفات المؤرخ وآدابه :

دراسة التاريخ شأنها كشأن أي دراسة أخرى للمعرفة الإنسانية، تستلزم من صاحبها إتقان منهجٍ علميٍّ مُحدّدٍ له أدواته وأساليبه الخاصة في تناول الحدث التاريخي بالدرس والنقد والتّمحيص³.

ويجب أن يكون المؤرخ ذا رؤية أو بصيرة نافذة، قادرة على النفاذ إلى الماضي، فالتاريخ ليس إلا علم دراسة الماضي، ومن يعجز عن تحقيق ذلك النفاذ لن يكون مؤرخًا مهما فعل

¹ رجائي عطية ، الفرق بين المؤرخ والكاتب عن التاريخ ، مقال في مجلة الدراسات الجامعية للبحوث الشاملة ، العدد 1، مج :

2 ، فيفري 2017 م ، ص 411.

² عماد عبد السلام رؤوف ، من هو المؤرخ ، مقال في مجلة الألوكة ، العدد 1 ، جوان 2015 م ، ص 11.

³ أسد رستم ، المرجع السابق ، ص 14.

بل يستطيع أن يجمع الروايات التاريخية، أو شهادات الشهود، في بحث أو كتاب، لكنه لن يتجاوز ذلك الجمع إلى فهم ما وراءه¹.

كما يجب على المؤرخ أن يكون له موقف محايد اتجاه كافة الأحداث التاريخية من مواقف سياسية أو مواقف فكرية أو مواقف دينية أو عقائدية ، كما يجب أن تكون للمؤرخ ملكة دراسة وتحليل الأحداث التاريخية، ويقوم بفهمها واستيعابها ثم يقوم بتدوينها بطريقة علمية تابعة لمنهج معين وصارم².

لابد للمؤرخ أن يكون أميناً مخلصاً، فلا يكذب ، ولا ينتحل ، ولا يوافق أصحاب الجاه والسلطان ، ولا يخفى الوقائع والحقائق التي قد لا يعرفها غيره في بعض الأحيان ، والتي قد لا ترضيه أو ترضى قومه، ومن يخرج عن ذلك لا يمكن أن يعد مؤرخاً³.

كما أن من الصفات الأساسية في المؤرخ عدم التحيز ، فعليه أن يحرر نفسه بقدر المستطاع من الميل والإعجاب لعصر خاص أو لناحية تاريخية معينة ، ويلزم للمؤرخ أن تتوفر له ملكة النقد ، فلا يجوز له أن يقبل كل كلام أو يصدق كل وثيقة أو مصدر بغير الدرس والفحص والاستقراء ، فيأخذ الصدق أو أقرب ما يكون إليه، وي طرح جانباً ما ليس ذلك وإذا فقد المؤرخ ملكة النقد سقطت عنه صفته، وأصبح مجرد شخص يحكى كل ما يبلغه على انه حقيقة واقعة إذ لا بد له أن يبدأ عمله متبعاً قواعد هذا المنهج النقدي، بل لا طريق له سواه فهذا المنهج قد استقر عبر تجارب المئات من المؤرخين⁴ .

وينبغي للمؤرخ أن يكون صاحب إحساس وذوق وعاطفة وتسامح وخيال ، بالقدر الذي يتيح له أن يدرك آراء الغير ونوازع الآخرين دون شطط ولا تطفيف ، فالحقيقة التاريخية لن تتغير بل المفاهيم والقراءات التي تستوجب ههما وتضحيات للكشف عن الظنون والتدليسات.

¹ عماد عبد السلام رؤوف ، المرجع السابق ، ص 26.

² إيمان محمود ، الفرق بين المؤرخ والباحث ، مجلة المرسال ، العدد 2 ، مج : 1 ، جوان 2015 م ، ص 354.

³ مؤنس عوض وآخرون ، الصفات التي يجب توفرها في المؤرخ ، قسم التاريخ ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، مصر 2004 ، ص 28.

⁴ نفسه ، ص 33.

وهنا يجب أن نعترف أن مكانة المؤرخ كانت أقل من مكانة المحدث في القرون الأولى للهجرة ، أو بالأحرى دقة المؤرخ عندما يصنف في التاريخ تقل عن دقة وعناية المحدث عندما يؤلف في الحديث ، وهذا الإهمال في نقد وتمحيص مرويات التاريخ هو الذي أزرى بذلك العلم ، وحط من شأن القائمين عليه ، على الرغم من أن منهج المحدث الناقد هو منهج المؤرخ الباحث المدقق¹ ، بل إن شروط المحدث هي شروط المؤرخ ، من عدالة وضبط تام مع مزيد من الإلتقان والتحري ، سيما ما يروى في كلام الجهلة فيما يتصل بتاريخ الأنبياء والصحابة وما ورد في الكتب القديمة فلا يصلح فيما كتب عن الملاحم والفتن إلا اليسير ، مما اتصل إسناده برسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمؤرخ كالمحدث ينبغي أن يكون دينا خيرا فلا مدح ولا مدهانة ، فهما يخرجانه عن حد النزاهة الموضوعية ، كما تشترط العدالة في الحكم على الأحداث ، ورجالها فمعرفة أقدار الناس مهمة ، فمن كثرت محاسنه على عيوبه وهب نقصه لفضله ، فلا يكتفي المحدث والمؤرخ كلاهما فيما اشتهر نقله من الطعن في الأشخاص أو الرواة² .

إن التشابه والتطابق بين المحدث والمؤرخ وبين علم الحديث وعلم التاريخ ، لا يعني التطابق وتوحد المناهج بينهما ، لأن المؤرخ لا يقف عند حد تصحيح الواقعة ، كما يقف المحدث عند حد التأكد من صحة الحديث ، فالمؤرخ يقطع بعد ذلك أشواطاً وآماداً ، طويلة ومعقدة في الربط والتحليل والتركيب للجوانب الحضارية المختلفة ، في الأخبار التاريخية بما لا يفعله المحدث³ . ووجب التنبيه لدليل هام على ارتباط العلمين رغم بعض الاختلاف لأننا نجد أن كبار المحدثين في الوقت ذاته هم كبار المؤرخين وبراعتهم مؤرخين نشأت من براعتهم كمحدثين ، كالذهبي والنووي والمقرئزي وابن حجر وغيرهم⁴ .

لو أن أغلب المؤرخين لم يكتفوا بالسرد والنقل لكل ما يروى وإنما أضافوا لذلك نقداً وتمحيصاً لنهضوا بمكانة التاريخ مذ ذاك .

¹ / حسنين محمد ربيع ، محاضرات في علم التاريخ ، ط 1 ، دار النهضة العربية ، القاهرة 1983 م ، ص 28 .

² / السخاوي ، الإعلان بالتوبيخ ، المصدر السابق ، ص 114 ، 126 .

³ / حسنين محمد ربيع ، المرجع السابق ، ص 39 .

⁴ / محمد عبد الله عنان ، مؤرخوا مصر الإسلامية ومصادر التاريخ المصري ، مكتبة الأسرة مع الهيئة العامة للكتاب ، مصر 1999 م ، ص 35 .

تبين مما عرضنا عن الفرق بين المحدث والمؤرخ أنهما منارات من منارات العلوم واختصت الأمة الإسلامية بالحديث منها دون غيرها من الأمم ، والمحدث والمؤرخ كل في فنه ولكل مناهج وقواعد ، مع العلم أن بينهما ارتباطات منهجية ونقدية معلومة ، أغلب مدارها الرواية حديثية كانت أم تاريخية وسندها المقيم لصلبها رواة كانوا أم شهودا ، يسعى كل منهما لمعرفة الحقيقة التي أرخى عليها الدهر سدوله وكنفها بالشك والغموض واللذان ولدا مناهج نقدية وضوابط علمية لتجاوز تلك العقبات ، ونكتفي بما تقدم ونعرج الآن على ما يثبت ما تقدم فيما ذكرناه من علاقة الحديث بالتاريخ .

ثانيا - المحدثون المؤرخون ومصنفاتهم :

مما تقدم من البحث أن المحدث هو المشتغل بالسنة والمؤرخ الذي يشتغل بالأخبار التاريخية ، إلا ما تعلق منها بالرسول صلى الله عليه وسلم من سيرته وشمائله ، بيد أن المحدث كان يشتغل أيضا بجمع الأخبار التاريخية ورواياتها ، مع العلم أن أخبار النبي صلى الله عليه وسلم أفعاله وأقواله وإقراراته هي في حد ذاتها أخبار تاريخية¹ ، لا ريب أن المحدثين هم رواد علم التاريخ عند المسلمين ، والمؤرخون ساروا على نهجهم ، فمناهج علوم الحديث تشكل في حد ذاتها مناهج لتصحيح الخبر ، وهو أيضا عمل المؤرخ ، فالمؤرخون هنا اسم لكل من كان يحمل أصولا حديثية ، ومن كان ذا أصول إخبارية إلا أن الإخباريين يختلفون عن المحدثين من حيث كونهم يقبلون الخبر بغض النظر عن مصدره ، بشرط عدم وجود ما ينقضه من الكتاب أو السنة المتواترة أو الواقع المشاهد ، أما من المحدثين فيهتم بالمصدر ثم ثقة المصدر ، ثم عدم وجود المانع في تلقي الخبر ، أو في لفظ الخبر أو في معناه² .

لقد استمر اعتبار كتب الرجال من فروع التاريخ حتى بعد أن تبلورت عدة مفاهيم حول تعريف التاريخ وتحديد مجالاته وأغراضه وظهرت في الدراسات المتأخرة التي قام بها الكافيجي ،

¹ إبراهيم بن صالح الحميدان ، اتجاهات الكتابة والتصنيف في السيرة النبوية ودراساتها الدعوية ، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد 40 شوال 1423 هـ ، ص 11 .

² محمد علي الغامدي ، المرجع السابق ، ص 07 .

و السخاوي الذي اعتبر علم التاريخ فنا من فنون الحديث¹ .

وقد أقر بعض الباحثين الأجانب في العصر الحديث ، واعترفوا للمحدثين بدقة عملهم ، وأقروا بحسن صنيعهم ، واتخذ علماء التاريخ من قواعدهم أصولا يتبعونها في تقصي الحقائق التاريخية ، ووجدوا فيها خير ميزان توزن به وثائق التاريخ² .

فكان من نتاج ذلك علماء جهابذة مبرزون في كلا العلمين معا بل هم في الأصل محدثون كبار ثم مؤرخون كبارا ، ومصنفاتهم سمي أغلبها بلفظ التاريخ ولعل ما يجب الإستشهاد به في هذا المقام ما ذكر في ترجمة الحافظ مؤرخ الإسلام أبي عبد الله الذهبي على يد تلميذه العلامة صلاح الدين الصفدي³ : " ولم أجد عنده جمود المحدثين ولا كودنة⁴ النقلة ، بل هو فقيه النظر له درية بأقوال الناس ، ومذاهب الأئمة من السلف ، أرباب المقالات ، وأعجبنى منه ما يعانیه في تصانيفه ، من أنه لا يتعدى حديثا يورده ، حتى يبين ما فيه من ضعف متن ، أو ظلام إسناد ، أو طعن في روايته ، وهذا لم أر غيره يراعي هذه الفائدة فيما يورده⁵ .

ومن طالع مؤلفات الذهبي وقارنها بغيره سيعرف أنه من كوكبة المحدثين الذين عنوا بالكتابة التاريخية ، وسنتعرض لذكر أمثلة أخرى في مسرد لهؤلاء المحدثين المؤرخين بتراجم لهم وما صنّفوه من مؤلفات مع أنها اعتنت في الغالب بتاريخ الأعلام وبتراجم الرجال ، لتعم الفائدة ويكتمل المقصد .

¹ أكرم ضياء العمري ، بحوث في تاريخ السنة النبوية المشرفة ، ط5 ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، ص207 .

² نور الدين عتر ، المرجع السابق ، ص36 .

³ خليل بن أبيك الشيخ صلاح الدين الصفدي ، الإمام الأديب الناظم النائر أديب العصر ولد (ت696هـ) ، وقرأ يسيرا من الفقه والأصليين وبرع في الأدب نظما ونثرا وكتابة وجمعا وعني بالحديث وصنف الكثير في التاريخ والأدب ، فاقت مصنّفاته ستمائة مجلد ، منها الوافي بالوفيات ، وأعيان العصر وأعيان النصار والشعور بالغور ، وكشف الحال في وصف الخال ، أنظر: تاج الدين السبكي ، تح: محمود الطناحي ، وعبد الفتاح محمد الطلو ، ط2 ، دار هجر ، 1413 هـ ، ج10 ، ص05 .

⁴ الكودن : البرذون الثقيل ، ويشبه به البلبد ، مادة كدن والمعنى بلادة النقلة الذين ينقلون مالا يفهمون ، أنظر: ابن منظور المصدر السابق ، ج13 ، ص356 .

⁵ صلاح الدين خليل الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ط1 ، دار إحياء التراث العربي ، تح: أحمد الأرناؤوط وزكي مصطفى بيروت ، 1420 هـ ، 2000 م ، ج2 ، ص115 .

1 - الحافظ أبو حاتم محمد ابن حبان بن أحمد التميمي البستي :

الإمام العلامة الحافظ المجود، شيخ خراسان، أبو حاتم، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد بن سَهيد، التميمي الدارمي البستي، صاحب الكتب المشهورة ولد سنة بضع وسبعين ومائتين قال أبو سعد الإدريسي: كان على قضاء سمرقند زمانا، وكان من فقهاء الدين، وحفاظ الآثار، عالما بالطب وبالنجوم، وفنون العلم، وفقه الناس بسمرقند. قال الحاكم: كان ابن حبان من أوعية العلم في الفقه، واللغة، والحديث، والوعظ، ومن عقلاء الرجال، وقال أبو بكر الخطيب: كان ابن حبان ثقة نبيلاً فهماً. من مصنفاته : المسند الصحيح وكتاب "التاريخ"، وكتاب "الضعفاء" "تاريخ الثقات"، "علل أوهام المؤرخين" مجلد، "علل مناقب الزهري" عشرون جزءاً، حديث مالك " عشرة أجزاء، "علل ما أسند أبو حنيفة" عشرة أجزاء، "ما خالف فيه سفيان شعبه" ثلاثة أجزاء، وغيرها من المصنفات ،توفي ابن حبان بسجستان بمدينة بست في شوال سنة أربع وخمسين وثلاثمائة وهو في عشر الثمانين¹.

2 - الحافظ أبو نعيم أحمد ابن عبد الله، بن أحمد الأصبهاني :

أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني الحافظ المشهور صاحب كتاب حلية الأولياء، كان من الأعلام المحدثين، وأكابر الحفاظ الثقات، أخذ عن الأفاضل، وأخذوا عنه، وانتفعوا به، وكتابه " الحلية " من أحسن الكتب، وله كتاب " تاريخ أصبهان " نقلت منه في ترجمة والده عبد الله نسبته على هذه الصورة، وذكر أن جده مهران أسلم، إشارة إلى أنه أول من أسلم من أجداده، وأنه مولى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وسيأتي ذكر عبد الله بن معاوية، إن شاء الله تعالى وذكر أن والده توفي في رجب سنة خمس وستين وثلاثمائة، ودفن عند جده من قبل أمه²، ولد في رجب سنة 336 هـ، وقيل: سنة 334 هـ، وتوفي في صفر، وقيل: يوم الاثنين الحادي والعشرين من

¹/ شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، دار الحديث، القاهرة، 1427هـ، 2006م، ج 12، ص 189، 183.

²/ ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1398هـ، 1978م ج 1 ص 91.

المحرم سنة 430 هـ بأصبهان¹ .

3 - الحافظ أبو بكر، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي :
الحافظ أبو بكر، أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي المعروف بـ "الخطيب"، الفقيه الحافظ أحد الأئمة المشهورين والمصنفين المكثرين والحفاظ المبرزين ومن ختم به ديوان المحدثين كان أبوه أبو الحسن حافظاً للقرآن قرأ على أبي حفص الكتاني وكان خطيباً بدريجان وهي قرية من قرى بغداد² .

كان من الحفاظ المتقنين، والعلماء المتبحرين، ولو لم يكن له سوى التاريخ، لكفاه؛ فإنه يدل على اطلاع عظيم، وصنف قريباً من مئة مصنف، أخذ الفقه عن أبي الحسن المحاملي، والقاضي أبي الطيب الطبري، وغيرهما، وكان فقيهاً، فغلب عليه الحديث والتاريخ. ولد في جمادى الآخرة سنة 392 هـ يوم الخميس لست بقين من الشهر، من مصنفاته "تاريخ بغداد"، "البخلاء"، "تقييد العلم"، "الزهد والرقائق"، "شرف أصحاب الحديث"، "الفقيه والمتفقه"، "الكفاية في علم الرواية"، "عوالي مالك رواية الخطيب"، "الرحلة في طلب الحديث"، "المتفق والمفترق"، "نصيحة أهل الحديث"، "التحجيج بالشافعي"، وغيرها وتوفي يوم الاثنين سابع ذي الحجة سنة 463 هـ ببغداد، وكان الشيخ أبو إسحق الشيرازي أحد من حمل جنازته³ .

4 - الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي :

الإمام العلامة حافظ المغرب شيخ الإسلام أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري الأندلسي القرطبي المالكي صاحب التصانيف الفائقة⁴ .

ولد أبي عمر بن عبد البر وسكن مع أبيه بلنسية وغيرها يكنى: أبا محمد وأصله من قرطبة وكان: من أهل الأدب البارِع، والبلاغة الرائعة، والتقدم في العلم والذكاء، له عدة مصنفات منها

¹ / أبو الطيب صديق خان، التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1428 هـ، 2007 م، ص19 .

² / أبو القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر، تاريخ دمشق، تح: عمرو بن غرامة العمروي، 1415 هـ، 1995 م ج5، ص31 .

³ / محمد صديق خان، المصدر السابق، ص18، 20.

⁴ / شمس الدين الذهبي، المصدر السابق، ج13، ص357 .

"الإستيعاب في معرفة الأصحاب" ، "الإنباه على قبائل الرواه" ، "جامع بيان العلم وفضله" ، "الدرر في إختصار المغزي والسير" ، "الأجوبة على المسائل المستغربة من كتاب البخاري" ، "الإنصاف" ، "الإستدكار" ، "الإنتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء" ، "الكافي في فقه أهل المدينة" وغيرها من المصنفات توفي: سنة ثمانٍ وخمسين وأربع مئة. وصلى عليه القطيني الزاهد¹.

5 - الحافظ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمان بن الجوزي :

هو الإمام العالم الزاهد الحافظ المؤرخ الواعظ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حماد بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي ، القرشي التيمي البكري البغدادي الحنبلي، المعروف بأبي الفرج ابن الجوزي. والجوزي نسبة إلى شجرة جوز كانت في داره بواسط ولم يكن بواسط جوزة غيره².

صاحب "المنتظم في تاريخ الأمم" ، و"زاد المسير في علم التفسير" ، و"أخبار الأذكياء" "أخبار النساء" وغير ذلك من المصنفات المختلفة ذات النفع العظيم ، ولد في بغداد سنة 511 هـ ، وأخذ العلم عن جمهرة من أفاضل العلماء في عصره، منهم: أبو بكر الدينوري، والقاضي أبو يعلى ، والماوردي والهروي والقزاز وغيرهم ، فمجلسه في الوعظ كان يحضره الخلفاء، والوزراء، والأعيان، والعلماء، وأقل ما كان يحضر مجلسه عشرة آلاف، وربما حضره مائة ألف، وقد شهد مجلسه الرحالة الشهير ابن جبیر، وأطنب في الكلام عنه في رحلته ، تجاوزت مؤلفاته أربعمائة مؤلف ، توفي سنة سبع وتسعين وخمسمائة فدفن فيها إلى جوار قبر الإمام أحمد بن حنبل رحمهما الله³.

¹/ أبو القاسم خلف بن بشكوال ، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، تح : السيد عزت العطار الحسيني ، ط2 ، مكتبة الخانجي ، 1374 هـ ، 1955 م ، ص 270 .

² صلاح الدين خليل الصفدي ، المصدر السابق ، ص 109 .

³ ابن العماد أو الفلاح الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تح: عبد القادر الأرناؤوط ، ط1 ، دار ابن كثير، دمشق ، 1996، ج1 ص 47.

6 - الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي :

الذَّهَبِيُّ الإِمَامُ الحَافِظُ مُحدث العَصْرِ وخاتمة الحُفَاطِ ومُؤرِخ الإِسْلامِ وفرد الدَّهْرِ والقائم بأعباء هَذِهِ الصَّنَاعَةِ شمس الدِّينِ أَبُو عبد الله مُحَمَّدُ بن أَحْمَدَ بن عُثْمَانَ قايماز الرُكْمَانِي ثُمَّ الدِّمَشْقِيُّ المُفَرِّئُ ، ولد سنة ثَلَاثِ وَسَبْعِينَ وَسِمْئَةَ وَطَلَبَ الحَدِيثَ وَلَهُ ثَمَانِي عَشْرَةَ سنة فَسَمِعَ الكَثِيرَ لَهُ مُعْجَمٌ كَبِيرٌ وصغير ومختص بالمحدثين وَالَّذِي أقولُهُ إنَّ المُحدثين عِيَالُ الآنِ فِي الرِّجَالِ وَغَيرَهَا من فنون الحَدِيثِ على أَرْبَعَةِ المُزَيِّ والذهبي والعراقي وَأَبْنُ حَجْرٍ تَوَفَّى الذَّهَبِيَّ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ ثَالِثِ ذِي القَعْدَةِ سنة ثَمَانَ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِمِائَةَ بِدِمَشْقٍ وَأُضِرَّ قَبْلَ مَوْتِهِ بِبَيْسِيرٍ¹.

له العديد من المصنفات منها "تذكرة الحفاظ" ،"ميزان الاعتدال" ،"تاريخ الإسلام" ،"سير أعلام النبلاء" ،"العبر في خبر من غبر" ،"ترجمة الإمام مسلم ورواة صحيحه" ،"ديوان الضعفاء" "تهذيب الكمال في أسماء الرجال" ،"ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل" ،"المقتنى في سرد الكنى" ،"الكبائر" ،"المعجم المختص بالمحدثين" ،"دول الإسلام" ،"العرش" وغيرها².

7 - الحافظ عماد الدين اسماعيل ابن عمر ابن كثير :

هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن زرع، الشيخ الإمام العلامة عماد الدين أبو الفداء ابن الشيخ شهاب الدين أبي حفص القرشي البصريي الدمشقي الشافعي، المعروف بابن كثير، حافظ مؤرخ فقيه. ولد في قرية من أعمال بصرى الشام، وانتقل مع أخ له إلى دمشق سنة 706 هـ، من كتبه "البداية والنهاية" في التاريخ على نسق الكامل لابن الأثير و"شرح صحيح البخاري" لم يكمله و"طبقات الفقهاء الشافعيين" و"تفسير القرآن الكريم" "الاجتهاد في طلب الجهاد"، "مختصر علوم الحديث"، "التكميل في معرفة الثقات والضعفاء"³.

أفتى ودرس إلى أن توفي يوم الخميس سادس عشرين شعبان سنة 774 هـ بدمشق⁴.

¹ جلال الدين السيوطي، طبقات الحفاظ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1403 هـ، ص521.

² ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تح: محمد عبد المعيد ضان، ط2، مجلس دائرة المعارف العثمانية، صيدرا، الهند، 1392 هـ، 1972 م، ج3، ص363.

³ خير الدين الزركلي، المصدر السابق، ج1، ص320.

⁴ يوسف بن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تح: محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج2، ص414.

برع في الفقه والتفسير والحديث، وسمع بدمشق من عيسى المطعم، والقاسم بن عساكر، جمع وصنف ودرس وحدث، وكان له إطلاع عظيم في الحديث والتفسير والفقه والعربية وغير ذلك، وأفتى ودرس إلى أن توفي يوم الخميس سادس عشر من شعبان سنة 774هـ بدمشق¹.

8 - الحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني :

هو أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد الكنايني العسقلاني، أبو الفضل، الإمام الحافظ المؤرخ الحافظ المؤرخ الكبير، ولد في الثاني عشر من شعبان سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة في مصر، ومات والده وهو حدث السن، فكفله زكي الدين الخروبي، وهو من كبار التجار، وما إن بلغ التاسعة حتى كان قد حفظ القرآن، وسرعان ما أجاد بسائط الفقه والنحو، ودرس مدة طويلة من الزمن على أعظم علماء عصره، أقبل على الاشتغال والإشغال والتصنيف، وبرع في الفقه والعربية، وصار حافظ الإسلام في عصره، وانتهت إليه معرفة الرجال واستحضارهم، ومعرفة العالي والنازل، وعلل الحديث، وولي القضاء، ودرس في عدد من المدارس الشهيرة في مصر².

صنّف تصانيف كثيرة نافعة "فتح الباري بشرح صحيح البخاري"، و "الإصابة في تمييز الصحابة"، و"الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة"، "تخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر"، "لسان الميزان"، "تهذيب التهذيب"، وغير ذلك من المصنفات النافعة المفيدة القيّمة، مات في أواخر ذي الحجة من سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة³.

9 - الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمان السخاوي :

هو الشيخ الإمام، العالم العلامة المسند، الحافظ المتقن شمس الدين أبو الخير السخاوي محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان، السخاوي الأصل القاهري الشافعي، ولد

¹ يوسف بن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تح: محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج 2 ص 414.

² ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج 1، ص 74، 75.

³ شمس الدين السخاوي، الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، تح: إبراهيم باجس عبد المجيد، ط 1، دار ابن حزم، بيروت، 1419 هـ، 1999 م، ج 1، ص 101.

بمدينة القاهرة، بحارة بهاء الدين، في ربيع الأول سنة 831هـ، في أسرة أصلها من بلدة سخا من أعمال الغربية، بجوار دار علامة العصر الحافظ ابن حجر العسقلاني¹ .

حفظ القرآن العظيم وهو صغير وجوده ثم حفظ المنهاج الأصلي والفية ابن مالك والنخبة والفية العراقي وشرح النخبة ، له عدة مصنفات "الضوء اللامع لأهل القرن التاسع"، "عمدة المحتج في حكم الشطرنج" "الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر" "التاريخ المحيط" تلخيص تاريخ اليمن "المتكلمون في الرجال" "الغاية في شرح الهداية في علم الرواية" "البلدانيات" "التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة" "فتح المغيث بشرح ألفية الحديث" .توفي في شهر شعبان سنة 902 هـ².

10 - الحافظ جلال الدين عبد الرحمان أبي بكر السيوطي :

عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن أبي سابق الدين بكر بن عثمان بن محمد بن خضر بن أيوب بن محمد ابن الشيخ همام الدين، الشيخ العلامة، الإمام، المحقق، المدقق، المسند، الحافظ شيخ الإسلام جلال الدين أبو الفضل ابن العلامة كمال الدين الأسيوطي، ولد مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة ، وختم القرآن العظيم، وله من العمر دون ثماني سنين، ثم حفظ عمدة الأحكام، ومنهاج النووي، وألفية ابن مالك³.

له عدة مصنفات منها "تاريخ أسيوط" ،"تاريخ الخلفاء" "الأحاديث المنيفة" ،"الألفية في مصطلح الحديث" ،"إنباه الأتكياء لحياة الأنبياء" "تدريب الراوي" ،"الدر المنثور في التفسير بالمأثور" ،"تفسير الجلالين" ،"الجامع الصغير في الحديث" "لب اللباب في تحرير الأنساب" "اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة" ،وغيرها كثير توفي سنة إحدى عشرة وتسعمائة في منزله وقد استكمل من العمر إحدى وستين سنة⁴ .

¹ نجم الدين محمد بن محمد الغزي ،الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ،تح: خليل منصور ،ط1 ،دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، 1418 هـ ، 1997 م ، ج 1 ،ص53.

² محي الدين عبد القادر العيذروس ، النور السافر عن أخبار القرن العاشر، ط1، دار الكتب العلمية ، 1405 هـ ،بيروت ج1 ،ص17،18.

³ نجم الدين محمد الغزي ،المرجع السابق ، ج 1 ،ص227.

⁴ شمس الدين سخاوي ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ط 3 ،دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ج4 ،ص65.

من خلال ما سبق نتوصل إلى عدة فوائد ،ارتبطت في هذا المسرد الذي ترجم لعلماء دونوا في علم التاريخ أصولاً ،أصبحت مصادر هامة لكل مؤرخ ،مع اشتغالهم بعلم الحديث وظهر أثر علومهم الحديثية على ماكتبوه من مصنفات في علم التاريخ ،فالمطلع عليها يكتشف منهجهم الرصين ،من حيث الإسناد ومن حيث العدالة والضبط ،وإيعاز الأقوال لناقليها والتثبت في الجمع ،كما يتقطن القارئ من عناوين مصنفات أولئك ،فلو وضعنا أسمائهم أمام الطالب لقطع يقينا أنهم مؤرخون معروفون بل من مشاهير مؤرخي الإسلام إن لم نقل أهمهم وأعلمهم ،بل رواد التاريخ الإسلامي ،وربما لا علاقة لهم بالحديث ،بيد أن هؤلاء محدثون بالدرجة الأولى ولهم أصول في كتب الحديث والرجال والروايات وعليهم المعول في النقد الحديثي وعلم الجرح والتعديل¹ .

ووجب التنبيه إلى أن بعض المؤلفين أطلقوا على كتبهم في الرجال اسم التاريخ ،منذ النصف الأول من القرن الثالث الهجري ،كما سميت كتب الحوليات بالتاريخ فهاهو خليفة بن خياط حولياته بالتاريخ ،ولعل تبرير ذلك يعود لذكر سنوات الولادة والوفاة لبعض المترجمين وظل لفظ التاريخ مرتبطاً بالرجال رغم تطور مناهجه وتحديد مجالاته وأغراضه² .

ولتقريب الفهم سنذكر بعض أسماء الكتب التي تتدرج باسم التاريخ وجملتها صنفنا لذكر الرجال ،وأغلب أصحابها محدثون فهي بذلك في علم الرجال أصالة ،ومنها :**التاريخ الكبير والتاريخ الصغير للإمام البخاري ،والتاريخ الكبير للنسائي ،والمعرفة والتاريخ للفسوي المحدث ،التاريخ للنعزي المحدث الكبير ،التاريخ للفلاس أبي حفص ،التاريخ لأبي بكر بن أبي شيبة ،تاريخ ابن معين للدارمي ،التاريخ للواقدي ،تاريخ أصبهان لمحمد ابن منده ،تاريخ الخلفاء لإبن ماجة ،تاريخ أسماء الضعفاء والكذابين لابن شاهين**³ .

وغيرها من المصنفات الحديثية في علم الرجال والتي حملت مصطلح التاريخ عنواناً لها ومصنفوها محدثون أصالة بل راد له ،والمقام يضيق للتفصيل فيها وترجمة أصحابها .

¹ الجرح والتعديل : سنتطرق لمفهومها في ثنايا البحث .
² أكرم ضياء بن ضياء العمري ،بحوث في تاريخ السنة النبوية المشرفة ، ط4 ،دار بساط ،بيروت ،ص 207 .
³ محمد علي الغامدي ،المرجع السابق ،ص 28 .

ولاشك هنا أن على الباحث أن يكون مطلعاً على عامة الكتب محيطاً بأغلب مقاصدها وإن لم تكن في ديدن تخصصه المضبوط ، فالعلوم الإنسانية مرتبطة كأنها كل لا يتجزأ وخاصة النقلية منها ، بل يصعب الفصل أحياناً بين مناهجها وأدواتها وأغراضها البحثية والعلمية فمن ينكر مثلاً تاريخ العلوم الذي يعتبر عنصراً مشتركاً بين كل العلوم أقام صلبه التاريخ .

كما يمكننا أن نفهم مما سبق أن منهج المحدثين منهج رصين ارتبط بالوحي المحفوظ وخاض غماره علماء الأمة الأوائل وكانوا له سداً منيعاً بتلك المناهج الدقيقة والقواعد المضبوطة ، وكانت جهودهم تلك ملهمة للمؤرخين منهم فكان التعويد لعلم التاريخ الإسلامي من مشكاة الحديث وعلومه .

وكانت نواة المناهج التاريخية وخاصة النقدية منها ملكة خاصة بالمحدثين ومن ثمة رست كأصل متجذر عند المؤرخين المسلمين فيما بعد ، بل الأبعد منذ ذلك أثنى على هذه المناهج الثابتة ممن ليسوا من بني جلدتنا ، فمحاولات الوضاعين والكذابين وبعض غلاة المستشرقين اندثرت أمام هذه المناهج بل أثرت في كتابات بعضهم ، وشهدوا بالحق رغم كبريائهم وعتوهم ، والمأمول من كل هذا محاولة تطبيق هذه المناهج على المرويات التاريخية بمرونة تحفظ للأمة ذاكرتها ولا تنفي وتكذب كل ما ورد في مصادرها بدون إفراط ولا تفريط .

الفصل الثاني : مناهج نقد الرواية عند المحدثين والمؤرخين

المبحث الأول : المعالم النقدية والمنهجية للمحدثين .

أولا – النقد في اصطلاحات المحدثين وأهم أصوله.

ثانيا – آثار منهج المحدثين في الكتابة التاريخية .

المبحث الثاني : المعالم النقدية والمنهجية للمؤرخين .

أولا – النقد في اصطلاحات المؤرخين وأهم أصوله.

ثانيا – منهج الجرح والتعديل ومدى إمكانية تطبيق قواعد المحدثين على

المرويات التاريخية .

المعالم النقدية والمنهجية للمحدثين :

أولاً - النقد في اصطلاحات المحدثين وأهم أصوله :

1 - جمع النصوص عند المحدثين:

مثلاً حرص السلف الصالح على سماع حديث النبي صلى الله عليه وسلم، وتلقيه من علماء الصحابة والتابعين وضبطه وإحكامه فقد حرصوا بعد ذلك على جمعه وتدوينه، وقد دُوِّنت السنة في نهاية القرن الأول الهجري في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز رحمه الله، وفي ذلك يقول ابن حجر : " إعلم علمني الله وإياك أن آثار النبي صلى الله عليه وسلم لم تكن في عصر أصحابه وكبار من تبعهم مدونة في الجوامع ولا مرتبة لأمرين أحدهما إنهم كانوا في ابتداء الحال قد نهوا عن ذلك ،كما ثبت في الصحيح ما جاء عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا تكتبوا عني ،ومن كتب عني غير القرآن فاليمحه)¹ خشية أن يختلط بعض ذلك بالقرآن العظيم ،وثانيهما لسعة حفظهم وسيلان أذهانهم ولأن أكثرهم كانوا لا يعرفون الكتابة ،ثم حدث في أواخر عصر التابعين تدوين الآثار وتبويب الأخبار لما انتشر العلماء في الأمصار وكثر الابتداء من الخوارج و الروافض و منكري الأقدار " ² .

فالملاحظ من كلام ابن حجر أن التدوين تأخر لأسباب شرعية وضرورات ألزمها الواقع فرضت بعد ذلك تحرك عجلة تدوين السنة ،فكان النهي عن تدوينها خشية اختلاطها بالقرآن ،ثم أن أغلب الصحابة حفاظ متبعون لا حاجة للكتابة فيها كما أنهم لا يعرفون الكتابة ،إلى أن أوجب الواقع ذلك فجمع القرآن بمصحف واحد نفى بذلك علة الاختلاط تلك ثم ظهور حركة الوضع والكذب في الحديث نتيجة الفرق التي تدعي لنفسها الحق من روافض وخوارج وقدرية ،فاستلزم الأمر وضع حد لذلك .

¹/ رواه مسلم ،رقم :2298.

²/ ابن حجر العسقلاني ،المصدر السابق ،ج1 ،ص6.

وعلى ذلك فقول الأئمة: إِنَّ السُّنَّةَ دُوِّنَتْ فِي نَهَايَةِ الْقَرْنِ الْأَوَّلِ لَا يُفِيدُ أَنَّهَا لَمْ تُكْتَبْ طِيْلَةَ هَذَا الْقَرْنِ، بَلْ يُفِيدُ أَنَّهَا كَانَتْ مَكْتُوبَةً، لَكِنَّمَا لَمْ تَصِلْ لِدَرَجَةِ التَّدْوِينِ أَي: جَمْعِ الصُّحُفِ فِي دَفْتَرٍ، بَلْ كَانَ أَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ يَكْتُبُ مَا يَسْمَعُ مِنْ غَيْرِ تَرْتِيبٍ، وَعِنْدَمَا جَاءَهُمْ أَمْرُ الْخَلِيفَةِ عَمْرٍ بِنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَخَذَ الصِّفَةَ الرَّسْمِيَّةَ وَأَخَذَ التَّدْوِينَ أَشْكَالاً مُتَعَدِّدَةً، وَمَا فَهَمَهُ الْمَعَاصِرُونَ مِنْ أَنَّ التَّدْوِينَ هُوَ الْكِتَابَةُ فَهُوَ خَطَأٌ، مَنْشُؤُهُ عَدَمُ التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْكِتَابَةِ وَالتَّدْوِينِ¹.

ومن هنا نصل إلى أن جمع السنة مر عبر مراحل وجب التعرّيج عليها، فابن حجر ذكر أن أَوَّلُ مَنْ دَوَّنَ الْحَدِيثَ هُوَ ابْنُ شَهَابٍ الزَّهْرِيُّ² عَلَى رَأْسِ الْمِائَةِ بِأَمْرِ عَمْرٍ بِنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ثُمَّ كَثُرَ التَّدْوِينُ ثُمَّ التَّصْنِيفُ، وَحَصَلَ بِذَلِكَ خَيْرٌ كَثِيرٌ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمُنَّةُ³.

2 - مراحل تدوين النصوص والروايات الحديثية :

مما سبق فقد مر التدوين بالمرحلة الأولى في أواخر القرن الأول بما قام به عبد العزيز بن مروان، حيث كتب إلى كثير بن مرة الحضرمي وكان قد أدرك بحمص سبعين بدياً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أَنْ يَكْتُبَ إِلَيْهِ بِمَا سَمِعَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَحَادِيثِهِمْ، إِلَّا حَدِيثَ أَبِي هُرَيْرَةَ فَإِنَّهُ عِنْدَنَا"⁴.

ويُستنبط من هذه الرواية أمر هام للغاية، وهو أن تدوين السنة ربّما بدأ في مرحلة سابقة حيث أشارت الرواية إلى أن ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه موجوداً بالفعل عند عبد العزيز بن

¹ / وجب التنبيه إلى الفرق بين الكتابة والتدوين : فالكتابة: مُطلق خط الشيء، دون مراعاة لجمع الصحف المكتوبة في إطار جمعها، أمّا التدوين: فمرحلة تالية للكتابة ويكون بجمع الصحف المكتوبة في ديوان يحفظها، أنظر: عبد المهدي بن عبد القادر، السنة النبوية، مكاتبتها، عوامل بقائها، تدوينها، (د،ط)، دار الاعتصام، 1989م، ص97.

² هو ابن شهاب الزهري اسمه محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله الأصغر بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة، ولد سنة ثمان وخمسين بعد الهجرة، في آخر خلافة معاوية رضي الله عنه، كبير المحدثين وإمامهم بلا منازع وقد اتفق الأئمة على أن الزهري مات يوم مات وهو أعلم الناس بالسنة، مات سنة خمس وعشرين ومائة أنظر: صالح بن حامد بن سعيد الرفاعي، عناية العلماء بالإسناد وعلم الجرح والتعديل وأثر ذلك في حفظ السنة النبوية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، المدينة النبوية، ص12.

³ ابن حجر، المصدر السابق، ج1، ص07.

⁴ أبو عبد الله محمد بن سعد المعروف بابن سعد، الطبقات الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1410 هـ، 1990 م، ج7، ص311.

مروان ولم تُشَرِّ إلى زمان تدوينه، فربما كان في مرحلة سابقة على عهد عبد العزيز بن مروان، كما أنها لم تُشَرِّ إلى كونها قد دُوِّنت بأمره أم لا ممَّا يُعزِّز هذا الاستنباط.

فإذا أضفنا إلى ذلك الفرقَ الجوهري بين الكتابة والتدوين تبين لنا جلياً أنَّ كتابة الحديث النبوي بدأت في مرحلة مُبكرة للغاية، إلا أنها لم تأخذ طابعها العلمي ومنهجها الأكاديمي إلا مع نهاية القرن الأوَّل الهجري وما قام به ابنه عمر بن عبد العزيز من بعده فقد حرص على جمع السُّنة، وسلك في ذلك طريقين: **الأول**: أنه كتب إلى أبي بكر بن حزم كما جاء في صحيح البخاري: " كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بْنِ حَزْمٍ: انظُرْ مَا كَانَ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَكْتُبْهُ، فَإِنِّي خِفْتُ دُرُوسَ الْعِلْمِ وَذَهَابَ الْعُلَمَاءِ، وَلَا تَقْبَلْ إِلَّا حَدِيثَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ¹."

وفي قوله: " وَلَا تَقْبَلْ إِلَّا حَدِيثَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "، إشارة إلى الدِّقَّة والتَّحَرِّي والتَّمحيص عند جمع الحديث وتدوينه لِيُمَيِّزَ بين حديث النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبين غيره ممَّا قد يُنسب إليه وليس من حديثه **والثاني**: أنه أمر ابنَ شهاب الزهريَّ بجمع السنة حيث قال الزهري: "أَمَرْنَا عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِجَمْعِ السُّنَنِ فَكَتَبْنَاهَا دَفْتَرًا دَفْتَرًا، فَبَعَثَ إِلَيَّ كُلِّ أَرْضٍ لَهَا عَلَيْهَا سُلْطَانٌ دَفْتَرًا"².

المرحلة الثانية: تدوين السنة في منتصف القرن الثاني: نشط تدوين الحديث في منتصف القرن الثاني الهجري، ومن أوائل المُدوِّنين: في مكة: عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج البصري المتوفي سنة 150هـ، وسفيان بن عيينة المتوفي سنة 198هـ، وفي المدينة: مالك بن أنس المتوفي سنة 179هـ، ومحمد بن إسحاق المتوفي سنة 151هـ، وابن أبي ذئب المتوفي سنة 158هـ، وفي البصرة: الربيع بن صبيح المتوفي سنة 160هـ، وسعيد بن أبي عروبة المتوفي سنة 156هـ، وحماد بن سلمة المتوفي سنة 167هـ، وفي الكوفة: سفيان الثوري المتوفي سنة 161هـ، وزكريا

¹/ رواه البخاري، رقم، 49.

²/ ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، المصدر السابق، ج 1، ص 76.

بن أبي زائدة المتوفي سنة 149هـ ، وابن فضيل المتوفي سنة 195هـ ، ووكيع الثوري المتوفي سنة 161هـ ، ووكيع المتوفي سنة 197هـ ، وفي اليمن : معمر بن راشد المتوفي سنة 153هـ ، وخالد بن جميل لا تعلم وفاته ، وفي الشام : الأوزاعي المتوفي سنة 157هـ ، وعبد الرحمن بن عمرو المتوفي سنة 157هـ ، والوليد ابن مسلم المتوفي سنة 194هـ ، وفي خراسان ومرو : عبد الله بن المبارك المتوفي سنة 181هـ وفي واسط : هشيم بن بشير المتوفي سنة 183هـ ، في الري : جرير بن عبد الحميد المتوفي سنة 188هـ وفي مصر : عبد الله بن وهب المتوفي سنة 197هـ¹ .

أما المرحلة الثالثة فعرفت بمرحلة التصنيف² ووجب التنبيه كذلك على الفرق بين مرحلة التدوين و مرحلة التّصنيف في مرحلة التدوين : دُونَ حديثِ النبي صلى الله عليه وسلم فقط ، لذا جاء في الكتاب الذي كتبه الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم: "وَلَا تَقْبَلُ إِلَّا حَدِيثَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" ، وأما مرحلة التصنيف : فقد أخذت أشكالاً مختلفة ومن ذلك ضَمُّ الموقوف والمقطوع إلى جانب المرفوع من الحديث ، فدَوَّن الأئمة أقوال الصحابة والتابعين مع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما جاء ذلك في موطأ الإمام مالك وكانوا يؤلفون كل باب على حدة ، ومنهم من أَلَفَ كلَّ الأبواب ومنهم من اقتصر على أبواب الأحكام فقط³ .

لقد نشط تصنيف السُّنة في منتصف القرن الثاني الهجري ومن ذلك تصنيف المُصنِّفات كمصنف عبد الرزاق المتوفي سنة 211هـ ، ومصنف ابن أبي شيبة المتوفي سنة 235هـ ، وتصنيف المسانيد : مسند الحميدي المتوفي سنة 219هـ ، ومسند أحمد المتوفي سنة 241هـ ، ومسند الدارمي المتوفي سنة 255هـ ، وتصنيف الجوامع كجامع البخاري المتوفي سنة 256هـ ، وجامع مسلم المتوفي سنة 261هـ ، وجامع الترمذي المتوفي سنة 279هـ ، وتصنيف السُّنن : كسنن أبي داود المتوفي سنة 275هـ ، وسنن ابن ماجه المتوفي سنة 273هـ ، وسنن النسائي المتوفي سنة 303هـ⁴ .

¹ عبد المهدي بن عبد القادر ، المرجع السابق ، ص 108 .
² ووجب التنبيه على أن التصنيف : تمييز الأشياء بعضها عن بعض ، وصنف الشيء ميز بعضه عن بعض ، وتصنيف الشيء جعله أصنافاً ، أنظر ابن منظور ، المصدر السابق ، ج 9 ، ص 198 .
³ عبد المهدي بن عبد القادر ، المرجع السابق ، ص 123 .
⁴ أحمد بن عبد الرحمان الصويان ، جهود الأئمة في حفظ السنة ، ط 15 ، دار البيان ، ص 30 .

وبذلك يتضح أن أئمة السنة بذلوا جهداً عظيماً في جمع السنة وتبويبها، وتركوا لنا تراثاً غزيراً في عشرات المصنفات والدواوين، حتى أصبحت أمة الإسلام تمتلك بحق أغنى وأعظم وأرفع وأسمى تراث عرفته البشرية .

أما عن طرق الجمع العلمية فكانت بمنهج واحد دقيق رصين اختلفت بعض شروطه عند المحدثين منذ البدء في تدوين السنة، ووضعوا قواعد وضوابط في الكتابة وشرطوا شروطاً للتحمل والرواية حتى تسلم هذه الكتب والمرويات من الأخطاء .

ومن أصح الكتب بإجماع علماء الأمة، جمع الإمامان الجليلان محمد بن إسماعيل البخاري¹، ومسلم بن الحجاج النيسابوري² ويعرف كتابيهما بالصحيحين، ولذلك سنتطرق لشروطهما في القبول، والجمع ومصادرها كونهما أصح الكتب بعد القرآن ولأن المجال لا يسمح للغور في شروط المسانيد كلها أو المستدركات أو السنن أو غيرها من المصنفات الحديثية .

3 - منهج الإمامان محمد بن إسماعيل البخاري، ومسلم بن الحجاج النيسابوري:

لقد جمع الإمامين الأحاديث المروية في كتابيهما من مصدرين أساسيين، أولها المصادر الشفوية والتي تتمثل في أخذهما العلم عن مشايخهما وسماعهما الأحاديث من رواتها، ودليل ذلك السماع منذ عهد النبوة ثابت، قال أنس بن مالك : كنا قعوداً مع النبي صلى الله عليه وسلم

^{1/} هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَةَ الجُعْفِيّ هُوَ إِمَامُ أَهْلِ الْحَدِيثِ بِلَا خِلَافٍ بَيْنَ أَهْلِ النَّقْلِ وَوُلِدَ فِي بَخَارِي سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ وَتُوفِيَ وَالِدُهُ وَهُوَ صَغِيرٌ، فَنشأ يتيمًا، فبدأ بطلب الحديث وحفظه وهو صبي فحفظ حديث بلده، ثم قرأ كتب ابن المبارك وقد طعن في السادسة عشرة، فرحل في هذه السن إلى الحجاز، ومكث بطلب الحديث في الحجاز؛ له عدة مصنفات أشهرها، الجامع الصحيح أو صحيح البخاري أمضى في جمعه وتصنيفه سنة عشر عاماً، كانت وفاته ليلة عيد الفطر السبت 1 شوال 256هـ عند صلاة العشاء وصلى عليه يوم العيد بعد الظهر ودفن، وكان عمره آنذاك اثنين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوماً. أنظر: نور الدين محمد عتر الحلبي، الإمام البخاري وفقه التراجم في جامع الصحيح مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية عدد 4، سنة 1406 هـ - 1985 م، الكويت، ص 63 .

^{2/} مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كوشاذ القشيري النيسابوري، ولد في نيسابور سنة مائتين وست للهجرة، هو من أهم علماء الحديث النبوي وهو مصنف كتاب صحيح مسلم الذي يعتبر ثاني أصح كتب الحديث بعد صحيح البخاري وهو أحد كبار الحفاظ، طلب الحديث صغيراً، وكان أول سماع له سنة 218 هـ، وعمره آنذاك اثنتا عشرة سنة توفي الإمام مسلم بن الحجاج عشية يوم الأحد الخامس والعشرون من رجب سنة 261 هـ، 875م، وعمره خمس وخمسون سنة، ودفن يوم الاثنين ومقبرته بظاهر نيسابور ولم يعقب ذرية ذكوراً، وقد ذكر الحاكم أنه رأى من أعقابها من جهة البنات. أنظر: الذهبي شمس الدين، ترجمة الإمام مسلم ورجال صحيحه، تح: أبو يحيى عبد الله الكندري، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 1416 هـ، 1996م، ج1، ص 207، 211.

فعسى أن نكون ستين رجلاً فيحدثنا الحديث، ثم يريد الحاجة فنتراجعه بيننا ، فنقوم كأنما زرع في قلوبنا¹ .

ومما يستدل به على سماع النبي صلى الله عليه وسلم الأحاديث من الصحابة ، ومراجعتها لهم فيما ينقلونه عنه حديث البراء بن عازب قال: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ ثُمَّ قُلْ اللَّهُمَّ أَسَلْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ وَالْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ اللَّهُمَّ أَمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ فَإِنْ مِتُّ مِنْ لَيْلَتِكَ فَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ . قَالَ: فَرَدَّدْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا بَلَغْتُ اللَّهُمَّ أَمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ قُلْتُ وَرَسُولِكَ . قَالَ : " لَا وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ"² وعندما ودَّع النبي صلى الله عليه وسلم وفد عبد القيس بعدما علَّمهم قال لهم : " احفظوه وأخبروه من وراءكم "³ .

قال البراء بن عازب: ليس كلنا سمع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ،كانت لنا ضيعة وأشغال ولكن الناس كانوا لا يكذبون يوماً فيحدث الشاهد الغائب "⁴ .

وقد نهج البخاري منهج سلفه الصالح من الصحابة والتابعين في التلقي والحفظ ،قال محمد بن أبي حاتم وراق البخاري : سمعت حاشد بن إسماعيل وآخر يقولان: كان البخاري يختلف معنا إلى السماع⁵ وهو غلام فلا يكتب حتى أتى على ذلك أياما فكنا نقول له : فقال: إنكما قد أكثرتما عليّ فاعرضا علي ما كتبتما فأخرجنا إليه ما كان عندنا ،فزاد على خمسة عشر ألف حديث فقرأها كلها عن ظهر قلب ،حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه ثم قال: أترون أنى أختلف هدرا وأضيع أيامي فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد⁶ .

¹ عياض بن موسى القاضي ،المصدر السابق ،ص 142 .

² رواه البخاري ،حديث رقم : 239 .

³ رواه مسلم ،حديث رقم : 24 .

⁴ متفق عليه ، المستدرک علی الصحیحین ،المصدر السابق ، ج 1 ،ص 216 .

⁵ طرق السماع : بحث المحدثون الطرق التي يُنقل بها الحديث وهي ثمانية : السماع ، القراءة على الشيخ ، الإجازة ، المناولة ،

المكاتبة ، الإعلام ، الوصية ، الوجادة ، أنظر : ابن الصلاح ،المقدمة ،المصدر السابق ،ص 62

⁶ الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ج 2 ،ص 556 .

قال محمد بن خميرويه سمعت البخاري يقول: أحفظ مائة ألف حديث صحيح وأحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح¹.

وثانيها المصادر المكتوبة، وهي كتب الحديث المجموعة من قِبَل المحدثين الكبار السابقين لتاريخ تأليف الإمامين لصحيحيهما، فقد ظهرت كتب حديث سميت بـ " المسانيد " في بدايات القرن الثاني الهجري، كما ظهرت الكتب المرتبة على الأبواب الفقهية وهذه الكتب بدورها حوت الكتب والصحف الحديثية المكتوبة في القرن الأول الهجري، ومن أشهر هذه الكتب: الجامع أو السنن لعبد الملك بن جريج (80-150هـ)، والسنن للأوزاعي (88-156هـ)، والجامع لسفيان الثوري (97-161هـ)، والموطأ لمالك بن أنس (93-179هـ) وغيرها كثير، وقد شكَّلت هذه الكتب المادة الأولى لصححي البخاري ومسلم، حيث سمعا هذه الكتب بالأسانيد الصحيحة إليها ثم ضمَّناها في كتابيهما².

ويفصل فؤاد سزكين " ما زال الاعتقاد سائداً أن البخاري مثل باقي المؤلفين في الحديث لم يكن من الممكن أن يستخدموا كتباً مدونة من قبل، وأنه جمع صحيحه من مصادر شفوية، جمعه من رواة الحديث الذين التقى بهم أثناء رحلاته في الأقاليم المختلفة للعالم الإسلامي، وعلى العكس من هذا الاقتناع حقيقة أن هذا العالم نفسه كان له فضل اكتشاف المصادر المدونة الأولى للحديث، وأنه مثل بعض سابقيه قد وصل عن طريق مصادره إلى معرفة أنه وجدت بعض الوثائق في الحديث من القرن الأول الهجري، ومع هذا فقد أخطأ هذا الباحث في فكرة أن العلماء المسلمين زعموا أن الحديث كان يؤخذ كلية من المواد الشفوية، والواقع أن المقارنة بين صحيح البخاري وموطأ مالك وحدها كافية للرد على الزعم بأن البخاري لم يكن من الممكن أن يستخدم كتباً مدونة"³.

¹ نفسه، ج2، ص557.

² خليل بن عبد الله بن القزويني، الإرشاد في معرفة علماء الحديث، تح: محمد سعيد، عمر إدريس، ط1، دار الرشد، الرياض، 1409هـ، ج1، ص231.

³ فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي (علوم القرآن والحديث - التدوين التاريخي - الفقه - العقائد)، تر: محمود فهمي حجازي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1411هـ، 1991م، ج1، ص223.

وهكذا نصل إلى أن الإمامين البخاري ومسلم إنما جمعا جهود من سبقهما وانتقيا منها الأحاديث التي هي في أعلى مراتب الصحيح، وذلك من خلال الرواية بالأسانيد إلى أصحاب الكتب الكثيرة المؤلفة في المرحلة السابقة، إلى جانب الرواية عن الشيوخ¹ الذين أسندوا الأحاديث إلى النبي صلى الله عليه وسلم من غير طرق الكتب السابقة .

وقد اشترط الشيخان شروطا لم يشترطها غيرهما وجب التعرّيج عليها، فشرط مسلم بينه النووي في شرحه لصحيحه " قال الشَّيْخُ الإِمَامُ أَبُو عَمْرٍو بِنُ الصَّلَاحِ رَحِمَهُ اللهُ شرط مسلم رحمه الله تعالى في صحيحه أن يكون الحديث متصل الاسناد، بنقل الثقة عن الثقة من أوله إلى منتهاه، سالما من الشذوذ والعلة " قال وهذا حد الصحيح فكل حديث اجتمعت فيه هذه الشروط فهو صحيح بلا خلاف.²

وزاد البخاري رحمه الله الملازمة بين الرواة لا اللقيا فقط، فالصحة: أن تتوفر في كل حديث يخرج في صحيحه شروط الحديث الصحيح المعروفة، وهي ثقة الرواة والاتصال فيما بينهم، وخلو الحديث من الشذوذ والعلل، أما الرجال وهم الرواة أن يجمع الراوي بين الحفظ والإتقان، وبين طول الملازمة للراوي المكثر حتى يُخرج له في الأصول، وأما إذا لم يُلازم الراوي المكثر إلا مدة يسيرة فإنه يُخرج له في المتابعات والشواهد واتصال السند المعنعن، وأن يثبت اتصال الراوي بمن روى عنه بالنعنة بالنص، دون الاكتفاء بالمعاصرة وإمكانية اللقاء فقط³.

أعطى المحدثون طول ملازمة الشيخ وممارسة حديثه أهمية كبيرة فرجحوا من أجل ذلك أسانيد كثيرة أخرى، وأعانتهم معرفتهم بالصحة والممارسة على تمييز كثير من الأوهام والعلل، ولذلك نجد أن العلماء استنبطوا أن شرط الإمام البخاري في صحيحه أقوى من شرط مسلم في

¹ / وجب التنبيه على أن ألقاب المحدثين فيما يتعلق بالحفظ : أطلقها علماء الحديث على من يشتغل بعلم الحديث رواية ودراية ألقاباً متعددة منها : المسند ، المحدث ، الحافظ ، الحجة ، الحاكم ، أمير المؤمنين ، وهذه الألقاب : هي المراتب العلمية التي يلحظ فيها الحفظ لا اقتناء الكتب حتى إن من كانت عنده الكتب ولا يحفظ ما فيها لا يعتبر عندهم محدثاً، أنظر نور الدين عتر ، المرجع السابق، ص 92.

² / شرف الدين النووي ، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، ط 02 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت 1392 هـ ، ج 1 ، ص 15.

³ / عبد الفتاح أبو غدة ، لمحات في تاريخ السنة وعلوم الحديث ، ط 4 ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت 1417 هـ ، ص 67.

صحيحه ،حيث مثلوه بطبقة جمعت الحفظ والإتقان وطول الصحبة بينما كان مسلم يركز على الرواة الذين هم أهل حفظ وإتقان ،ولكن لم تطل صحبتهم لشييوخهم¹.

ولذلك نجد أن بعض المحدثين كان لا يرضى أن يسمع الحديث من الشيخ مرة واحدة فقد قال حماد بن زيد : ما أبالي من خالفني إذا وافقني شعبة ،لأن شعبة كان لا يرضى أن يسمع الحديث مرة واحدة ، يعاود صاحبه مراراً وقد صحب ثابت بن أسلم البناني أنساً بن مالك أربعين سنة².

ونكتفي بهذا القدر الذي عرفنا فيه صنعة علماء الحديث بعلمهم وتثبتهم في الأخذ والسماع ،لنمر إلى ظهور منهج النقد عند المحدثين كمهج علمي دقيق حفظ ميراث الأمة .

4 - ظهور منهج النقد عند المحدثين وأهم أصوله :

أدى ضعف ملكة الحفظ في الناس وطول الأسانيد وتشعبها بسبب بعد العهد وكثرة حملة الحديث ،حيث حمل الحديث عن كل صحابي جماعات كثيرة تفرقوا في البلاد فكثرت الأحاديث ودخلتها القوادح والعلل الظاهرة والخفية ،وكثرة الفرق المنحرفة عن جادة الصواب وعن المنهج الذي عليه الصحابة والتابعون ،كالمعتزلة والجبرية والخوارج وغيرهم .

فنهض أئمة الإسلام لمواجهة هذه الضرورات ،ووضعوا لكل طارئ ما يسد الثُّلَمَة التي حصلت ،فكان التدوين الرسمي للسنة الذي قام به عمر بن عبد العزيز و توقف أهل الفن في قبول الحديث ممن لم يعرف به ،وتتبعوا الأحاديث لكشف خباياها ووضعوا لكل صورة جديدة قاعدة تُعرِّفها وتبين حكمها فتكاملت أنواع الحديث واتخذت اصطلاحاتها الخاصة.

كما توسع العلماء في الجرح والتعديل ،وفي نقد الرجال لكثرة شيوع الضعف من جهة ضعف الحفظ ومن جهة انتشار الأهواء والبدع ،فتفرغ جماعة من الأئمة لنقد الرجال واشتهروا به ومن هنا كانت بوادر ظهور هذا المنهج الطيب في الذب عن الحديث³ .

^{1/} الصِّدِّيق بشير نصر ، ضوابط الرواية عند المحدثين ، ط1، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامي ، طرابلس ، 1401هـ، 1992م ، ص 313 .

^{2/} نفسه ، ص 312 .

^{3/} نورالدين عتر ، المرجع السابق ، ص 59 .

إن تلك العلوم والضوابط التي وجدت حتى عصرهم كانت محفوظة في صدور الرجال لم يدون شيء منها في كتاب، إلا ما كان من الشافعي الذي جمع فصولاً وأبحاثاً متفرقة لها أهميتها في كتابه الرسالة، فتكلم في الحديث الذي يحتج به وشرط فيه شروط الصحيح، وتكلم في شرط حفظ الراوي والرواية بالمعنى والمدلس وقبول حديثه¹.

5 - تعريف النقد لغة واصطلاحاً :

5-1 لغة : جاء النقد في اللغة على عدة معان منها :

إبراز الشيء وإظهاره: قال ابن فارس النُّون والقاف والذال: أصلٌ صحيح يدل على إبراز شيء وبروزه².

وقيل التمييز بين الجيد والرديء: نَقَدَ الدراهم والدنانير وغيرها نقداً وتقاداً: ميز جيدها من رديئها³.

وقيل اختلاس النظر إلى الشيء: نقد الرجلُ الشيءَ بنظره ينقده نقداً، ونقد إليه: اختلس النظر نحوه والإنسان ينقد الشيء بعينه وهو مخالسة النظر لئلا يفطن له⁴.

وجاءت بمعنى المناقشة: ناقدت فلانا إذا ناقشته في الأمر⁵.

كما جاءت بمعنى الاختبار : نقد الشيء ينقده نقداً : نقده ليختبره ،أو ليميز جيده من رديئه⁶.

وجاءت بمعنى العيب: وفي الحديث : " عن أبي الدرداء إن نقدت الناس نقدوك⁷ "، أي عبتهم واغتببتهم قابلوكم بمثله¹.

¹ نفسه، ص 60 .

² أحمد بن فارس بن زكرياء ،معجم مقاييس اللغة ،تح: عبد السلام هارون ،دار الفكر العربي ،بيروت ،ج5 ،ص 467.

³ إبراهيم مصطفى وآخرون ،المرجع السابق ،ج 2 ،ص 953 .

⁴ ابن منظور ،المصدر السابق ، ج 3 ،ص 425.

⁵ الجوهري ،المصدر السابق ، ج 2 ،ص 544 .

⁶ ابن منظور ، المصدر السابق ، ج3 ،ص 429 .

⁷ رواه مالك في الموطأ ، حديث رقم : 979 .

5 - 2 اصطلاحا :

لم يضع المحدثون للنقد تعريفا اصطلاحيا، وإن كانوا قد استعملوا معاني النّقد اللغوية في تقديمهم للأحاديث سنداً وامتتاً، ويمكن التوصل لمعنى النّقد في اصطلاحهم بالرجوع إلى أقوالهم وأحكامهم على الأحاديث قبولا وردا، قال ابن أبي حاتم² في مقدمة الجرح والتعديل: ولما كان الدين هو الذي جاءنا عن الله عز وجل وعن رسوله صلى الله عليه وسلم بنقل الرواة حق علينا معرفتهم، ووجب الفحص عن النّاقلة، والبحث عن أحوالهم وإثبات الذين عرفناهم بشرائط العدالة والثبت في الرواية، مما يقتضيه حكم العدالة في نقل الحديث وروايته، وأن يعزل عنهم الذين جرحهم أهل العدالة، وكشفوا لنا عن عوراتهم في كذبهم وما كان يعترتهم من غالب الغفلة، وسوء الحفظ، وكثرة الغلط والسهو والاشتباه³.

ويمكن تعريف النّقد اصطلاحا: بأنه تمييز الأحاديث الصحيحة من السقيمة، والحكم على روايتها تجريحا وتعديلا بألفاظ مخصوصة ودلائل معلومة، وتوضيح ذلك: أن تمييز الأحاديث الصحيحة من السقيمة، يكون بدراسة السند والمتن، وإصدار الحكم على الحديث بالقبول أو الرد، وهذه الدراسة تقضي بنا إلى نوعين من مناهج النقد عند المحدثين⁴.

أ - النوع الأول: علم الجرح والتعديل⁵:

والمراد به بيان أحوال الرواة من حيث قبول رواياتهم أو ردها بألفاظ مخصوصة، دقيقة الصياغة محددة الدلالة ومراتب تلك الألفاظ، ويعنى بأسماء الرواة وأنسابهم وأعمارهم، وتواريخ ولادتهم ووفياتهم وسماعهم من شيوخهم.

¹ ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تح: طاهر أحمد الزاوي، المكتبة العلمية، بيروت، 1399 هـ، 1979 م، ج 5، ص 104.

² عبد الرحمان بن محمد بن ادريس الرازي، كان بحرا في العلوم ومعرفة الرجال، والحديث الصحيح من السقيم، له تصانيف في الفقه والتواريخ، وتراجم علماء الأمصار توفي 327 هـ، أنظر: الذهبي، السير ج 13، ص 263.

³ عبد الرحمن بن محمد، الرازي بن ابي حاتم، الجرح والتعديل، ط 1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1271 هـ، 1952 م، ج 1، ص 5.

⁴ مصطفى الأعظمي، المرجع السابق، ص 5.

⁵ سنن في المصطلحين في ثنايا البحث.

ب - النوع الثاني: علم علل الحديث:

وهو من أدق علوم الحديث وأغمضها، فمن طريقه يمكن معرفة الأوهام الواقعة في أحاديث الثقات التي ظاهرها الصحة¹.

وذهب غيره إلى أن النقد الحديثي تمحيص للروايات الحديثية، والتمييز بين المقبول منها والمردود من خلال التمييز بين أحوال الرواة: جرحاً وتعديلاً، ومن خلال السند: اتصالاً وانقطاعاً، ومن خلال الواقع: إصابةً وتخطئةً، فالنقد الحديثي موضوعه السند والمتن أما نقد السند فيهتم لبيان حال الراوي: هل هو ثقة أو لا، وهل أصاب أو أخطأ، ويهتم ببيان حال الاتصال أو الانقطاع، وأما نقد المتن فيهتم ببيان الصواب والخطأ فيه، كنكارتة بمخالفته لصريح القرآن².....

ولعل هذا يوضح معنى المنهج النقدي عند بعض المتقدمين والمتأخرين من علماء الحديث والسنة، وننتقل إلى أهم أصوله .

6 - أصول منهج النقد عند المحدثين :

لا شك أن من أدق أبحاث علوم الحديث وأصعبها موضوع النقد، ولا سيما منهج نقد المتن عند من يزن الكلام ولا يلقيه جزافاً، وقد كان أئمة الحديث يتكلمون في النقد إلا أنهم إذا سئلوا فيه أجابوا السائل بما يجعله يستسلم لكلام الأئمة وإن لم يفقه مسالكهم، وهذا دليل على دقة هذا الموضوع عن فهوم طلبة الحديث وغيرهم ودليل على صعوبة التعبير عن الموضوع ومنهجه³ ومن هنا يتضح أن علماء الحديث وضعوا أصولاً لنقد السند⁴ وأخرى لنقد المتن وهذان لب للرواية الحديثية .

¹ منصور محمد أحمد يوسف، قواعد نقد المتن عند المحدثين، والرد على دعاوى إهمالهم نقد المتن، مجلة التراث النبوي، العدد: 05 محرم 1441 هـ، سبتمبر 2019، مج: 01، ص 255، 254.

² حميد يوسف قوفي، المرجع السابق، ص 293 .

³ صلاح الدين الإدلبي، المرجع السابق، ص 28 .

⁴ وجب التنبيه إلى أن السند لغة: ما استندت إليه من حائط وغيره، وقيل ما قبالك من الجبل وعلا عن السفح والسند معتمد الإنسان، أنظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج3، ص220 .

السند اصطلاحاً: هو الطريق الموصلة إلى المتن، أو بعبارة أخرى: هم رواة الحديث الذين رَووا لفظ الحديث وسموا الطريق؛ لأنهم كالطريق التي يتوصل بها إلى المقصود، أنظر: محمد محمود أحمد بكار، بلوغ الآمال من مصطلح الحديث والرجال، ط1، دار الطباعة المحمدية، 1405 هـ، 1985م، ص46.

وبما أن الإسناد يمثل خصائص هذه الأمة التي اعتنت إلى حد كبير بنقد الرجال فيه ومعرفة أحوالهم ودرجاتهم من العدالة والضبط بما يعد من مفاخرها بين الأمم، فكانت هذه المناهج من أهم الموازين التي يمكن بواسطتها التثبت من صحة الروايات في ميدان التاريخ والحديث والأدب، أو كل ما يعتمد النقل من العلوم، ويعتبر الراوي أحد حلقات الإسناد، وأهم عناصر موضوع النقد وبالتالي بذل النقاد كل ما في الوسع للإحاطة به تعريفاً ووصفاً وقبولاً ورداً¹.

ومن أهم الأصول التي اتفق عليها النقاد ووضعت شروطاً خاصة بالراوي لتحقيق ذلك: **العدالة والضبط**، والعدالة ملكة تحمل صاحبها على ملازمة التقوى وترك المفسقات و خوارم المروءة، وشرطها الإسلام والبلوغ والعقل والتقوى وتثبت بشاهدين عدلين، وقد تثبت بالشهرة والاستفاضة كالأئمة المتبوعين وغيرهم ممن عرف بالصدق والفهم، لأن السؤال عن من أشكل أمره².

أما **الضبط** أن يكون الراوي يقظاً حافظاً واعياً لما يسمع أو يرى، سواء حدث من حفظه أو كتابه ولذلك رد العلماء رواية الكافر والصبي غير المميز والفاسق، والتائب من الكذب في الحديث احتياطاً وكذلك المبتدع بتفصيل بين أهل الفن ومن أخذ على الحديث أجراً ما لم تدعه الحاجة لذلك³.

وبذلك لا يقبل النقاد من عرف بسوء الحفظ أو التلقين في الحديث، ومن لا يعرف حديثه أن عرض عليه، وكذا من أكثر من رواية المناكير، والأحاديث الشاذة، ومن عرف بكثرة السهو والغفلة والتساهل في سماع الحديث أو روايته وكثرة الخطأ⁴.

يتضح مما سبق أن الراوي المقبول الرواية لا بد أن يكون معروفاً بذاته، مشهوراً بالعدالة والضبط وقسموا الضبط إلى نوعين: ضبط صدر وضبط كتاب، وبينوا كيفية معرفة ضبط الراوي

¹ محمد علي قاسم العمري، المرجع السابق، ص 21، 22.
² الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، تح: أبو عبد الله السورقي وإبراهيم حمدي المدني، (د، ط)، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، ج 01، ص 23.
³ نفسه، ص 54، 56.
⁴ محمد علي قاسم العمري، المرجع السابق، ص 28.

عن طريق عرض روايات الراوي على الروايات الأخرى المماثلة ومقارنتها بها ، فإذا اتفقت معها سلم راويها من الانتقاد وسمي حافظاً وفرعوا على اختلال هذا الشرط فروعاً فلا تقبل رواية من عرف بالتساهل في سماعه أو إسماعه كمن لا يبالي به في السماع أو يحدث لا من أصل مصحح ، أو عرف بقبول التلقين في الحديث أو كثرة السهو في روايته إذا لم يحدث من أصل ، أو من كثرت الشواذ والمناكير في حديثه ¹ .

وكل هذه الشروط وضوابطها تؤدي بنا إلى القول بدقة المحدثين في تتبع أحوال الحفاظ وما يطرأ على حفظهم من تغير ، فنجد المحدثين بحثوا فيمن ضَعِفَ حديثه في بعض الأوقات دون بعض ومعرفة ثقات خَطُّوا في آخر عمرهم ، ومن ضعف حديثه عن بعض الشيوخ دون بعض ² . وبذلك يتبين لنا أن السمات العلمية للمنهج النقدي عند المحدثين كانت تتسم بالشمول والدقة خاصة فيما يتعلق بالراوي وشروط نقده وضبطت بقواعد ثابتة أجمع عليها المحدثون وسننتقل إلى نقد المتن لتكتمل الصورة النقدية .

قام الأساس الأول في هذا المنهج على أداء الراوي للحديث كما سمعه ، وهذا يقتضي أولاً دراسة الراوي وقد حقق المحدثون ذلك بدراسات مستفيضة متنوعة ودقيقة ، ووضعوا فيها شروطاً للراوي الثقة من عدالة وضبط ، ثم وضعوا العلوم التي تكشف أحوال الرواة فبحثوا في أسمائهم وفي تواريخهم وأماكنهم ومما يتصل بهذه الأصول من المسائل ، في ثلاثين نوعاً من أنواع علوم الحديث لها فروعها ومسائلها وتصانيفها الكثيرة التي تتناول جزئياتها بالنسبة لكل راو جزئية جزئية ³ .

ثم اهتم هؤلاء بالمتن ⁴ كمكون ثان للرواية الحديثية ، وخضع للبحث والتفتيش والتتبع بقصد التأكد من صحة النسبة للنبي صلى الله عليه وسلم لأن هناك من المتون لا يتصور أن يكون صادراً

^{1/} جلال الدين السيوطي ، تدريب الراوي ، المصدر السابق ، ج1، ص 339 .

^{2/} الصديق بشير نصر ، المرجع السابق ، ص 122 .

^{3/} محمد علي قاسم العمري ، المرجع السابق ، ص 35 .

^{4/} وجب التنبيه :المتن لغة : ما صلب من الأرض وارتفع ،والمماننة المماثلة والمباعدة في الغاية ، و متن الشئ متانة :اشتد وقوي فهو متين ،والمتن الظهر ،أنظر : الفيروزبادي ،المصدر السابق ، ج1 ، ص 380 .

اصطلاحاً: المتن: هو ألفاظ الحديث التي تتقوم بها المعاني ،وقال ابن جماعة: هو ما ينتهي إليه غاية السند من الكلام، ومن المماننة وهي: المباعدة في الغاية لأنه غاية السند ، أو من متنتُ الكيش: إذا شققت جلدة بيضته واستخرجتها ،فكأن المسند استخرج المتن ،

عنه ،حتى لو صح السند إليه ،إذ لا تلازم بين صحة المتن وصحة السند فقد ثبت صحة أحدهما دون الآخر ،وبالتالي تصدى لهذا الغرض أهل الخبرة وجهابذة السنة .

كما أن الموضوع النقدي مرتبط ببعض فرد السند يتبعه رد المتن تبعاً ،وزد أن التوثيق والتجريح لرواة الأسانيد أمر اجتهادي مبني على غلبة الظن ،فقد يضعف بعضهم من هو ثقة عند آخرين وقد يصح العكس ،كما أن احتمال الخطأ حتى في رواية من وثق يبقى وارداً وهذا يعني أن نقد المتن أمر ضروري لصحة الرواية الحديثية ،ويؤكد ذلك وجود عدد من الأحاديث المتعارضة التي صحت أسانيداً حتى في الموضوع الواحد في وقت لا سبيل للجمع بين هذه الأحاديث ،أو العمل بالنسخ والمنسوخ فيها ،ومنه فدراسة هذه المتن وعرضها على ما هو مألوف من حال النبي صلى الله عليه وسلم أمر حتمي للخروج من كثير من الإشكالات التي تعرض دارس الرواية الحديثية .¹

وكما اشترط العلماء لصحة الإسناد شروطاً فقد اشترطوا لصحة المتن أخرى ،وهي نفي **الشدوذ والنعارة**² ،والمتن الشاذ والمنكر يتفقان في مخالفة الثقات ويختلفان في أن راوي الشاذ ثقة وراوي المنكر ضعيف ،كما أنه يجب أن يخلو المتن من أي علة خفية قاذحة كأن يروي الراوي في المتن ما ليس فيه ،كما يجب أن يوافق المتن النص القرآني وما ثبت من حديث النبي صلى الله عليه وسلم ،وكذا مدى موافقة المروي للعقل السليم ،فإن كان المروي لا يتعارض مع هذه الأصول قبل وعمل المسلمون بمقتضاه ،وأما إذا خالف نصاً ثابتاً من غير إمكانية للجمع والتوفيق ،أو كان مما لا يقع تحت الحس أو الإدراك ،أو لا يقره عقل عد ذلك من موجبات الرد لهذه المرويّات وإن صحت أسانيداً³ .

بسند ،أو من المتن وهو: ما صلب وارتفع من الأرض ،لأن المسند يقويه بالسند ويرفعه إلى قائله ،أو من تمتين القوس ،أي: شداها بالعصب لأن المسند يقوي الحديث بسنده ،أنظر: السيوطي ،تدريب الراوي ،المصدر السابق ،ج 1 ،ص42.

¹ محمد علي قاسم العمري ، المرجع السابق ،ص36.

² **الحديث الشاذ** : ما رواه الثقة مخالفاً لمن هو أوثق منه ،إما بكمال العدالة أو تمام الضبط أو كثرة العدد أو ملازمة المروي عنه أو نحو ذلك ، ومن الشدوذ أيضاً أن يخالف الحديث المعلوم من الدين بالضرورة ،**والحديث المنكر** : الذي يخالف فيه الضعيف الثقات :أي يتفرد به الراوي الذي حفظه لا يجعله أهلاً لأن يتفرد بمثل هذه الرواية ،أنظر : الخطيب البغدادي ،تقييد العلم ،تح : يوسف العش ،ط2 ،دار إحياء السنة النبوية ،1974م ج 3 ،ص188 .

³ منصور محمد أحمد يوسف ، المرجع السابق ، ص 123.

يقول ابن حجر: فائدة مهمة عزيزة النقل، كثيرة الجدوى والنفع، وهي من المقرر عندهم " أنه لا تلازم بين الإسناد والمتن، إذ قد يصح السند أو يحسن الاجتماع شروطه من الاتصال والعدالة والضبط دون المتن لشذوذ أو علة"¹.

وأما ابن الجوزي فقد وضع كتابًا كاملاً في الموضوعات، وبين أن الوضع لا يختص بالسند فقط وإنما له علاقة كبيرة بالمتن، يقول رحمه الله: " وقد يكون الإسناد كله ثقات، ويكون الحديث موضوعاً أو مقلوباً أو قد جرى فيه تدليس، وهذا أصعب الأحوال ولا يعرف ذلك إلا النقاد"².

لعل فيما سبق الكفاية فيما يتعلق بأصول منهج النقد عند المحدثين وسنخرج على آثار هذا المنهج النقدي في الكتابة التاريخية وخاصة في السير و المغازي كأهم مصادر للتاريخ .

¹ / إبراهيم بن محمد صديق، نقد المتن بين براعة المحدثين وعبث الحدائين، ط1، دار طيبة، 1441هـ، 2017، ص09.
² / جمال الدين ابن محمد الجوزي، الموضوعات، تح: عبد الرحمان محمد عثمان، ط1، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، 1386 هـ، 1966 م، ج1، ص100.

ثانيا - آثار منهج المحدثين في الكتابة التاريخية :

لقد تأثر المؤرخون والأدباء وغيرهم بمناهج المحدثين في كتاباتهم وبدؤوا يدرسون الروايات التاريخية على وفق القواعد التي وضعها علماء الحديث ،وممن قام بجهد مبارك في هذا المضمار أكرم ضياء العمري¹ حيث أسس لقيام مشروع إعادة دراسة السيرة النبوية وسيرة الخلفاء الراشدين والتاريخ الإسلامي على وفق قواعد المحدثين .

قال العمري : " وما أعظمها من خسارة أن مقوم بوأد جهود المئات من كبار العلماء الذين قدموا لنا هذه الخدمة الخاصة بالتعامل مع " الرواية التاريخية الإسلامية " بسبب جهلنا بقيمتها والتزامنا الحرفي بمنهج النقد التاريخي الغربي.

وهنا تلزم الإشارة إلى أن إهمال نقد الأسانيد في الرواية التاريخية الإسلامية والاكتفاء بنقد المتون يوقعنا في حيرة أمام الروايات الكثيرة المتعارضة عندما تكون متونها جميعاً متفقة مع المقاييس والقواعد النقدية العقلية ، وهذا يحدث مع كثير من تفاصيل الأحداث التاريخية وخاصة المتعلقة بتاريخ صدر الإسلام ،إن ذلك يحتم على الباحث استعمال منهج المحدثين في نقد الأسانيد وإلا فإنه سيقف أمام العديد من المشاكل دون حل أو ترجيح² .

كان العمري من المؤرخين المسلمين السابقين في دراسة ومعالجة مناهج مؤرخي الإسلام ،وممن كبار محققي كتب الأمة من مصادر تاريخية و حديثية وفقهية و أدبية فلامست أنامله جهود العظماء منهم فعرف قيمة درهم المنهجية عموماً والنقدية خصوصاً وأن الرجل تخصص في علم التاريخ والحديث في آن واحد ،وصار مشهوراً في كليهما يشار إليه بالبنان ،فكان من المستتبطين لفوائد تداخل تلك العلوم ،محاولاً الحفاظ على الإرث المنهجي والتعلق بالمسار

¹ / أكرم بن ضياء بن أحمد العمري ولد في الموصل عام 1942م ،مؤرخ عراقي ،دكتوراه في التاريخ الإسلامي وأستاذ التاريخ الإسلامي وعلوم الحديث ،مُنح جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية لعام 1996 م، أسس لفقه السيرة وإعادة كتابة السيرة والتاريخ وفق منهج المحدثين ،أنظر: إبراهيم الصادق ،المحققون العرب ، د،ط ،دار الحكمة ،الدار البيضاء، 2011، ص 49 .

² / أكرم ضياء العمري ،السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية ،مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، 5، 1413هـ ، 1993م ،ص12.

العلمي لمؤرخي الإسلام ومحدثيه ، لا الاغترار بمناهج الغرب النقدية التي كانت تقرب من تاريخ المسلمين وتنصفه شوطاً ، وتنفر وتعيد عن العدل فيه أشواطاً .

كما برر العمري مناهج ذلك : "إن هذه الدراسة التي أقدم لها لا تمثل طموحي ولكنها محاولة للإفادة من منهج المحدثين في نقد الرواية التاريخية ، ويظهر فيها التركيز على نقد الأسانيد والرواة إلى جانب نقد المتن ، وخاصة في عملية الانتقاء من مجموع الروايات الضخمة التي دونها القدامى في السيرة إذ إن الاعتماد على الروايات التي صححها النقاد القدامى أحياناً ، أو الإفادة من منهجهم في تصحيح أو تضعيف ما لم يحكموا عليه من الروايات وليعطي أصدق صورة عن السيرة" ¹ .

لقد ارتكز العديد من مؤرخي التاريخ الإسلامي على مسايرة منهج المحدثين في كتاباتهم ومنهجهم في نقد الرواية التاريخية ، معولين على نقد سند ومتمن الرواية التاريخية كما هو دأب المحدثين في الرواية الحديثية ، وذلك بمعالجة أغلب الروايات الضخمة التي دونت في السير والتراجم خصوصاً ، كما اعتنوا بدراسة طرق جمع هذه الروايات وكيفية تصنيفها .

1 - تأثير منهج المحدثين على الكتابة التاريخية فيما يخص التصنيف :

هاهو أحد جهاذة التاريخ الإسلامي محمد بن جرير الطبري المتوفي سنة 310هـ أحد الرواد الأوائل الذين جسدوا في كتاباتهم منهج المحدثين في حركة التدوين التاريخي وظهر ذلك جليا في كتابه "تاريخ الأمم والملوك" ، وذلك لحجم ثقافته الدينية المتصلة بإنكبابه على العلوم الشرعية والتي أثرت في اتباعه مسلك المحدثين ، فقد جمع الروايات التاريخية وصاغها بمنهج المحدثين وسنفضل في منهجه في الجمع والنقد .

¹ / أكرم ضياء العمري ، المرجع السابق ، ص 19 .

2 - تأثير منهج المحدثين على الكتابة التاريخية فيما يخص الإسناد :

اعتمد محمد ابن جرير على الإسناد وهذا أبلغ أوجه التأثير بمنهجهم في الكتابة التاريخية، مما أضفى على كتابه مكانة علمية رفيعة حتى وصف بأنه أصل التواريخ، وأراد الطبري في كتابه الارتقاء بصحة الرواية التاريخية إلى مرتبة الخبر الشرعي، بأن يمزج بين التواريخ والأسانيد، فظهر حرصه على السند في معظم رواياته وخاصة الشرعية منها معتمدا صيغ التحمل والأداء، حتى أصبح كتابه أصلا عند مؤرخي التاريخ الإسلامي¹.

وعمل بنفس هذا المنهج ليشمل كتب التاريخ عند ابن خياط، و الفسوي و وابن سعد وابن هشام وغيرهم، كما وردت بعض المرويات التاريخية مسندة في كتب الحديث كالصحيحين والسنن، والمسانيد، والمصنفات، والتفاسير. ولما كان معظم المؤرخين الأوائل محدثين ولما كانت العناية بعلم الحديث هي التي أدت إلى الدراسات التاريخية، لذلك انتقل الإسناد إلى أهل التأريخ بشكل واضح².

ولعل ذلك يبدو أكثر وضوحا في كتب الطبقات والتراجم وتواريخ المدن وغيرها كما يبدو ذلك جليا في كتب نصر بن مزاحم في كتاب صفين، وهو منهج الطبري الذي صرح به كون قوة الرواية وضعفها مرتبط بدرجة إسنادها " وليعلم الناظر في كتابنا هذا أن اعتمادي في كل ما أحضرت ذكره مما شرطت أي راسمه فيه إنما هو على ما رويت من الأخبار التي أنا ذاكرها فيه، والآثار التي أنا مسندها إلى روايتها فيه، دون ما أدرك بحجج العقول واستنتب بفكر النفوس إلا اليسير القليل منه....فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستكره قارئه، أو يستشعنه سامعه، من أجل أنه لم يعرف له وجها من الصحة ولا معنى في الحقيقة

1/ فاطمة يحيى زكريا الربيدي، استخدام منهج المحدثين في حركة التدوين التاريخي (محمد بن جرير الطبري في كتابه الأمم . والملوك نموذجا)، مجلة كان التاريخية، العدد 25، ذو القعدة 1435هـ/سبتمبر 2014، دار ناشري للنشر الإلكتروني، ص 30
2/ أنس سليمان المصري، معالم منهج المحدثين (عند عماد الدين خليل) في التعامل مع الرواية التاريخية، مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، العدد، 02، 2014، مج: 41، ص 1548.

فليعلم انه لم يؤت في ذلك من قبلنا ، وإنما أتى من قبل بعض ناقليه إلينا ، وأنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدى إلينا ¹ .

بين الطبري أن العهدة في صحة الخبر على من روى الحادثة ، وهو بذلك متأثر ولا شك بطريقة المحدثين الذين أقاموا النقد على الإسناد ولم يناقشوا المتن إلا في القليل النادر ، فكان الإسناد بهذا أول الأصول التي استمدتها الكتابة التاريخية من منهج المحدثين ² .

ورغم هذا لا يمكن اعتبار الإسناد الوجه الأول والأخير ، في الحكم على صحة المرويات التاريخية أو الوجه الأوحد بتأثر الكتابة التاريخية بمنهج المحدثين ، فنجد أصولاً لمصادر التاريخ الإسلامي ظهرت نتيجة التأثر بمنهج المحدثين .

3 - تأثير منهج المحدثين على الكتابة التاريخية في كتب الطبقات والتراجم :

إن هذا النوع من المصنفات تعتبر ملاذ المحدثين لمعرفة صحة الأسانيد وذلك بتحقيق أسماء الرجال وأحوالهم ودرجة صدقهم والوثوق بهم ، والوقت الذي عاشوا فيه ومدى تحريمهم للدقة والأمانة في الرواية وكتاب الطبقات الكبير لابن سعد ³ أبلغ مثال على ذلك ، إذ يعتبر سجلاً لرواة الحديث من الصحابة ، والتابعين من بعدهم إلى وقته ، مضافاً إليه في القسم الأول من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ومغازيه ⁴ .

ويلاحظ من فحوى معظم التراجم في كتب الطبقات صلتها بالحديث ذلك أن كل ترجمة تميزت بنسب صاحب الترجمة مرفوعاً إلى أحد البطون أو الأشخاص المعروفين ، وذكر بعض أقربائه حسب الأهمية والشهرة ، ثم من روي عنهم أو روى عنه أي أساتذته وتلاميذه ثم تاريخ وفاته أو ولادته في القليل النادر منها ، ثم تطور علم الطبقات وتوسع إلى أن وصل على أوج

¹ محمد بن جرير الطبري ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 7،8 .

² بشار عواد معروف ، أثر الحديث في نشأة التاريخ عند المسلمين ، مجلة الأقسام الأدبية العراقية ، السنة الأولى ، محرم 1386هـ / مارس 1964م ، ص 25 .

³ محمد بن سعد بن منيع الحافظ العلامة الحجة أبو عبد الله البغدادي كاتب الواقدي ومصنف الطبقات الكبير في بضعة عشر مجلداً والطبقات الصغير وغير ذلك ولد بعد سنتين ومئة فقبل مولده في سنة ثمان وستين وطلب العلم في صباه ولحق الكبار سمع من هشيم بن بشير وابن عيينة ، وكان كثير العلم ، كثير الحديث والرواية ، كثير الكتب ، كتب الحديث والفقه والعرب ، وفي بغداد في يوم الأحد لأربع خلون من جمادى الآخرة ، سنة ثلاثين ومائتين وهو ابن اثنتين وستين سنة ، أنظر الذهبي ، السير ، ج 10 ، ص 644 .

⁴ بشار عواد معروف ، أثر الحديث في نشأة التاريخ عند المسلمين ، المرجع السابق ، ص 27 .

عظمته في نهاية القرن الرابع الهجري ، فهاهو كتاب طبقات الصوفية لعبد الرحمان السلمي¹ قد بين أبلغ أوجه تأثر هذه المصنفات بالمناهج الحديثية فالتراجم فيه قد بلغة من الدقة درجة دقة المحدثين² .

وقد بين منهجه في ذلك "وَقَدْ ذَكَرْتُ فِي كِتَابِ الرَّهْدِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِي التَّابِعِينَ قَرْنَا فِقْرَنَا وَطَبَقَةَ فَطَبَقَةَ إِلَى أَنْ بَلَغْتَ النَّوْبَةَ إِلَى أَرْبَابِ الْأَحْوَالِ الْمُتَكَلِّمِينَ عَلَى لِسَانِ التَّفْرِيدِ وَحَقَائِقِ التَّوْحِيدِ وَاسْتِعْمَالَ طَرِقِ التَّجْرِيدِ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَجْمَعَ فِي سِيرِ مَتَاخِرِي الْأَوْلِيَاءِ كِتَابًا أُسَمِّيهِ طَبَقَاتِ الصُّوفِيَّةِ أَجْعَلُهُ عَلَى خَمْسِ طَبَقَاتٍ مِنْ أَيْمَةِ الْقَوْمِ وَمَشَايخِهِمْ وَعُلَمَائِهِمْ فَأَذْكَرُ فِي كُلِّ طَبَقَةٍ عَشْرِينَ شَيْخًا مِنْ أَيْمَتِهِمُ الَّذِينَ كَانُوا فِي زَمَانٍ وَاحِدٍ أَوْ قَرِيبٍ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ وَأَذْكَرُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ كَلَامِهِ وَشَمَائِلِهِ وَسِيرَتِهِ مَا يَدُلُّ عَلَى طَرِيقَتِهِ وَحَالِهِ وَعِلْمِهِ بِقَدْرِ وَسَعَى وَطَاقَتِي"³ .

وكان السلمي إلى جانب ما ذكر يورد عبارة "أسند الحديث " ، بعد نسب صاحب الترجمة ثم يذكر ما روى المترجم من أحاديث نبوية بإسناده ، ومثال ذلك من تتبع السلمي في طبقات الصوفية لمنهج المحدثين "أخبرنا يوسف بن عمر الزاهد ببغداد حدثنا عبيد الله بن جعفر الصغاني حدثنا عمر بن واصل قال:قال:سهل بن عبد الله أخبرني محمد بن سوار عن معروف بن علي الكرخي الزاهد، وهو من جلة المشايخ وقدمائهم والمذكورين بالورع والفتوة كان أستاذ سري السقطي صحب داود الطائي وقبره ببغداد ظاهر يستشفى به ويتبرك بزيارته"⁴ .

ولا ريب أن الباحث يشعر بسهولة عند قراءة هذه الترجمة وكأنه يقرأ في كتاب حديث لا في كتاب طبقات ، فالاعتناء الزائد بالإسناد والاهتمام بالأقوال ، وذكر ما روي من الأحاديث النبوية ، أمور تجعل الباحث يجزم بكون كتب الطبقات نشأت بسبب علم الحديث .

¹ محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد ، الأزدي ، السلمي الأم ، الإمام الحافظ المحدث ، شيخ خراسان وكبير الصوفية ، أبو عبد الرحمن النيسابوري الصوفي ، صاحب التصانيف في علوم القوم سبعمئة جزء ، وفي أحاديث النبي -صلى الله عليه وسلم- من جمع الأبواب والمشايخ وغير ذلك ثلاثمئة جزء ، وكانت تصانيفه مقبولة وولد في سنة ثلاثين وثلاثمئة ، كذا ورخه عبد الغافر ، فإله أعلم ، مات السلمي في شهر شعبان سنة اثنتي عشرة وأربعمئة ، وقيل: في رجب بنيسابور ، وكانت جنازته مشهودة ، أنظر الذهبي ، المصدر السابق ، ج17 ، ص247 .

² نفسه ، ص 28 .

³ محمد ابن الحسين أبو عبد الرحمان السلمي ، طبقات الصوفية ، تح : مصطفى عبد القادر عطا ، ط 1 ، دار الكتب العلمية بيروت ، 1419 هـ ، 1998 م ، ص 21 .

⁴ نفسه ، ص 81، 80 .

كما تأثرت به من حيث الفحوى وعرض المادة وانجر على هذا التقسيم المضبوط والعرض الدقيق تأثر غير المؤرخين بذلك فنشأت طبقات الفقهاء "طبقات الشافعية وطبقات المالكية، وطبقات الأحناف وطبقات الحنابلة وطبقات القراء، والصوفية والزهاد، وطبقات اللغويين والنحاة، وطبقات الأدباء وطبقات فحول الشعراء، والفرق كطبقات المعتزلة وطبقات المتكلمين، والأطباء كطبقات الأطباء والحكماء " وليس هناك فرق بين كتب الطبقات والتراجم سوى الترتيب فالأول رتب زمنيا والثاني رتب تراجم الرجال ألف بائيا في الأغلب الأعم¹.

وقد أثر هذا المنهج حتى في المتأخرين فابن تغري بردي الأتابكي المتوفي سنة 874هـ، في مقدمة كتابه المنهل يصرح "وضعته على الحروف وتواليها، لتقرب ثمرات جناه من يد جانيها، كما سبقتني إلى ذلك جماعة من المتقدمين، وإلى الآن من أرباب الحديث وطبقات الفقهاء والأعيان².

كما بين قبله ابن باشكوال³ في كتابه الصلة " وكنت قد قيدت كثيرا من أخبارهم، وآثارهم، وسيرهم وبلدانهم، وأنسابهم ومواليدهم، ووفياتهم وعن من أخذوا من العلماء، ومن روى عنهم، من أعلام الرواة وكبار الفقهاء⁴، ولا ريب أن هذه هي طريقة المحدثين بعينها .

4 - تأثير منهج المحدثين على الكتابة التاريخية في طريقة كتابة تواريخ العالم والتواريخ العامة:

لم يقتصر تأثير كتب رجال الحديث ومناهجهم في الجمع والنقد على كتب التراجم والطبقات فقط، بل أثرت في طريقة كتابة تواريخ العالم والتواريخ العامة الأخرى، صحيح أن تأثير

¹ بشار عواد معروف، أثر الحديث في نشأة التاريخ عند المسلمين، المرجع السابق، ص 30.

² يوسف بن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تح: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج 1 ص 19.

³ الإمام العالم الحافظ، الناقد المجدد، محدث الأندلس أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى بن بشكوال بن يوسف بن داحة الأنصاري، الأندلسي القرطبي، صاحب تاريخ الأندلس. ولد سنة أربع وتسعين وأربعمائة. قال أبو عبد الله الأبار كان متسع الرواية، شديد العناية بها، عارفا بوجوهها، حجة، مقدما على أهل وقته، حافظا، حافلا، أخباريا، تاريخيا، ذاكرة لأخبار الأندلس. سمع العالي والنازل، وأسند عن مشايخه أزيد من أربعمائة كتاب، توفي إلى رحمة الله في ثامن شهر رمضان سنة ثمان وسبعين وخمسائة وله أربع وثمانون سنة، ودفن بمقبرة قرطبة بقرب قبر يحيى بن يحيى الليثي الفقيه. أنظر الذهبي، السير، المصدر السابق، ج 21، ص 139.

⁴ أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، ط 2، مكتبة الخانجي، 1374 هـ، 1955 م، ص 18.

علم الحديث في الكتب الأولى من تواريخ العالم كتاريخ اليعقوبي والمسعودي، وتاريخ الدول لابن عبري وتجارب الأمم وتعاقب الهمم لمسكويه، كانت بشكل مقتضب فقط إلا أنها عرفت تطوراً منذ القرن السادس فقد زاد الاهتمام بالأشخاص فيها، حتى على الحوادث¹.

أظهر مثال على ذلك كتاب المنتظم لابن الجوزي، الذي بدت عنده الظاهرة بشكل واضح فقد وضع تقسيماً فاصلاً بين الحوادث والوفيات ووضع الوفيات بعد حوادث كل سنة ورتبها حسب الألف باء، وقد اهتم بتراجم رواة الحديث بصورة أخص، ويبدووا هذا الأمر أكثر وضوحاً عند من جاء بعد ابن الجوزي كابن كثير في البداية والنهاية والذهبي في تاريخ الإسلام وتاريخ دول الإسلام وما كان القرن السابع الهجري يوشك على الانتهاء حتى يلاحظ أن معظم الكتب التاريخية العالمية والعامّة أصبحت كتب تراجم، ولقد كان لعلم الحديث وطريقته إسهاماً بالغاً في هذا التطور².

أثر علم الحديث بمناهجه في النقد أو من حيث التصنيف أو من حيث جمع المادة أو عرضها على قواعد النقد فلم تكن المعلومة تخط حتى يتثبت منها متناً وسنداً عندهم وكل ذلك تأسياً بمنهج أهل الحديث وخصوصاً أن أغلب المؤرخين محدثون.

5 - تأثير منهج المحدثين على الكتابة التاريخية فيما يخص كتب الأسماء و الكنى والألقاب والأنساب :

أثر علم الحديث تأثيراً ظاهراً لخصوصية الموضوع عند المحدثين خاصة في معرفة الرجال وضبطهم خشية التدليس و الاختلاط، ولا يمكن التوسع في هذا العنصر لتشعبه وكثرة مصنفاة إلا أنه وجب التنبيه على أهمية هذه الكتب في دراسة التاريخ الإسلامي، فأغلب المعلومات في هذه العصور المتأخرة مستقاة منها، ولعل أهم ما يلفت النظر هو تطور علم الأنساب عند المسلمين متأثراً بعلم الحديث، فقد كانت الأنساب قائمة عندما بدأ علم التاريخ الإسلامي يظهر

¹/ بشار عواد معروف، أثر الحديث، المرجع السابق، ص 31، 33.

²/ نفسه، ص 35.

للوجود ،بل ربما كان النسب أسبق من التاريخ في التدوين ،وكان القصد منها افتخار الناس بالأجداد قرشيين كانوا أو من قبائل عربية أو من الأشراف والحكام .

كانت هذه الكتب تهتم بالقبيلة والجنس ،إلى اتساع حركة الفتوح ودخول الأعاجم في الإسلام واختلاط الأنساب فنسب الناس إلى الأقاليم والمناطق والمدن ،كالبغدادي والبصري والأصفهاني والعراقي والمصري والأندلسي وغيرها من الألقاب والتسميات على الأحياء والقرى والمذاهب ،كالدارقطني و الكرخي و الباكردي و الرامني أو الشافعي والحنبلي والمالكي أو نسبة للصنعة والحرفة أو التخصص العلمي آنذاك كالفوطي والحفار و الدباس أو النحوى والتاريخي والأثري ،وأمسك بزمام كل ذلك المحدثون فوضعوا كثيرا من الكتب في هذا المضمار من أجل التفريق بين النسبة والأخرى وتغاديا لكل أنواع التدليس بالرجال أو البلدان ¹.

تمتاز كل هذه الكتب بأهميتها التاريخية فهي غنية إلى حد بعيد بمعلومات لا نجدها في غيرها من الكتب رغم تشتت تلك المعلومات وصعوبة انتقائها ،وأبلغ مثال عن تلك المصنفات كتاب الأنساب للسمعاني ² إذ يكاد يكون أنموذجا تاما لهذه المعلومات .

كما يوجد مظهر سادس من مظاهر هذا التأثير ،لا يتسع المجال للتفصيل فيه وهو التواريخ المحلية أو ما يعرف بتاريخ المدن لابتعاده عن الموضوع وتشعب التفاصيل فيه مع تأثره بمنهج المحدثين التي صبغت أغلب العلوم .

قال الزركشي ³ : العلوم ثلاثة : علم نضج وما احترق وهو علم النحو وعلم الأصول وعلم لا نضج ولا احترق وهو علم البيان والتفسير وعلم نضج واحترق وهو علم الفقه والحديث ¹ .

¹ /بشار عواد معروف ،المرجع السابق ، ص36 .

² /الإمام الحافظ الكبير الأوحى الثقة ، محدث خراسان ، أبو سعد عبد الكريم بن منصور بن محمد بن عبد الجبار ، التميمي السمعاني الخراساني المروزي ، صاحب المصنفات الكثيرة ، ولد بمرو في شعبان سنة ست وخمسمائة ، مات الحافظ أبو سعد في مستهل ربيع الأول سنة اثنتين وستين وخمسمائة بمرو له ست وخمسون سنة ،أنظر الذهبي ،السير ،المصدر السابق ،ج20 ،ص456 .

³ /محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي بدر الدين المنهجي ، ولد بعد الأربعين ، 745 هـ ، 1344م ، وسمع من مغلطاي وتخرج به في الحديث ، وقرأ على الشيخ جمال الدين الأسنوي وتخرج به في الفقه ، ورحل إلى دمشق فتنقه بها ، وسمع من عماد الدين ابن كثير ، له عدة مصنفات منها : المختصر والكلام على علوم الحديث ، وله استدراك عائشة على الصحابة ، والفوائد المنثورة في الأحاديث المشهورة ، والديباج على المنهاج ، أنظر : شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني ، إنباء الغمر بأبناء العمر ، ج1 ، ص168 ، موقع الوراق ، <http://www.alwaraq.net> ، تمت زيارته في : 2020/07/20 ، سا 09:00

فصل أهل الفن من المحدثين قول الزركشي : إن العلم الذي نضج ثم احترق هو علم الحديث وإن العلوم الأخرى سواء نضجت ولم تحترق كأصول النحو أم لم تنضج ولم تحترق كمناهج التفسير، قد تأثرت تأثراً يتفاوت قوة وضعفاً، واتساعاً وعمقاً، بما وضعه نقاد الحديث من مقاييس، وأرسوه من قواعد وأصول فدأب الفقهاء والمفسرون والمؤرخون يحتذون مناهج المحدثين وطُبعت ألوان كثيرة من الفقه والتفسير والتاريخ بطابع الحديث².

ومهما نَعُلُ في وصف ما كان للحديث من أثر في النحو وأصوله، وفي مختلف العلوم ومناهجها نظل دون إيفاء علم الحديث حقه، فما من تيار فكري إسلامي إلا وله من عدوى الحديث حظٌ معلوم، إن لم يكن فيما حمله تراث النبوة من وصايا وحكم وتعاليم، ففي طرق التحمل والأداء وشروط الرواية والرواة، ومقاييس النقد والتجريح، وأساليب التصنيف والتخريج ومعايير الموازنة والترجيح، فهذه كلها دخلت شواهد النحو وسادت أبحاث اللغة، وارتفعت إلى أخبار التاريخ والأدب، وتركت في الجميع أصداءها الشداد عن طريق الرواية والإسناد³.

توسعت دائرة الإسناد والتي هي من نتاج مناهج المحدثين، حتى مست التاريخ بجميع أشكاله الإنسانية والأدبية ولم يعد مقصوراً على الأخبار الدينية المرتبطة بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ومغازيه، والأحكام الشرعية الواردة في زمنه من حلال أو حرام وحتى فضائل الأعمال والرقائق، بل تعدت ذلك إلى التاريخ الإسلامي متمثلاً في أخبار الخلفاء وفتوح البلدان، وذكر الوقائع والأحداث المارة خلال تلك الحقبة الزمنية، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل تجاوزه إلى الأخبار الأدبية، فصار لرواية الشعر كبير اهتمام سواء في تراجم الشعراء وأخبارهم أو ذكر مروياتهم في الشعر مع ذكر أسانيدها، فلم يفلت نوع من الخبر الأدبي إلا وظهر الإسناد فيه، حتى أخبار الحمقى والمغفلين ومجالس الفسق والمجون، غير أنه بلغ غايته في الخبر الديني، ومن هنا أخطأ جمع من المؤرخين إذ أوردوا لنا أخباراً مهمة مجردة من أسانيدها الأمر

¹ أبو عبد الله بدر الدين بهادر الزركشي، المنشور في القواعد الفقهية، ط2، وزارة الأوقاف الكويتية، 1405هـ، 1985م، ج1، ص72.

² صبحي الصالح، علوم الحديث ومصطلحه، ط18، دار العلم للملايين، بيروت 1991م، ص316.

³ صبحي الصالح، المرجع السابق، ص321.

الذي أسقط قيمتها العلمية، فأقصى ما تبلغه أن تكون شاهدة لأخبار أخرى صحيحة مسندة وإلا فهي من قبيل القصص¹.

وقد نهج على نهج علماء الحديث، علماء السلف في الميادين العلمية الأخرى، كالفقه والتفسير واللغة والتاريخ والأدب وغيرها، وقد ألف أحد علماء التاريخ في العصر الحاضر كتاباً في أصول الرواية التاريخية اعتمد فيه على قواعد مصطلح الحديث، واعترف بأنها أصح طريقة علمية حديثة لتصحيح الأخبار والروايات².

وهاهو أسد رستم³ المؤرخ المسيحي الذي اعترف بتأثير هذه المناهج على التاريخ بل وكتب كتاباً في التاريخ معتمداً فيه على قواعد الجمع والنقد والتصنيف للرواية عند المحدثين. كما قال أحمد شاكر⁴: بعد أن تحدث عن منهج المحدثين: "وقلدهم فيها العلماء في أكثر الفنون النقلية، فقلدهم علماء اللغة، وعلماء الأدب، وعلماء التاريخ وغيرهم فاجتهدوا في رواية كل نقل في علومهم بإسناده، كما تراه في كتب المتقدمين السابقين، وطبقوا قواعد هذا العلم عند إرادة التوثيق من صحة النقل في أي شيء يرجع فيه إلى النقل، فهذا العلم في الحقيقة أساس لكل العلوم النقلية، وهو جدير بما وصفه به صديقي وأخي العلامة الشيخ الحقيقة أساس لكل العلوم النقلية وهو جدير بما وصفه به صديقي وأخي العلامة الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة من أنه: منطق المنقول وميزان تصحيح الأخبار"⁵.

¹ بشير الصديق نصر، المرجع السابق، ص 66.

² مصطفى السباعي، المرجع السابق، ص 107.

³ كتاب مصطلح التاريخ، لأسد رستم: مؤرخ لبناني عظيم الأثر، يُعدُّ رائدَ علم التوثيق في المشرق العربي، ومن أبرز من وضعوا المنهجية العلمية في كتابة التاريخ باللغة العربية دون الخُضوع لتحيُّراتٍ مُسبقة، كما أنه أول من حصلَ على لقب «دكتور في التاريخ» في العالم العربي من جامعة شيكاغو. وُلِدَ أسد جبرائيل رستم بقرية شوير في لبنان عام 1896م، في عام 1965م أستاذ التاريخ في الجامعة الأمريكية في بيروت سابقاً تُوفِّيَ مُخْلِفاً مكتبةً تاريخيةً نادرةً وأسلوباً في التأريخ يُحتذى به، وقد مُنِحَ بعد وفاته وسامَ الاستحقاق اللبناني المُذَهَّب، أنظر: <https://www.hindawi.org/contributors>، أُطلع عليه 2020/07/21، سا 11:00.

⁴ الشيخ أحمد محمد شاكر (1309 هـ، 1377 هـ / 1892م / 1958م) الملقب بشمس الأئمة أبو الأشبال، إمام مصري من أئمة الحديث في العصر الحديث، درس العلوم الإسلامية وبرع في كثير منها، فهو فقيه ومحقق وأديب وناقد، لكنه برز في علم الحديث حتى انتهت إليه رئاسة أهل الحديث في عصره، كما اشتغل بالقضاء الشرعي حتى نال عضوية محكمته العليا، أثرى المكتبة الإسلامية بأبحاثه القيمة وتحقيقه لأهمّات الكتب المفيدة، وكانت وفاته في السادس والعشرين من شهر ذي القعدة سنة 1377م الموافق 1958م. أنظر: <https://www.islamweb.net/>، أُطلع عليه 2020/07/21، سا 12:00.

⁵ الحافظ ابن كثير، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، تح: أحمد شاكر وناصر الدين الألباني، ط1، مكتبة المعارف، الرياض، 1417 هـ، 1996 م، ص 6.

لعل فيما مضى من البحث بيان لتأثير منهج المحدثين في الكتابة التاريخية، إذ لم يتأثر المؤرخين بدرجة كبيرة بأصول وقوانين وضوابط المحدثين في ضبط الروايات التاريخية فقط، بل تأثر علماء اللغة والأدب والفقه والتفسير وغيرهم بمنهج المحدثين في قبول الروايات ولقد كان للتاريخ الإسلامي التأثير الأبلغ من هذا المنهج كون أول نواة له كانت السيرة النبوية والتي قوام مادتها الحديث بلا منازع بل هي باب من أبواب الحديث .

واستمرت هذه الصلة الوثيقة بين المنهج العلمين حتى بداية التدوين الرسمي وظهور المؤلفات في التاريخ الإسلامي، حيث ظل المحدثون قبل ذلك الوقت يهتمون بجمع أخبار المغازي والسير وأخبار الفتوح، كما اهتموا برواية أخبار الفتن والملاحم، والأحداث التي أثرت في الحس الإسلامي كمقتل عثمان رضي الله عنه وحادثة صفين والجمل وغيرها من أحداث صدر الإسلام¹.

بل ضمننت كتب السنن والجوامع نماذج من هذه الأخبار في أبواب المغازي والفضائل والشمائل، وفي الصحيحين وغيرهما وقد ظل هذا الاهتمام سارياً عند المحدثين إلى أن انفصل علم التاريخ عن علم الحديث النبوي، وأصبح علماً مستقلاً بذاته، عندما أفردت الأخبار التاريخية بمصنفات مستقلة مع بداية التدوين الرسمي للتاريخ الإسلامي².

وقد كان لهذا الارتباط المبكر بين علم الحديث وعلم التاريخ أثر بالغ على مناهج المؤرخين، كما أسفر فيما بعد عن ظهور حركة نقد مبكرة لأخبار التاريخ ومصادره على يد أئمة الجرح والتعديل مما كان له أثر في نقد مصادر التاريخ الإسلامي وتقويمها، وتتجلى آثار هذا التلاقح بين المنهجين في مناهج المؤرخين في التصنيف والرواية في اهتمامهم بالإسناد، وظهور الجرح والتعديل في رواة الأخبار، ثم تطور منهج النقد عند المؤرخين المتأخرين .

^{1/} أبو عمرو خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، من مقدمة المحقق، تح: أكرم ضياء العمري، ط2، مؤسسة الرسالة، 1397 هـ، ص 63 .
^{2/} نفسه، ص 64.

المعالم النقدية و المنهجية للمؤرخين :

أولاً - النقد في اصطلاحات المؤرخين وأهم أصوله :

نوهنا من قبل إلى أن ثمة مشتركاً معرفياً بين الحديث والتاريخ أفضى إلى أن أضحت مادة الحديث أساساً في بنية التاريخ الإسلامي ونقصد السير و المغازي والملاحم والفتن كما فصلنا، بل أضحت من أهم موضوعاته المعني بالبحث فيها، وقد أفضى هذا المشترك في جانب الموضوع إلى وحدة في المنهج بين العلمين بوجه عام سواء على صعيد نقل الخبر وتوثيقه، أو على صعيد نقده وقبوله .

ومما ساعد كذلك على وجود هذه الوحدة المنهجية مشترك التكوين الثقافي بين المحدث والمؤرخ، حيث شكلا في أغلب الأحوال وجهين لعملة واحدة، فجل مؤرخي الإسلام كانوا بالأساس محدثين أو رواة للحديث والعكس صحيح، ولعل هذا ما يفسر اشتراط بعض أهل العلم في المؤرخ نفس الشروط اللازم توافرها في المحدث¹ .

مثلا يقول الكافي المتوفي سنة 879هـ عن الشروط اللازم توافرها في المؤرخ: " ينبغي أن يشترط في المؤرخ ما يشترط في راوي الحديث من أربعة أمور: العقل، والضبط، والإسلام، والعدالة.."²، أما السخاوي المتوفي سنة 902هـ فيقول في هذا الشأن: "أما الشرط المعنى به بالتاريخ فالعدالة مع الضبط التام "³ .

إذا فشرطا العدالة والضبط هما شرطان مشتركان في منهج النقد عند المحدثين والمؤرخين، وإذا كان المحدث سيعول بطبيعة الحال على منهجية أصول الحديث في توثيق وقبول أخباره سواء الخاص منها بالسنة والحديث، فالمؤرخ في مجال التاريخ الإسلامي لم يجد أفضل من هذه

^{1/} ياسر أحمد نور، مصادر السيرة النبوية بين المحدثين والمؤرخين، أمانة جائزة نايف ابن عبد العزيز آل سعود للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة، الدورة الثالثة، ط 01، 1428 هـ، 2007 م، ص 369 .

^{2/} روزنثال، المرجع السابق، ص 336 .

^{3/} السخاوي، الإعلان بالتوييح، المصدر السابق، 80 .

المنهجية في نقل وضبط مروياتها، كموروث علمي اعتمد عليه علماء الأمة في معالجة الرواية الحديثية، بقواعد رصينة وضوابط دقيقة أجمع عليها العلماء من المحدثين، والأخص من ذلك مرونة تطبيقه على المرويات التاريخية الأولى بلا ضير .

1 - جمع الروايات التاريخية عند المؤرخين :

عرفت الرواية عند الأمم القديمة المجاورة للعرب كالفرس واليونان والرومان والهنود قبل الإسلام، وعول عليها كأداة يتوسلون بها لنقل وحفظ ما يتعلق بأنساب آلهتهم وسير أبطالهم، وملاحمهم المشهورة، إلا أنها افتقرت إلى دقة العلم ومنهجيته لطغيان الخرافة والأسطورة على مادتها، يرى الدارسون أن الرواية قبل الإسلام نشأت بسيطة ساذجة لا تحكمها أية ضوابط منهجية، حيث كانت مشاعاً بين العامة والخاصة على السواء، ثم نمت وتطورت لما اهتموا إلى الشعر وبرعوا فيه، وهنا مست الحاجة إلى من يتفرغ إلى حفظه وأدائه، ولهذا ظهر رواة قصرُوا أنفسهم على حفظ هذا الفن الشفهي وأدائه، وأصبح لكل قبيلة شاعر أو أكثر بصير بتراثها ومفاخرها يضع نفسه تحت تصرفها¹.

إذن فالرواية قبيل الإسلام لم تكن محكومة بأية ضوابط منهجية علمية، لكونها جاءت تلبية لحاجات اجتماعية تمثلت في حفظ أنساب القبائل والتغني بأمجادها ومفاخرها من خلال شعراء ونسابين تملكهم نزعة العصبية وروح الجاهلية، إلا أن الأمر كان مختلفاً بعد الإسلام حيث أصبحت الرواية علماً ذا أصول وقواعد لكونها ارتبطت بالأساس بضرورة شرعية دينية تجسدت في حفظ أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، ولهذا ظهر منهج الإسناد في الرواية الذي يعتبر خصيصة امتازت بها الأمة الإسلامية على باقي الأمم².

يقول ابن حزم : "نقل الثقة مع الاتصال حتى تبلغ النبي صلى الله عليه وسلم خص الله به المسلمين دون سائر أهل الملل والنحل"³، ولا يفهم من ذلك أن هذا الإلزام المنهجي لم يقتصر

¹ مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، مطبعة الاستقامة، ط01، القاهرة، 1953 م، ص280.

² ياسر أحمد نور، المرجع السابق، ص372.

³ أبو محمد علي بن حزم الأندلسي، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1317 هـ، ج2، ص68.

فقط على المحدث في روايته للحديث، بل انسحب أيضاً على المؤرخ حال روايته للأخبار التاريخية.

2 – عوامل تدوين الروايات والحوادث التاريخية :

إن بداية التدوين التاريخي عند المسلمين كانت بدراسة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ومغازيه¹، وأعمال الصحابة والدولة الإسلامية التي أقامها النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة، وأخبار الغزوات والجهاد، وأخبار الهجرة، وكان الاعتماد في بادئ الأمر على الرواية الشفهية كالحديث، فالحديث دراية ورواية، والتاريخ دراية ورواية ويشترك العلمان في المصادر والمنهج². وأصبحت هذه الدراسة لتاريخ الرسول والرسالة، أو السيرة وسميت المبدأ أو المبتدأ وتبدأ بتاريخ آدم عليه السلام في العادة ثم تستمر إلى أن تصل إلى سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ونسبه، ثم صار العرف أن يلحق بالسيرة قسم آخر وهو المغازي، وقد دل هذا الربط بين التاريخ الإسلامي عموماً والسيرة النبوية خصوصاً وتاريخ العالم منذ الخليفة إلى المبعث، على تطور مهم جداً في الفكرة التاريخية وفي المفهوم التاريخي، دل على شعور المؤرخين بأن التاريخ العربي الإسلامي صفحة من صفحات كثيرة مطوية، تكون منها التاريخ العالمي، وأن هذا التاريخ لا يمكن أن يبقى بمعزل عن تاريخ الشعوب الأخرى³.

مما سبق تبين أن السيرة النبوية ونخص منها السير والمغازي كانت النواة الأولى التي تأسس منها التاريخ الإسلامي، هذا التاريخ الذي إستوى على سوقه، منطلقاً من أساس ثابت وهو الحديث ململماً مادته من أحداث ثبتت من إسناد تناقله رجال جهابذ، وقصص لمن سبقت من الأمم من نصوص الوحي أو الإسرائيليات منذ بدأ الخلق إلى المبعث.

¹ / وجب التنبيه على أن السيرة مرادفة للمغازي، ولو أن الأخيرة تعني لغويًا غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم وحرابه لكنها تناولت في الحقيقة فترة الرسالة بكاملها، أنظر: عبد العزيز الدوري، نشأة علم التاريخ عند العرب، مركز زايد للتراث والتاريخ، 1420هـ، 2000 م، ص 20.

² / مصطفى شاكِر، التاريخ العربي والمؤرخون: دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام، ط3، دار العلم للملايين، بيروت، 1983 م، ج 1، ص 35.

³ / إبراهيم أمين الجاف الشهرزوري البغدادي، مناهج المحدثين في نقد الروايات التاريخية للقرون الهجرية الثلاثة الأولى، دار القلم، الإمارات العربية المتحدة، 2014، ج 1، ص 38.

ساهم الإسلام في كل هذا التطور الذي جعل علم التاريخ يتقدم يوماً بعد يوم خاصة بصلته العميقة بعلم الحديث والأدب¹ من جهة وتكوين الحضارة الإسلامية والتصادم بين الآراء والتيارات الحضارية، وتطور الأمة وخبراتها من جهة أخرى، أدت كل هذه الدوافع إلى الكتابة التاريخية بشكلها العام².

أضاف بعض المستشرقين عوامل أخرى من عوامل كتابة التاريخ، إذ يقول المستشرق الإنجليزي هملتون جب: "ففي مذاهب أهل السنة أن الأمة الإسلامية، أي أمة الله، هي التي يرتبط بها استمرار النظام الإلهي على الأرض، لذا كانت دراسة تاريخ هذه الأمة تكملة ضرورية لدراسة الوحي الإلهي في القرآن والحديث"³.

تبين لنا من شهادة من ليسوا من بني جلدتنا وديننا حاجة التاريخ لعلوم القرآن والسنة والأدب، وكان منطلقه التدويني أساساً منهم، وقد جاءت المقولة الذهبية لسفيان الثوري: "لما استعمل الرواة الكذب، استعملنا لهم التاريخ"⁴، والشاهد الآخر ما ذكره الحافظ ابن كثير في "البداية والنهاية" في ترجمة أبي بكر الخطيب البغدادي ما نصه: "ولما ادعى الخيبر، أن معهم كتاباً نبوياً فيه إسقاط الجزية، أوقف ابن مسلمة الخطيب على هذا الكتاب فقال: هذا كذب، فقال له: وما الدليل على كذبه؟ فقال: لأن فيه شهادة معاوية بن أبي سفيان ولم يكن أسلم يوم خيبر، وقد كانت خيبر في سنة سبع من الهجرة، وإنما أسلم معاوية يوم الفتح، وفيه شهادة سعد بن معاذ، وقد مات قبل خيبر عام الخندق سنة خمس، فأعجب الناس بذلك"⁵. ومن هنا يتبين الدور والحاجة لتدوين الرواية التاريخية خدمة لتلك العلوم ورسوخاً لفضله عليها.

¹ وجب التنبيه على أن: دراسات الأدب والشعر واللغة والنحو والبلاغة كلها أدت بشكل أو بآخر، إلى حفظ كثير من الأخبار والأحداث المتعلقة بذلك الشعر أو بمفردات اللغة أو الأدب، وتكونت من حصيلة تلك الأخبار المادة التاريخية الأولية التي خدمت المؤرخين خدمة عامة، وكذلك البحوث عن الكلمات الغريبة، أو الأمثال، أو اللهجات، ودراسة الأمكنة والقبائل والأيام والرجال وغيرها، أنظر: مصطفى شاكر، المرجع السابق، ج1، ص66.

² عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص13.

³ هاملتون جب، علم التاريخ، كتب دائرة المعارف الإسلامية، تر: إبراهيم زكي خورشيد وآخرون، ط1، مركز الشارقة للإبداع الفكري، 1418هـ، 1998م، ص65.

⁴ الخطيب البغدادي، الكفاية، المصدر السابق، ص193.

⁵ ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر السابق، ج12، ص108.

3 - أنواع المصنفات والروايات التاريخية :

كما أن اهتمام المسلمين بالتدوين التاريخي نابع من اهتمامهم بدينهم وعقيدتهم ،حيث لا يمكن للمسلم أن يفهم كثيرا من أحكام دينه إلا بمعرفة التاريخ وعن طريقه ،فالقرآن الكريم الذي هو دستور المسلمين في الحياة لا يمكن فهمه إلا بالسنة والتاريخ ،حيث من المعلوم أن القرآن أنزل منجما خلال ثلاث وعشرين سنة ،ومعرفة السور المكية والمدنية وترتيب الآيات والسور ،والناسخ والمنسوخ وبالتالي معرفة الحلال والحرام متوقف ذلك على معرفة التاريخ¹.

كما أن هناك عوامل أخرى أدت إلى تدوين الروايات التاريخية ،فمذاكرة الصحابة والتابعين لأخبار من سبقهم وطلبهم الآثار والأخبار وذلك يؤدي إلى حصول مادة تاريخية هامة لم يسغ إهمالها لدورها ووجب تدوينها فهي من مشكاة ثقات عدول وهم صحب الرسول صلى الله عليه وسلم².

كما لخص بعضهم من أن العوامل الأولى لظهور تدوين التاريخ الإسلامي ،تاريخية الإسلام في حد ذاته والحاجة الفكرية الملحة وضرورة الحاجات العملية الحياتية ووجود عوامل مساعدة على ذلك ،وميل بعض الخلفاء كمعاوية رضي الله عنه والمنصور إلى الإطلاع على سياسات الملوك وأعمالهم ،ولا ننسى حرص البعض ممن دخل الإسلام من غير العرب من أهل الحضارات الأخرى على التتويه بمجد بلادهم القديم³.

"قبلالتاريخ عرف الناس أمر حجهم وصومهم وانقضاء عدد نسائهم ،ومحل ديونهم "⁴.

لهذه العلل وغيرها اهتم المسلمون بتدوين التاريخ الإسلامي والتأليف فيه ،ومن علامات اهتمام المسلمين بالتاريخ وتميز الحضارة الإسلامية بالنزعة التاريخية ظهور حوالى خمسة آلاف مؤرخ على الأقل ،وأكثر من اثني عشر ألف كتاب تاريخ لديها وبعض هذه الكتب في هذه الكتب في خمسين وثمانين ومائة مجلد¹.

¹ إبراهيم أمين الجاف ،المرجع السابق ،ج 1 ،ص33 .

² أبو شامة عبد الرحمان بن اسماعيل ،الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ،تح: إبراهيم الزبيق ،ط1 مؤسسة الرسالة ،بيروت ،1997 م ،ج 1 ،ص22 .

³ جرجي زيدان ،تاريخ التمدن الإسلامي ،(د،ط) ،مطابع دار الهلال ،1958م ،ج 1 ،ص97 .

⁴ خليفة بن خياط ،المصدر السابق ،ج 1 ،ص5 .

وهذا يعد بحق أضخم التراث التاريخي الإنساني، يصرح أحد الباحثين المعاصرين " أن المسلمين ألفوا في التاريخ كتباً لا تحصى، وما من أمة قبل العصر الحديث بلغت في هذا العلم ما بلغ إليه المسلمون² .

ومن أسباب اهتمامهم بالتاريخ معرفة أخبار الأمم الماضية وذلك من أجل الاتعاظ والتذكرة والعبرة، لذلك كانت المؤلفات الأولى يتوسع فيها بذكر أخبار الأرض من هبوط آدم وقصص الأنبياء وأحوال القيامة³ .

كما ألف فيه بعضهم من أجل المتعة حيث اعتبروه من أحسن اللوم وأشهاها، فألف فيه فحول المؤرخين كتباً أعطوها عناوين مختلفة تدل على محتواها⁴ .

إن الجهود التي بذلها أئمة السير و المغازي وكذلك مؤرخو كتب الطبقات وكتب الفتوحات الإسلامية، وكتابات الإخباريين و التي كانت بدايتها في عهد بني أمية آتت ثمارها بشكل واضح وجيد، وبشكل منهجي في عصر بني العباس حيث بدأ المؤرخون يكتبون في التاريخ العام وأحوال الأمم والبلاد⁵ .

ولقد بينا في ما مضى دور السير والمغازي في الكتابة التاريخية ومنهجها المعتمد على الإسناد كأساس علمي دقيق تركز عليه جل الروايات، كما أن المتتبع للتاريخ الإسلامي وهو يدقق صفحاته يجد أمامه ظاهرة واضحة وبارزة وهي أن أغلب المؤرخين القدامى إن لم نقل جميعهم على الإطلاق كانوا من أصحاب الحديث، ويتبعون في منهجهم في تدوين الأخبار التاريخية ومعالجتها أسلوب المحدثين وظلت هذه الطريقة مرعية عندهم رعاية تامة إلى نهاية القرن الثالث⁶ .

¹ محمد ابن اسحاق، المعروف بابن النديم، الفهرست، (د،ط)، دار المعرفة، بيروت، ص 131، 135.

² غوستاف لوبون، حضارة العرب، تر: عادل زعيتر، ط4، 1384 هـ، البابي الحلبي، ص453.

³ السيوطي جلال الدين، الشماريخ في علم التاريخ، تح: عبد الرحمن حسن محمود، مكتبة الآداب، القاهرة، 1411 هـ، ص10.

⁴ حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، (د،ط)، مكتبة المثنى، بغداد، 1941 م، ج1، ص81.

⁵ جب، المرجع السابق، ص61.

⁶ نفسه، ص64.

بل إن هذه الطريقة ظلت مستمرة إلى عصر الخطيب البغدادي، أي إلى القرن الخامس الهجري حيث نجد أن تاريخ بغداد مكتوب بنفس المنهج والأسلوب، وابن عساكر إلى نهاية القرن السادس الهجري، ومن المظاهر الواضحة في تاريخ تراث الإسلام، تأليف أغلب أئمة الحديث كتباً في التاريخ سواء تراجم أو طبقات أو تاريخاً عاماً¹.

كانت أغلب هذه المناهج تدرس وتطبق في مدرسة المدينة ومدرسة أهل العراق، وكان لها تأثير واضح على أصحاب تلك المدرستين، فحينما نجد أن التدقيق والمحافظة والتشدد في الرواية في مدرسة المدينة، نجد مقابلاً شيئاً من التساهل والتسامح في الجانب العراقي، لذلك كان التحذير مستمراً من قبل أهل المدينة لروايات العراقيين، لكن هناك من المؤرخين من سلك مسلكاً وسطاً بين المنهجين مثل أبي الحسن المدائني²، حيث أخذ الروايات العراقية وتناولها بأساليب أهل المدينة في النقد، وإن هذا التشابه بين أهل الحديث والتاريخ حداً ببعض المستشرقين المعنيين بكيفية نشوء علم التاريخ عند المسلمين أن يقول أن التاريخ وليد علم التاريخ، وآخرين منهم بالقول أن التاريخ الإسلامي وليد السيرة والمغازي³.

غير أن المتتبع للتدوين عند المسلمين قد بدأ بالأهم وهو القرآن ثم السنة النبوية ثم السيرة ثم التاريخ، وبذلك فإن علم التاريخ عند المسلمين هو علم إسلامي بحث بخلاف العلوم العقلية الأخرى، مثل الطب والفلك والرياضيات والفيزياء والكيمياء التي تأثر بها المسلمون مما وجدوه من كتب السريان والرومان والفرس واليونان والهنود في مدارس معروفة، حملت تراثاً من سبق من الأمم في المنطقة وعرفت بترائها العلمي التاريخي مثل "الرها"⁴ و"انطاكية"¹ وحيث ترجمت

¹ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، تح: بشار عواد معروف، مقدمة المحقق، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1422 هـ، 2002 م، ج1، ص19.

² العلامة الحافظ أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف المدائني الأخباري، ولد سنة اثنتين وثلاثين ومائة كان مولده ومنشؤه بالبصرة، ثم صار إلى المدائن ثم نزل بغداد وصنف التصانيف وكان عجباً في معرفة السير والمغازي والأنساب وأيام العرب، مصدقاً فيما ينقله عالي الإسناد، حدث عنه: خليفة بن خياط، والزبير بن بكار، والحارث بن أبي أسامة، قال يحيى بن معين فيه، ثقة ثقة ثقة، ثم صار إلى بغداد، فلم يزل بها حتى توفي بها في ذي القعدة سنة أربع وعشرين ومائتين، أنظر الذهبي، السير، ج10، ص400.

³ إبراهيم أمين الجاف، المرجع السابق، ج01، ص56.

⁴ في شمال بلاد ما بين النهرين، تحديداً شمال منطقة الجزيرة في سوريا، وقد سميت بعدة أسماء منها: مدينة أسروينا، وأورهي، وأدما، وأديسا، وعربايا؛ لأن سكانها هم العرب الأراميين، وكانت نسبة كبيرة من سكانها من اليهود، وهذا ما كان يميزها عن

العديد من الكتب بعد التمحيص والتدقيق والتعديل الى العربية.

يرتبط التاريخ الإسلامي بالدين الإسلامي وانتشاره إلى أصقاع العالم وبالتطور الاقتصادي والتعرف على حياة المسلمين التجارية والزراعية والجغرافيا من خلال اختيار مواقع المعارك، إذ اختار الرسول صلى الله عليه وسلم موقعا مناسباً لمعركة بدر وغيرها واختار خالد بن الوليد موقعا مناسباً لمعركة اليرموك، كما يرتبط علم التاريخ عن المسلمين ببناء المدن فقد بنى قادة المسلمين مدناً لتخدم حركة الجيوش الإسلامية أثناء فتوحاتهم خارج الجزيرة العربية مثل مدن البصرة والكوفة في العراق والفسطاط في مصر والقيروان في تونس وغيرها من المدن².

وكان لذلك منهج علمي معين ووسائل محددة ومراحل معلومة، فقد اهتم المسلمون بكتابة التاريخ بأساليب مختلفة منذ القدم، وأكبر دليل على ذلك هو الرصيد الكبير الهائل من كتب التاريخ عند المسلمين منذ ابتداء عصر التدوين في أواخر القرن الثاني الهجري إلى يومنا هذا، وقد افتتوا في تفريعها إلى فنون كثيرة فنراهم كتبوا في تاريخ العرب القديم والحديث وفي أيام العرب في الجاهلية والإسلام، وفي مغازي الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته، وفي الفتوح وفي تاريخ الرجال وطبقاتهم، وفي تاريخ المدن والأمصار والخطط وفي التاريخ السياسي العام والخاص، وفي تاريخ الرسل والملوك وفي الأنساب وتواريخ القبائل، بل كتب بعضهم في المعارف العامة التي تتصل بالتاريخ منذ بدء الخليقة إلى عصره³.

باقي المدن السورية، ويذكر بأنّها أول الممالك التي اعتنقت الديانة المسيحية ولهذا السبب لُقبت بالمدينة المقدسة، أنظر: مصطفى وهبه، موجز تاريخ الحروب الصليبية، ط01، مكتبة الإيمان، المنصورة 1997 م، ص21-26.

¹ أنطاكيا: Antioch مدينة تقع على الضفة اليسرى لنهر العاصي على بعد 30 كم من شاطئ البحر المتوسط في محافظة هتائي التركية، لأنطاكية أهمية كبيرة لدى المسيحيين في الشرق، فهي أحد الكراسي الرسولية إضافة إلى روما والإسكندرية والقسطنطينية والقدس، تاج الشرق الجميل" و"أروع مدن الشرق" لكونها ملتقى أهم الطرق التجارية، ولم تكن عاصمة إدارية وثقافية وعسكرية فحسب بل أيضاً برزت أهميتها المسيحية، أنظر:

<https://lalipost.wordpress.com>، تمت زيارته في: 2020/07/1، 13:00.

² أرشيد يوسف أبو أرشيد، علم التاريخ عند المسلمين، النشأة والتطور، ط02، دار المغرب الإسلامي، ص21.

³ عبد العزيز الدوري، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007 م، ص07.

4 - مراحل جمع الروايات والحوادث التاريخية :

مر جمع المعلومات التاريخية بثلاث مراحل متتالية :

أ - المرحلة الأولى: عملية استماع الشهادة من الشهود المباشرين للحدث التاريخي، وهي عملية شفوية خالصة جاءت عنها معظم معلومات التاريخ الإسلامي الأولية دارت هذه الرواية شفوية في مجالس العلم وندواته في القصور و المساجد¹.

من مجالس العلم وحلقات الذكر انتشرت الروايات واسمها يشير وينبئ بأصلها الشفهي حيث كان الراوي أو الحاكي يحكى القصة ويلقيها شفويا على أسماع الحاضرين².

نعم لقد بدأ التدوين التاريخي فرديا وبسيطا ثم أنتشر وتنظم أتسم بالطابع الشخصي العفوي وبالنقل عن الرواية الشفهية، فقد كانت الرواية الشفهية هي السائدة ومن حرص من السامعين على تسجيل حدث بذاته عمل على تدوينه لنفسه، وربما بدأ ذلك النوع من التدوين مع بداية العصر الأموي ثم تحددت اتجاهاته وتتنوعت بين تدوين للسيرة أو للأنساب أو للفتوح وغيرها ومع ذلك بقي فرديا شخصيا، وفي هذا المرحلة وجد الكثيرون من الرواة الشفهيين الذين ينقل عنهم أو يحفظ أقوالهم جمهور من العلماء والحفاظ في المساجد والحلقات، وبعض أولئك الرواة كانوا من أعلام العرب والمسلمين، فلما جاء عصر التدوين المنظم في العصر العباسي تم تسجيل المتوارث من تلك الروايات الشفهية³.

ب - المرحلة الثانية: وقد امتدت خلال القرن الثاني كله تقريبا مع نهاية العصر الأموي ومطلع العصر العباسي، واهتم الإخباريون خلالها بجمع الأخبار المختلفة من جميع الأفواه والرواة ثم تنظيم كل نوع على حدة ووضعها في كتاب خاص، وأن لم يبلغ التنظيم الشكل النهائي وفي هذه الفترة كان الاهتمام إلى جانب السيرة بالجوانب التاريخية الأخرى عن العصر الجاهلي

¹ سهيل حسن عبد الغفار، المرجع السابق، ص53.

² أحمد صبحي منصور، بدأ التدوين التاريخي ومراحل الزمنية، (د،ط)، دار الفكر العربي، بيروت، 2005م، ص44.

³ الدوري، تاريخ صدر الإسلام، المرجع السابق، ص16.

والأنساب والأمم السابقة وكتبت فيها رسائل قصيرة تغطي ناحية معينة في التاريخ ،ومن هؤلاء : أبو مخنف ،الهيثم بن عدي و الواقدي ونصر بن مزاحم ،وقد أرخوا فيها لعهد الراشدين من سقيفة بنى ساعدة والشورى وحرب الردة والفتوحات والفتنة الكبرى ومعارك الجمل وصفين والخوارج وخطط البصرة والكوفة وولاية الأمصار وغير ذلك¹ .

ج - المرحلة الثالثة: هي مرحلة التدوين التاريخي على الأساس الزمني المتسلسل وجمع المواضيع المتعاقبة على التوالي في كتاب واحد ،وذلك على أساس وحدة التاريخ الإسلامي ووحدة التاريخ الإنساني ،وبدت بشائر هذه المرحلة في كتاب ابن اسحاق عن السيرة النبوية ،ثم امتدت حتى نهاية القرن الثالث حتى استقرت وتوطد بها علم التاريخ الإسلامي ومنهجه في التدوين ،كما يظهر في كتب الحوليات وأهمها تاريخ الطبري وقد ساعد على ازدهار التدوين وتنظيمه في هذه المرحلة الاهتمام لصنع الورق واستخدامه وانتشاره مما ساعد على التوسع في التدوين ،كما شجع على جمع المؤلفات الصغيرة السابقة في تاريخ عام متصل متسلسل كل هذا مع انتشار حركة الترجمة والنقل عن الثقافتين الفارسية واليونانية وفيها كان تأسيس المدارس التاريخية في الشام و العراق و الحجاز².

هنا سنتطرق لمنهج مثالين هامين من كبار مؤرخي التاريخ الإسلامي الأوائل ورواده لمكانتهما العلمية بين أغلب الأوساط الدينية والعلمية و الأكاديمية .

5 - الإمام الحافظ المؤرخ محمد ابن جرير الطبري³ ومنهجه التاريخي النقدي :

من خلال كتاب تاريخ الأمم والملوك ،أو تاريخ الرسل والملوك أو أخبار الرسل والملوك ،وهو مشهور بين الناس بتاريخ الطبري ،وكلها كتاب واحد ولأنه أول مؤلف تاريخي شامل يتناول

¹ أحمد صبحي منصور، المرجع السابق، ص 23.

² نفسه ، ص 47.

³ محمد بن جرير ابن يزيد بن كثير ،الإمام العلم المجتهد ،عالم العصر أبو جعفر الطبري ،صاحب التصانيف البديعة ، من أهل أمل طبرستان ،مولده سنة أربع وعشرين ومائتين وطلب العلم بعد الأربعين ومائتين ،وأكثر الترحال ،ولقي نبلاء الرجال ،وكان من أفراد الدهر علما ،وذكاء ،وكثرة تصانيف ،قل أن ترى العيون مثله ،قال الخطيب : سمعت علي بن عبيد الله اللغوي يحكي : أن محمد بن جرير مكث أربعين سنة يكتب في كل يوم منها أربعين ورقة ،من مصنفاته ،التاريخ و تاريخ الرجال ،من الصحابة والتابعين ،توفي ابن جرير عشية الأحد ليومين بقيا من شوال سنة عشر وثلاثمائة ودفن في داره ببغداد ،أنظر :الذهبي ،السير ،المصدر السابق ،ج 14 ،ص 268.

تاريخ العالم بشكل عام ،وتاريخ الإسلام بشكل خاص ،ويعبر بذلك عن فكرة عالمية التاريخ ووحدته متمثلة بتوالي الرسائل ،يعد هذا الكتاب من خيرة المؤلفات التاريخية وأثبتها وأصحها نسبيا ،بل أوفى عمل تاريخي شهده تاريخ الإسلام في القرون الأولى¹.

أقامه صاحبه على منهج مرسوم وساقه في طريق استقرائي شامل بلغت فيه الرواية التاريخية مبلغها من الثقة والأمانة و الإتيان².

ولذلك سنتطرق لمنهجه في جمع الرواية ونقد الكتابة التاريخية ،ولأن المجال لا يسمح للغور في مناهج وشروط ومصادر التاريخ الإسلامي كلها ارتأينا التركيز على أشهرها وأقربها للموضوع .

لقد تمكن كتاب الطبري من مجالدة الزمان ووفق صاحبه لجمع عدد كبير من المواد التاريخية المستمدة من التفسير والحديث واللغة والسيرة ،والأدب وتاريخ الأحداث وتواريخ الخلفاء فجمعها في كتاب واحد³.

كما أنه استطاع أن يحفظ لنا نماذج من الكتب التي قد ضاعت ،ويكمل ما قام به المؤرخون قبله كالواقدي وابن سعد وخليفة ابن خياط و البلاذري و اليعقوبي ،ويمهد الطريق لمن جاء بعده كالمسعودي وابن مسكاويه ،وابن الأثير وأبو الفداء ابن كثير ،والذهبي وابن خلدون ومن بعدهم⁴ .

لهذا دون الأخبار على عهدة رواتها ،وعرضها عرضا موضوعيا محايدا ،وعزا كل رواية لصاحبها ولم تقتصر على ما يوافق فكره أو رأيه ،ولم يعلق بترجيح أو تفنيد أو إبطال بل ترك للقارئ أن يميز ويحكم ويختار لذلك قيل ينتفع بأخبار الطبري من تراجع رواته في كتب الجرح والتعديل فشعار الطبري إذن : العهدة على الراوي⁵.

¹ أنيس زكريا ،الدولة الأموية في الشام ،ط01 ، دار السلام ، بغداد ، 1927 ، ص 6 .

² الطبري ،المصدر السابق ،مقدمة المحقق ،ج1،ص 21 .

³ جواد علي ،موارد تاريخ الطبري ،مجلة المجمع العلمي العراقي ،العدد 01 ،العراق 1396 هـ ،ج1،ص 159 .

⁴ نفسه ،ص 160 .

⁵ فتحي عثمان ،أضواء على التاريخ الإسلامي ،(د،ط) ،دار العروبة ، 1956 م،ص72 .

وقد صرح كما ذكرنا بخط أنامله، أنه أدى الذي نقل إليه فقط " فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه أو يستشعنه سامعه، من أجل أنه لم يعرف له وجها من الصحة ولا معنى في الحقيقة فليعلم انه لم يؤت في ذلك من قبلنا، وإنما أتى من قبل بعض ناقله إلينا، وأنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدى إلينا "1.

وهكذا يوضح الطبري أن اهتمامه منصب على السند، أي الرواة وهذا ما يسمى بالنقد الخارجي، أما اهتمامه بنقد المتن أي النقد الداخلي فهو نادر في مصنفه هذا وقد عد المستشرق شواله² طريقة الطبري في عرض التاريخ على طريقة أهل الحديث، طريقة فريدة في بابها³.

أدى المنهج الذي سلكه الطبري في مصنفه إلى أن يصبح المصدر الأصل والأساس للتاريخ الإسلامي، وكل من جاء بعده فهو عيال عليه بإجماع علماء التاريخ، ويثني عليه صاحب كشف الظنون: أن الطبري هو العمدة في هذا الفن⁴.

كما يمتاز الطبري عن بقية المؤرخين بإيراد جميع الروايات المتعلقة بالحادثة من روايات تاريخية أو إيراد أغلب الروايات عن الموضوع الواحد، وهذا النوع من الجمع أكبر دليل عن وجهة النقد لدى ابن جرير، فالقارئ يمر على أغلب الروايات شاقا طريقه للحقيقة التاريخية مستندا على مقارنتها ببعض، ناقدا أبعدها عن الصواب دون أن يكون للمؤرخ يد في توجيهه أو التأثير عليه.

ومما سبق تبين لنا أن منهج الإمام المؤرخ محمد ابن جرير الطبري في كتابه تاريخ الرسل والملوك والذي حرص فيه على توثيق مروياته، وتبين بعد فحص بعض أسانيده أنه عول على ثلاث طرق في نقل مروياتها وهي: طريق "السماع" كما يتضح ذلك في أدائه بصيغة: "حدثنا"

¹ الطبري، المصدر السابق، ج1، ص 08.

² هو المستشرق الألماني شواليه يعد شيخ المستشرقين الألمان، ولد عام 1836م، في هامبورغ أتقن العربية والعبرية والسيريانية، درس في غوتينغ وفيينا وبرلين، وتحصل على الدكتوراه 1856م وهو في سن العشرين، عن تاريخ القرآن عين مدرسا للتاريخ الإسلامي في جامعة غوتينغ، ودرس العبرية والتوراه واللغات السامية، أنظر: عبد الله محمد النعيم الإستشراق في السيرة النبوية، ط1، المعد العالمي للفكر الإسلامي، ص 61.

³ جواد علي، المرجع السابق، ج1، ص 168.

⁴ حاجي خليفة، المرجع السابق، ج1، ص 297.

و"حدثني"¹ وطريق "المكاتبة" واستخدمه تحديداً في النقل عن "السري بن يحيى"² كما يظهر ذلك في قوله "كتب بذلك إليّ السري"، "كتب إليّ السري بن يحيى"³.

أما لطريق الثالث فهو طريق "الوجدادة" ويبدو ذلك في قوله: "قال عروة"⁴، "قال الواقدي"⁵، وهو ما يعني أنه كان ينقل مباشرة عن مصنفات المغازي دون أن يكون تحملها بطريق "السماع" أو "العرض" أو "الإجازة"، على هذا ذهب إليه بعض الدارسين إلى أن الطبري طبق بدقة قواعد توثيق الأخبار المتعارف عليها لدى أهل الحديث فجاءت أسانيده قوية متصلة⁶.

6 – الإمام الحافظ المؤرخ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت 243 هـ) ومنهجه التاريخي النقدي :

لقد مر جمع التاريخ الإسلامي وتدوينه في المشرق الإسلامي بمراحل متعددة، و في كل مرة برز مجموعة من الرواة والكتاب والمصنفين الذين تصدوا للتأليف في هذا الفن، ومن بين أبرز المراحل التي مر بها تدوين التاريخ الإسلامي هي مرحلة القرن الثامن الهجري الرابع عشر ميلادي، حيث شهد هذا الأخير ظهور مجموعة من المحققين الموسوعيين ومن بينهم الحافظ ابن كثير الدمشقي ومن الذين اتموا بمكانتهم العلمية الرفيعة، وعنايتهم بالحديث والتاريخ، وامتلاك الأدوات المنهجية والوعي النقدي مما أدى إلى تأهيلهم للقيام بجهد علمي متميز يتجاوز مجرد الجمع و التقييس، إلى تمحيص وغرلة ما جمع من روايات وأخبار ومراجعتها وبناء فقه مستنبط من واقع الأحداث خاصة فيما تعلق بالسير النبوية، وغير ذلك من ملامح الإسهام النوعي القيم في مجال الكتابة في التاريخ الإسلامي عامة والسير النبوية خاصة⁷.

¹ الطبري، المصدر السابق، ج 1، ص 108 .
² هناد بن السري التميمي الكوفي (ت 243 هـ) الإمام الحافظ الثقة، لقيه ابن جرير بالكوفة، والإمام هناد من رجال أصحاب السنن، أنظر: الذهبي، السير، المصدر السابق، ج 4، ص 122 .
³ الطبري، المصدر السابق، ج 02، ص 276، 272 .
⁴ نفسه، ج 1، ص 248 .
⁵ نفسه، ج 1، ص 500 .
⁶ عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص 55 .
⁷ محمد عيساوي، إسهامات الحافظ ابن كثير في النقد التاريخي من خلال كتابه البداية والنهاية، السيرة النبوية أنموذجاً مجلة جامعة محمد بوضياف، المسيلة، ص 01 .

وسنحاول معرفة أبرز أصول هذا المنهج الرصين و ما هي المعايير التي احتكم إليها في تمحيص الروايات التاريخية، والتي أدت إلى نبوغه وتميزه في مجال النقد التاريخي إذ لم يحدد لنا ابن كثير منهجاً سار عليه واتبعه منذ السيرة النبوية إلى نهاية كتابه .

ولكن من يتتبع تاريخ ابن كثير يجد أن مؤرخنا اتبع في كل قسم من أقسام كتابه منهج وترتيب المؤرخين القدامى الذين استقى منهم مواد تاريخه، وقد اختار مصادر كتابه التاريخي من بين المؤرخين وأهل السير الذين اتصفوا مثله برسوخهم وعلو كعبهم في العلوم الدينية وخاصة علم الحديث¹ .

ابن كثير من أبرز مؤرخي نمط التاريخ العام الذين وظفوا قواعد منهج الدراية في نقد أسانيد ومتون الكثير من روايات أخبار السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، ومن الأمثلة التي استخدم فيها منهج الدراية في نقد أسانيد أخبار السيرة: تعليقه على خبر يتناول أول شهيد في الإسلام يعلق عليه بقوله: " أول شهيد كان في الإسلام استشهاد أم عمار سمية"²، وهذا مرسل "³ .

كما علق على رواية سري بن عاصم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استشار جبريل في استكتاب معاوية للوحي بقوله: " والسري بن عاصم هذا كذّبه في الحديث ابن خراش، وقال ابن حبان وابن عدي: كان يسرق الحديث، زاد ابن حبان ويرفع الموقوفات ولا يحل الاحتجاج به، وقال الدارقطني: كان ضعيف الحديث "⁴ .

كما اهتم ابن كثير إلى جانب نقد الأسانيد بنقد متون الروايات التاريخية مستعيناً في ذلك بالعديد من الأدوات والمقاييس المعمول بها في منهج الدراية⁵ .

^{1/} حديد مختار، النقد التاريخي عند المؤرخ ابن كثير من خلال كتابه البداية والنهاية، مجلة قضايا تاريخية، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، العدد: 09، رمضان 1439 هـ، جوان 2008 م، ص 71.

^{2/} ابن كثير، المصدر السابق، ج 3، ص 59.

^{3/} الحديث المرسل: وأما جمهور أهل الأصول فقالوا: المرسل قول من لم يلق النبي صلى الله عليه وسلم: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، سواء كان من التابعين، أو من تابعي التابعين، أو ممن بعدهم، أنظر: أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، ط 06، مؤسسة الكتب الثقافية، 1415 هـ، ص: 119.

^{4/} ابن كثير، المصدر السابق، ج 5، ص 354.

^{5/} ياسر أحمد نور، المرجع السابق، ص 554.

ومن أمثلة ذلك: تعليقه على حديث سعد بن أبي وقاص عندما سأله ابنه أكان أبو بكر أول الصحابة إسلاماً، فأخبره أنه قد أسلم قبله أكثر من خمسين "يقول ابن كثير: " فإنه حديث منكر إسناداً وممتناً¹ وكما علق على رواية الإمام أحمد عن هجرة المسلمين إلى الحبشة بقوله: " وهذا إسناد جيد قوي، وسياق حسن² .

كما استخدم ابن كثير كذلك منهج الجمع أو التوفيق بين الروايات والأقوال المتعارضة ومن أمثلة ذلك: تعليقه على ما رواه البخاري عن ابن عمر روايتين متعارضتين حول عدد الطعنات التي تلقاها جعفر بن أبي طالب في معركة مؤتة، ففي الرواية الأولى يذكر ابن عمر أنه وجد في جسده بضعاً وتسعين ضربة وطعنة، والثانية أحصى فيها خمسين طعنه وليس فيها شئ في دبر³.

يقول ابن كثير: " ووجه الجمع بين في هذه الرواية والتي قبلها أن ابن عمر اطلع على هذا العدد، وغيره اطلع على أكثر من ذلك أو أن هذه التي في قبله أصيب بها قبل أن يقتل فلما صرع إلى الأرض ضربوه أيضاً ضربات في ظهره، فعد ابن عمر ما كان في قبله، وهو في وجوه الأعداء قبل أن يقتل رضي الله عنه⁴.

كما استخدم أيضاً منهج الترجيح في حالة تعذر التوفيق بين الروايات المتعارضة⁵ ومن أمثلة ذلك قوله: قال تعالى " **وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ** " وقد زعم أبو عبيد القاسم بن سلام أن رسول الله قسم غنائم بدر على السواء بين الناس، ولم يخمسها ثم نزل بيان الخمس بعد ذلك ناسخاً لما تقدم وفي هذا نظر، والله أعلم فإن سياق الآيات قبل آية الخمس وبعدها كلها في غزوة بدر فيقتضي أن ذلك نزل جملة في وقت واحد غير متفاصل بتأخر يقتضي نسخ بعضه بعضاً ثم في الصحيحين

¹ ابن كثير، المصدر السابق، ج3، ص28.

² نفسه، ج3، ص29.

³ ياسر أحمد نور، المرجع السابق، ص455.

⁴ ابن كثير، المصدر السابق، ج4، ص246، 245.

⁵ محمد عيساوي، المرجع السابق، ص21.

عن علي رضي الله عنه أنه قال في قصة شارفيّه اللذين اجتب أسنمتها حمزة أن إحداهما كانت من الخمس يوم بدر ما يرد صريحاً على أبي عبيد أنّ غنائم بدر لم تخمس، والله أعلم، بل خمّست كما هو قول البخاري وابن جرير وغيرهما وهو الصحيح الراجح¹.

كما علق ابن كثير على رواية أنس بن مالك والتي تنفي ممارسة الرسول صلى الله عليه وسلم للخضاب بقوله: ونفي أنس للخضاب معارض بما تقدم عن غيره من إثباته² والقاعدة المقررة أن الإثبات مقدم على النفي، لأن المثبت معه زيادة علم ليست عند النافي³.

وتوجد العديد من المظاهر التي تؤكد على حرص ابن كثير على تحري الدقة والموضوعية في تطبيقه لهذا المنهج النقدي، فنجد أحياناً يحكم بالصحة على الإسناد دون المتن لعدم التحقق من صحته، وأحياناً يؤكد على أن ضعف الإسناد لا يعني بالضرورة ضعفاً للمتن، وأحياناً يحكم على المتن بالضعف على الرغم من صحة إسناده، بل تبلغ به الدقة أحياناً في عدم تعميمه الحكم بالضعف على المتن كليةً، إذا كان قد جاء من طريق أخرى صحيحة⁴.

اعتمد الحافظ ابن كثير في ذكر حوادث القرون الأولى على تاريخ الإسلام بتاريخ الطبري وابن الأثير اللذين جعلهما مثلاً له و نموذجاً سار عليه، واتبع طريقة ابن الجوزي ومن يمثل مدرسته مثل سبط ابن الجوزي وغيرهما في تاريخ القرون المتأخرة، كما تأثر بهم تأثيراً بالغاً في تفصيل التراجم والتوسع فيها وتطويلها وفي ذكر الأخبار العلمية والثقافية والاهتمام بالظواهر الخارقة والغرائب النادرة، أما في تاريخ عصره فقد سجل ما رآه بعينه وما سمعه بأذنه وما اطلع عليه من الوثائق الرسمية والرسائل الشخصية وما تلقاه شفهيّاً من المعلومات⁵.

¹ ابن كثير، المصدر السابق، ج 3، ص 303.

² نفسه، ج 6، ص 25.

³ وجب التنبيه: هذه القاعدة ليست على إطلاقها وان كان المراد منها أن قول النافي يُردُّ مطلقاً، فهي قاعدة باطلة. ولا تعمل هذه القاعدة إلا إن تعذر الترجيح بين الروايات بالمرجحات المعروفة عند أهل النقد، أحمد عباس مهنا العيسوي، قاعدة الإثبات مقدم على النفي وتطبيقاتها الفقهية، مجلة الجامعة العراقية، العدد 28، المجلد 1، ص 9.

⁴ ياسر أحمد نور، المرجع السابق، ص 456.

⁵ حديد مختار، المرجع السابق، ص 77.

وما يخلص إليه من منهج هذا العالم الحبر، تجسيده لمنهجه الذي ضبطه في مقدمة مصنفه وبذلك قد قرن الجانب النظري بالتطبيقي، على نحو جعل الدارسين يصنفونه من **المؤرخين النقاد**¹، وهذا أمر هام جدا وخاصة محقق الكتاب كما أن ابن كثير اعتمد على منهج الجرح والتعديل وبصفته رجل حديث متضلع فيه أفاده كثيرا في دراسة التاريخ، لا سيما أن أخبارا كثيرة معتمدة على الرواية، كما أنه اعتمد على النقل كثيرا فعرض المرويات على القرآن والصحيح من الحديث ثم على الثابت من التاريخ ثم الصريح من المعقول رادا ما يخرج عن دائرة التصور².

¹ / وجب التنبيه : أن النقد الصحيح ينبغي أن يراعي قبول ما يستحق القبول ورد ما يستحق الرد، وعلى ذلك: فيجب أن يكون منهج النقد مكافئاً في دقته لثراء التاريخ في وثائقه، ويؤكد ذلك أن المنهج الذي بشر به ابن خلدون منهج إجمالي واسع وغير مكتمل المعالم، ثم لم يأت بعد ابن خلدون من يثير حديثاً عن منهجه من المسلمين في زمنه وما بعده، ولعل السبب في ذلك أن قرون المسلمين الأخيرة انتشرت فيها الأمية وعم فيها الجهل، فشهدت تناقصاً في العناية بالتاريخ ومناهجه وتسجيل وثائقه، ولا يسعنا التفصيل في منهج ابن خلدون لوحده فكان اختيارنا على مؤرخين تناولوا النقد من جهات أخرى كما فصلنا ولأن في هذه الحقبة كانت أوروبا تشهد نشاطاً علمياً فريداً لم يمر عليها مثله من قبل، فتأثر الغربيون الذين انفتحوا على النقد التاريخي في القرن الثامن عشر، من جملة ما تأثروا به المسلمين في مجالات شتى منها علم التاريخ والتوثيق والنقد، وأصبح التاريخ عندهم علم له منهج نقدي واضح المعالم في القرن التاسع عشر، أنظر: عبد الرحمان السلمي، **المنهج النقدي عند المحدثين وعلاقته بالمناهج النقدية التاريخية**، ط01، مركز نماء للبحوث والدراسات، 1435، المدينة النبوية، ص9.

² عبد الرحمان السلمي، المرجع السابق، ص 81.

7 - أسباب ظهور منهج النقد عند المؤرخين وأهم أصوله :

نقد التاريخ فن قديم عند المسلمين فقل أن تجد كتابا في التاريخ تخلو مقدمته من أثر نقدي، ولو يسير لبعض كتب التاريخ أو مناهج المؤرخين وغالبا ما ينصب النقد على اتهام الكتب السابقة بخلط الغث بالسمين، وإيراد الأساطير والإسرائيليات والمفتريات و لربما اتهم المؤرخ بالميل والتحزب ونحو ذلك¹.

ولا ننسى النزاعات السياسية والتعصب للمذاهب بين المؤرخين ثم تساهل المؤرخين في النقل مع ميلهم نحو الجمع والإغراب دون تمييز، وظهور بعض الطوائف من غير المتخصصين الذين اشتغلوا برواية الأخبار كالقصاص ورواة الأساطير والأسمار ورواة الأدب وغيرهم، وكذلك انفصال التاريخ عن الحديث وتحرر الإخباريون من استعمال الأسانيد وتأخر التدوين الرسمي للتاريخ الإسلامي حتى منتصف القرن الثاني الهجري، كما دخل مجال التاريخ من أتباع الفرق وأهل الأهواء العديد من الرواة و الأخباريين والقصاص والمؤرخين، ممن عنوا برواية أخبار التاريخ فكانوا يخلقون الروايات ويزيدون في الأخبار لنصرة مذاهبهم وتأييد منازعهم وميولهم السياسية².

وكان من أعظم الفرق أثرا في تشويه التاريخ الإسلامي طائفة الشيعة إذ كانوا أكثر الطوائف كذبا وأشدهم عداً للسلف الصالح، لأنهم كانوا أخلاطا من المتأثرين بعقائد اليهود والمجوس والباطنية الذين اتخذوا التشيع وحب آل البيت ستارا لبلوغ أغراضهم في هدم الإسلام وتشويه تاريخه³.

قال ابن تيمية : " وقد اتفق أهل العلم بالنقل والرواية والإسناد على أن الرافضة أكذب الطوائف والكذب فيهم قديم ولهذا كان أئمة الإسلام يعلمون امتيازهم بكثرة الكذب⁴.

¹ صائب عبد الحميد، المرجع السابق، ص 68 .

² أبو جميل الحسن العلمي، إعادة كتابة التاريخ الإسلامي، في ضوء منهج الجرح والتعديل، معهد المغرب الإسلامي، 1427 هـ، 2006 م، ص 03 .

³ أبي الحسين محمد بن أحمد الملطي، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت 1430 هـ، 2009 م، ص 18 .

⁴ ابن تيمية تقي الدين، منهاج السنة النبوية، تح: محمد رشاد سالم، ط1، جامعة الإمام محمد بن سعود، السعودية، 1406 هـ، 1986 م، ج 1، ص 37.

وقد كان من بين هؤلاء الشيعة عدد من المؤرخين المغاليين في الرفض والنقمة على السلف الصالح ممن تصدوا لرواية أخبار التاريخ الإسلامي وتدوينها، وروجوا من خلالها أكاذيبهم وانتقوا فيها من الروايات ما يوافق أهواءهم، ودسوا في التاريخ الإسلامي من الأباطيل ما يعز عن الحصر¹.

كما أن الشعوبية والتعصب للبلدان والمدن ظهرت منذ وقت مبكر بين رواة التاريخ الإسلامي وكانت عاملا أساسيا في نشأة التزديد والوضع في الروايات والأخبار، بل ودافعا هاما للنقد والرد فقد تولج مجال الرواية والتدوين للتاريخ طائفة من ذوي الميول الشعوبية من الإخباريين والمؤرخين، صنفوا كتب روجوا فيها لكثير من الأباطيل والأخبار المزيفة في مثالب خصومهم ومخالفهم في الجنس أو البلد، وحرصت كل قبيلة على أن تروي وقائعها وتزيد فيها أحيانا ويسلمها السلف إلى الخلف، ومنه تبعتها رواية الأخبار ففخرت البصرة على الكوفة والكوفة على البصرة بالأحداث التاريخية².

أدت هذه الأسباب وغيرها إلى ظهور منهج النقد عند المؤرخين لصيانة تاريخ الأمة الإسلامية، كردة فعل من المؤرخين فرضتها عليهم التحولات العلمية والمنهجية وما أسلفنا .

8 - مراحل الجمع و التثبت من صحة الرواية التاريخية عند المؤرخين المتأخرين:

إن مراحل الجمع عند المؤرخين المتأخرين فقد اشتركت أغلبها في وحدة الموضوع والوسائل والطرق، فأولى الخطوات للمؤرخ في البحث التاريخي هي: جمع الأصول والمصادر وإثبات صحتها وتعيين شخصية المؤلف وتحديد زمان التدوين ومكانه، ويجمع المؤرخ مواده من كتب المراجع (الببليوغرافيات) والوثائق وكتابة المذكرات والرسوم والصور وآثار الإنسان ومخلفاته³.

¹ أبو جميل الحسن العلمي، المرجع السابق، ص 04.

² محمد أبو يسر العابدين، أغاليط المؤرخين، ط01، مكتبة الغزالي، دمشق، 1339 هـ، 1972 م، ص164.

³ حسن عثمان، منهج البحث التاريخي، ط2، دار المعارف بمصر، 1965م، ص 67.

أما في ما يخص مادته ومصادره فالمصادر التاريخية هي المصنفات القديمة في هذا المجال، أما الكتب الحديثة فهي مراجع، وهناك من يرى أن كلا النوعين مراجع، وأن المصادر هي الوثائق الرسمية والأوراق البريدية والوقفية والنقوش والآثار المعمارية، ويرى عبد العزيز سالم أن المصادر إما مصادر أثرية كالمقدمة الإشارة إليها، وإما مصادر مكتوبة كالقرآن الكريم والسنة النبوية وكتب الطبقات والأنساب وكتب الجغرافية وكتب الرحلات وكتب الخراج والحسبة والخطط والكتب الأدبية والشعر العربي¹.

ومن هنا يتضح أن رواد التاريخ الإسلامي الأوائل بذلوا جهداً عظيماً في جمع الروايات التاريخية وتبويبها، وتركوا لنا تراثاً غزيراً في عشرات المصنفات والدواوين، حتى أصبحت أمة الإسلام تمتلك بحق أغنى وأعظم وأرفع وأسمى تراث عرفته البشرية.

أما عن طرق الجمع العلمية فكانت بمنهج واحد اختلفت بعض قواعده عند المؤرخين منذ البدء في التدوين التاريخي، فوضعوا قواعد وضوابط في الكتابة، وشرطوا شروطاً لقبول الرواية حتى تسلم هذه الكتب والمرويات من الأخطاء ومن هنا سنتطرق لكيفية إثبات صحة المرويات المجموعة عند المؤرخين المتأخرين وكيف تعاملوا مع الروايات والحوادث والأخبار.

إن استحالة تكرار حدوث الواقعة التاريخية بنفس شخوصها و مكان و زمان حدوثها لا يبرر بأي حال من الأحوال القبول بما فيها على علاتها، بذريعة و حجة عدم إمكانية إخضاعها للمشاهدة والاختبار والتجربة بغية التأكد من حقيقتها كما هو حال العلوم التطبيقية فالتاريخ علم غير قائم على التجربة، "بل علم نقد و تحقيق يقوم على الدراسة و البحث عن الحقيقة و الالتزام بالموضوعية"²

فعلى المؤرخ بعد جمع النصوص أن يقوم بنقدها وتمحيصها لإثبات صحتها، يقول حسن عثمان: "وأول مرحلة من مراحل نقد الأصول التاريخية هي إثبات صحتها، لأنه إذا كان الأصل

¹ عبد العزيز سالم، مناهج البحث في التاريخ الإسلامي والآثار الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ط2، 2011م، ص64.

² عدنان أحمد أبو شبيكة، منهج نقد الوثيقة الرسمية المدونة، وإمكانية التطبيق على الرواية في التاريخ الشفوي، مجلة جامعة الأقصى، العدد 03، سبتمبر 2016، ص 483.

أو المصدر كله أو بعضه مزيفاً أو منتحلاً فلا يمكن الاعتماد عليه على وجه العموم¹، وحينما يثبت للباحث في التاريخ أن الأصل أو المصدر صحيح وغير مزيف، فليس معنى ذلك أن المعلومات الواردة به ذات قيمة تاريخية كبيرة، ولا بد من نقد الأصل التاريخي من نواحٍ أخرى².

كما أنه بعد التأكد من صحة الأصل ينبغي على المؤرخ أن يحاول معرفة الزمن الذي دون فيه الأصل التاريخي، إذ بعد الزمن بين وقوع الحادث ورؤيته وبين تدوين أخباره قد ينقص من قيمته التاريخية، لأن الذاكرة تخون، وكلما بعد بالكاتب العهد عن زمن وقوع الحادث تعرض لأن يفوته قليل أو كثير من التفاصيل الخاصة مهما كانت رغبته في قول الصدق قوية ومهما حاول استرجاع الماضي³.

وبما أن النقد التاريخي أو الفحص أو التحقيق التاريخي يعتمد على مبدأ الشك و الحذر وعدم التسليم بأن ما يتناوله المصدر التاريخي من أحداث ووقائع هو بالضرورة ملائم للواقع وقت حدوثه بكل تفصيلاته أو حتى في البعض منه، والشك و الحذر فيما يتضمنه المصدر التاريخي وسيلة لا غاية، وسيلة من أجل دراسته و فهم ما يتضمنه من أحداث، و من ثم استخلاص الحقائق من ثناياه⁴.

إن عملية نقد أو فحص و تحقيق أو تحليل المصدر التاريخي سواء ما كان له علاقة بالمكتوب و المدون "الوثيقة"، أو ما له علاقة بالخبر "الرواية"⁵، تتطلب جهداً و عملاً منظماً من قبل المعني بالوصول إلى واقعة و حدث تاريخي أقرب ما يكون وقت وقوعه، لذلك فقد درج عدد كبير من المؤرخين على السير ضمن سلسلة مترابطة و متصلة من العمليات النقدية تبدأ أول ما تبدأ به بظاهر المصدر التاريخي ثم باطنه و مضمونه، و الحالات الظاهرية

^{1/} حسن عثمان، المرجع السابق، ص 84.

^{2/} نفسه، ص 89.

^{3/} نفسه، ص 103.

^{4/} عادل غنيم و جمال حجر، منهج البحث التاريخي، (د،ط)، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1998م، ص 25.

^{5/} وجب التنبيه: أن عملية النقد تختلف بين المتقدمين الذين عاينوا الروايات الأصلية وعاشوا الأحداث أو سمعوا مباشرة من شهود عيان أو غيرهم، وبين نقد المتأخرين لنصوص وردت لهم كمصادر ووثائق رسمية أو غيرها فاختلف النقد بينهم وتعددت أدواته، أما بخصوص أنواع النقد فقد تبين أن النقد الداخلي يقابله نقد المتن، والنقد الخارجي يقابله نقد السند، إذا ما صحة المقاربة.

و الباطنية تشكلان عملاً متداخلاً مترابطاً و متكاملأ في سياق العملية النقدية برمتها، إذ لا يمكن البدء و الانتهاء بنقد المصدر التاريخي ظاهرياً دون نقده باطنياً و لا يجوز البدء و الانتهاء بالنقد الباطني قبل تطبيق النقد الظاهري، كما لا يجوز الاعتماد على المصدر التاريخي أيان كانت ماهيته على ما به من علات و مغالطات حتى وان بدت علاته و مغالطاته محدودة أو قليلة¹.

كثيرا ما وقع للمؤرخين و المفسرين و أئمة النقل من المغالط في الحكايات و الوقائع لاعتمادهم على مجرد النقل غثا أو سمينا و لم يعرضوها على أصولها و لا قاسوها بأشباهها و لا سبروها بمعيار الحكمة و الوقوف على طبائع الكائنات و تحكيم النظر و البصيرة في الأخبار، فضلوا عن الحق و تاهوا في ببداء الوهم و الغلط².

ويقصد بالنقد الخارجي أو الظاهري أو التحليل الخارجي للوثيقة التاريخية المدونة "الفحص الشكلي أو المادي للوثيقة من حيث نوع المادة المكتوب عليها و أدواتها من أقلام و أحبار³.

إن نقد الوثيقة التاريخية المدونة نقداً خارجياً أو ظاهرياً يرتكز و يعتمد على خطوتين متلازمتين متتابعتين، الخطوة الأولى تتعلق بكاتب الوثيقة و محررها أما الخطوة الثانية فهي تلك التي تتعلق بمادة الوثيقة نفسها للتأكد من أصالتها و مدى ملائمتها للزمان الذي تقول بأنها تنتسب إليه⁴.

أما النقد الداخلي أي تفسير النص وتحديد المعنى الحرفي له عبارة عن عملية لغوية يمكن القيام بها عبر عدة خطوات كأن الكلمات لا تحمل نفس المعنى في كل الأزمنة، فلا بد من تحديد معنى بعض الألفاظ بالرجوع إلى المراجع الخاصة بذلك وتختلف معاني الكلمات من مكان إلى آخر، ويعين في ذلك فهم اللهجات المحلية وبخاصة التي دون بها النص، كما ينبغي الإلمام

¹ عدنان أحمد أبو شبكية، المرجع السابق، ص 484 .

² عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 09.

³ عبد الرحمن الشيخ، المدخل إلى علم التاريخ، ط 2، دار المريخ للنشر، الرياض، 1994 م، ص 54 .

⁴ عدنان أحمد أبو شبكية، المرجع السابق، ص 485.

بطريقة الكاتب في التعبير وأسلوبه وينبغي ألا تفسر كلمة أو جملة بذاتها، بل لابد من دراسة المعنى في نطاق السياق العام¹.

كما يجب إدراك المعنى الحقيقي للنص ومعرفة غرض المؤلف مما كتبه فقد يستخدم المؤلف بعض الأساليب والتراكيب غير الواضحة، وإن كانت عباراته مخالفة أو متعارضة مع الحقائق التاريخية المعروفة لديه فإن ذلك يدل على وجود معنى خفي عند الكاتب ومن آراء ابن خلدون في النقد الباطني² أنه لابد من فحص الأخبار واجتتاب الأخبار التي فيها الكذب والتي يؤدي إلى الوقوع فيها أحد الأسباب كالثقة بالناقلين أي توهم الصدق والجهل بتطبيق الأحوال على الوقائع، لأجل ما يداخلها من التلبيس والتصنيع كما يرى أنه لابد من معرفة طبائع العمران لأن لكل حادث من الحوادث الطبيعية تخصه في ذاته، وفيما يعرض له من أحواله، وينبغي أن يكون ذلك سابقاً على مسألة تعديل الرواة³.

وجب التنبيه على أن ابن خلدون كان الطفرة المغربية في النقد الذي خالف به ممن سبقه من المؤرخين بقواعد العمران البشري وكان المنطلق الأساس للغرب الأوروبي والمدرسة السامية في النقد، ولا يسعنا التفصيل في منهجه النقدي فهو أضخم و أزكى حتى ممن سبقه مع اعتماده عليهم، كإخوان الصفا والإمام البربهاري والماوردي وغيرهم ممن قيل أن ابن خلدون أخذ أصول منهجه منهم أو بعضه في عدة مواضع، ولعل فيما سبق إحاطة بسيطة بمنهج المؤرخين الأوائل للتاريخ الإسلامي وغيرهم من المتأخرين حول كيفية التعامل مع الرواية التاريخية وما بذله هؤلاء في حفظ التاريخ الإسلامي من التزييف والتحريف.

¹ عادل غنيم و جمال حجر، المرجع السابق، ص 30.

² النقد الباطني يمر بمرحلتين مترابطتين، النقد الباطني الايجابي، و يقصد به تحليل النص التاريخي للوصول إلى المعنى السليم للألفاظ كما قصد بها الكاتب، أي الوصول إلى مضمون الوثيقة و معرفة الظروف التي دون فيها الكاتب النص، و الثانية النقد الباطني السلبي و لا يجب أن تأخذ المعلومات الواردة في الأصل التاريخي على أنها تعبير عن الحقيقة الخالصة. أنظر: شوقي الجمل، المرجع السابق، ص 91.

³ ابن خلدون، المصدر السابق، مادة جرح، ج 1، ص 32.

ومن هنا يظهر بأن شروط المحدثين ومناهجهم أقوى وأشد وأصعب بكثير من شروط المؤرخين متقدمين كانوا أو متأخرين، وإذا قسنا على هذا المنهج فلا تكاد تقف وثيقة أو رواية تاريخية مما يعتبره المؤرخون صحيحا على رجليها ولا تثبت صحتها، ومنهج المحدثين مطبق في بحوثهم ودراساتهم ونقدهم بكل حذافيره بينما يكاد يكون كلام المؤرخين كلاما نظريا خياليا، ولم يطبق إلا في أضيق الحدود في حوادث نادرة جدا، وهذا فرق جوهري بين عمل المحدثين والمؤرخين¹.

وسنحاول التعمق والتفصيل في هذه المسألة فيما يأتي من البحث لعلاقتها المباشرة بالموضوع.

ثانيا- منهج الجرح والتعديل ومدى إمكانية تطبيق قواعد المحدثين على المرويّات التاريخية:

1- تعريف الجرح:

1- 1 لغة : الجرح بالفتح : التأثير في البدن بقطع بسلاح ونحوه والجمع أجراح وجروح وجراح، وجرح الرجل غض شهادته، وجرح الشاهد إخرجه².

الجرح بالضم اسم للجرح، وهو عند العرب كل أذى يصيب الجسم برمح أو سهم أو سيف وغيرها³.

وقد استعير في المعنويات بمعنى التأثير في الخلق والدين بوصفٍ يناقضهما، فيكون الجرح بالفتح أيضا ما يكون باللسان في المعاني والأعراض ونحوها وعند المبالغة نقول: جرّحه أي أكثر فيه الجراح، وقد يكون الجرح معنويًا فنقول: جرّحه بلسانه أي شتمه وسبه وقد يتم الجرح دون سب ولا شتم كقولنا: جرح الحاكم الشاهد أي أسقط عدالته وذلك إذا عثر منه على ما يسقط به عدالته من كذب وغيره، ومنه قول الشاعر:

جراحات السنان لها التتام -- -- ولا يلتام ما جرح اللسان⁴.

¹ سهيل حسن عيد الغفار، المرجع السابق، ص 56.

² ابن منظور، المصدر السابق، ج 2، ص 422.

³ حماد الجوهري، المصدر السابق، ج 1، ص 358.

⁴ مرتضى الزبيدي، المصدر السابق، ج 2، ص 130.

1 - 2 إصطلاحا : هو ظهور وصف في الراوي يتلم عدالته أو يخل بحفظه وضبطه، مما يترتب عليه سقوط روايته أو ضعفها وردّها، والتجريح: هو وصف الراوي بصفات تقتضي تضعيف روايته أو عدم قبولها¹. قال ابن الأثير: " الجرح: وصف متى التحق بالراوي والشاهد سقط الاعتبار بقوله وبطل العمل به"²، وضبطه شمس الدين الذهبي على أنه "علم يبحث في علم الرواة وتعديلهم بألفاظ مخصوصة دقيقة، من حيث تضعيفهم أو توثيقهم وعن مراتب تلك الألفاظ"³.

2- تعريف التعديل :

2 - 1 لغة : وهو من عدل يعدل عدلا والعدول ضد الجور، وعدل الرجل زكاه وتعديل الشهود أن تقول أنهم عدول⁴، وقيل هو: التسوية وتقويم الشيء وموازنته بغيره⁵.

2 - 2 اصطلاحا : هو وصف الراوي في عدالته وضبطه بما يقتضي قبول⁶ روايته⁷، وعرفه ابن الأثير: التعديل وصف متى التحق بهما اعتُبر قولهما وأُخذَ به⁸ ويقصد رحمه الله أن التعديل وصف يلحق بالراوي والشاهد يفيد أهلية الأخذ منهما وقبول خبرهما.

كما أن كلمة تعديل تأتي اصطلاحا بمعنى التوثيق، فأصل كلمة تعديل هي الحكم بعدالة الراوي، ولكنها استعملت هنا بمعنى أشمل وهي الحكم بالعدالة والضبط⁹ معا لأنهما أساس قبول رواية الراوي¹⁰.

¹ محمد عجاج الخطيب، أصول الحديث، علومه ومصطلحه، ط2، دار الفكر، 1971 م، ص260.
² مجد الدين بن الأثير، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تح: عبد القادر الأرناؤوط، ط1، مكتبة الحلواني، 1389 هـ، 1969 م، ج1، ص129.
³ شمس الدين الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تح: علي محمد الجاوي، (د، ط)، دار المعرفة بيروت، ج1، ص01.
⁴ ابن منظور، المصدر السابق، ج2، ص706.
⁵ محمد بن سويلم أبو شُهبة، الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، دار الفكر العربي، بيروت، ص385.
⁶ وجب التنبيه على أن القبول هنا على إطلاقه، فيشمل قبول أعلى درجات الصحة من الرواية فيسمى صحيحا، أو دونها فيسمى حسنا، أي أن هؤلاء يحتج بمروياتهم وإن تفاوتت مراتبها. أنظر: محمد بن إسماعيل بن صلاح الصنعاني، توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، تح: صلاح بن محمد بن عويظة، ط01، دار الكتب العلمية، بيروت 1417 هـ، 1997 م، ج2، ص120.
⁷ عبد الوهاب عبد اللطيف، المختصر في علم رجال الأثر، (د، ط)، المكتبة الحديثة، 1966 م، ص43.
⁸ مجد الدين بن الأثير، جامع الأصول، المصدر السابق، ص129.
⁹ العدالة والضبط: تم التفصيل فيهما، أنظر ما تقدم من البحث، ص95.
¹⁰ محمد عجاج الخطيب، المرجع السابق، 114.

إن مصطلح الجرح والتعديل علم نفيس يبحث في أحوال الرواة من حيث توثيقهم وتضعيفهم بألفاظ لها مدلولات خاصة، وبواسطته قضى النقاد على كل راو بما يستحق من الوصف، وأمکن من خلال هذا الوصف الوقوف على صحة الحديث من ضعفه¹.

ولعل تعريف الجرح والتعديل كعلم سيقرب الفهم أكثر ويبسط المعنى فيما سيأتي في البحث، إذ عرف العمري علم الجرح والتعديل بكونه علماً يتعلق ببيان مراتب الرواة من حيث تضعيفهم أو توثيقهم، بتعابير فنية تعارف عليها علماء الحديث، وهي دقيقة الصياغة محددة الدلالة مما له أهمية في نقد إسناد الحديث².

كما ذكر الذهبي: "أن قد ألف الحفاظ مصنفات جمة في الجرح والتعديل ما بين اختصار وتطويل، فأول من جمع كلامه في ذلك الإمام الذي قال فيه أحمد بن حنبل: ما رأيت بعيني مثل يحيى بن سعيد القطان، وتكلم في ذلك بعده تلامذته: يحيى بن معين، وعلي ابن المدني، وأحمد بن حنبل وعمرو بن أبي الفلاس وأبو خيثمة وتلامذتهم، كأبي زرعة، وأبي حاتم والبخاري ومسلم وأبي إسحاق الجوزجاني السعدي وخلق من بعدهم، مثل النسائي وابن خزيمة والترمذي و الدولابي، والعقبلي وله مصنف مفيد في معرفة الضعفاء، ولأبي حاتم بن حبان كتاب كبير عندي في ذلك، ولأبي أحمد بن عدي كتاب الكامل هو أكمل الكتب وأجلها في ذلك، وكتاب أبي الفتح الأزدي، وكتاب أبي محمد بن أبي حاتم في الجرح والتعديل، والضعفاء للدارقطني والضعفاء للحاكم وغير ذلك³.

وعند النظر إلى أقوال الأئمة وصنيعهم في كتب الجرح والتعديل، نجد أنهم يوجبون العمل بهذا العلم للعالم المتمكن، ويعدونه من فروض الكفايات⁴.

ذكر أبو الحافظ الأصبهاني(ت: 430هـ): "لزم كل عاقل ومخاطب الاجتهاد في التمييز بين صحيح أخباره وسقيم آثاره وان يبذل مجهوده في معرفة ذلك واقتباس سنته وشريعته من

¹ قاسم العمري، المرجع السابق، ج1، ص 24.

² أكرم ضياء العمري، بحوث في تاريخ السنة، المرجع السابق، ص83.

³ شمس الدين الذهبي، ميزان الاعتدال، المصدر السابق، ج1، ص02.

⁴ محمد علي الغامدي، المرجع السابق، ص10.

الطَّرْق المرضية وَالْأَيْمَّة المهدية وَكَانَ الْوُصُول الى ذَلِكَ مُتَعَذِّرًا إِلَّا بِمَعْرِفَةِ الرِّوَاةِ وَالْفَحْصِ عَنِ أَحْوَالِهِمْ وَأَدْيَانِهِمْ ، وَالْكَشْفِ وَالْبَحْثِ عَنِ صِدْقِهِمْ وَكُذِّبِهِمْ وَإِتْقَانِهِمْ وَضَبْطِهِمْ وَضَعْفِهِمْ وَوَهَائِهِمْ وَخَطْئِهِمْ ، وَذَلِكَ إِنْ لَمْ يَكُنْ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ أَهْلَ الْعِلْمِ دَرَجَاتٍ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَلَمْ يَرْفَعْ بَعْضَهُمْ إِلَّا وَخَصَّ مِنْ رَفَعَهُ مِنْ دُونِهِ بِمَنْزِلَةٍ سَنِيَّةٍ وَمُرْتَبَةٍ بَهِيَّةٍ فَالْمَرَاتِبُ وَالْمَنَازِلُ مِنْهُ مُوَاهِبٌ اخْتَصَمَ بِهَا دُونَ الْآخَرِينَ ، فَلِذَلِكَ وَجِبَ التَّمْيِيزُ بَيْنَهُمْ وَالْبَحْثُ عَنِ أَحْوَالِهِمْ لِيُعْطَى كُلُّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَيُنْزَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَنْزِلَةً الَّتِي أَنْزَلَهُ بِهَا الْمُتَمَنِّعُ عَلَيْهِ وَالْمُنْعَمُ لَدَيْهِ ¹ .

وبهذا فالجرح والتعديل منهج علمي لا يتقنه إلا المتخصصون من العلماء في الحكم على الرواي والحديث قبولاً ورداً ، ولا يساغ لغيرهم ممن لا يحيط بأصول الرواية وقواعدها وعلم التراجم والعلل ولم يطلع على أصول كتب السير والجرح والتعديل تطبيقه والعمل به .

3 – منهج أئمة الجرح والتعديل :

إن منهج أئمة الجرح والتعديل في نقد رجال الحديث كان له أثر كبير في نمو النقد وتطوره في سائر العلوم الإسلامية ، بحيث اتخذ العلماء المسلمون موازين هذا العلم قاعدة أساسية لتحري الحقائق في كافة المجالات ، والتأكد من صحة الأخبار ببيان مكانة ناقلها من الصدق والإتقان انطلاقاً من مفاهيم القيم المقررة في القرآن والسنة ومن ثم درج المفسرون وعلماء القراءات وأئمة اللغة والأدب وحملة الأخبار على التحري في النقل والبحث عن الرجال ، وعدم قبول الرواية عن كل من هب ودب من الناس ، وأصبح معروفاً بينهم أن لكل علم رجال ، ومعرفة الرجال نصف العلم كما يقال ² .

ومن الجدير بالذكر أن علم الجرح والتعديل قد انتقل إلى مجال التاريخ الإسلامي عن طريق المحدثين الأوائل الذين اشتغلوا بالرواية والتأليف في فروع التاريخ الإسلامي ، كالسير و

¹ / أبو نعيم موسى بن مهران الأصبهاني ، الضعفاء ، تح : فاروق حمادة ، ط 01 ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، 1405 هـ ، 1984 م ، ص 45 .

² / فاروق حمادة ، المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل ، ط 1 ، دار المعارف ، الرياض ، 1982 م ، ص 258 .

المغازي وأخبار الفتوح والتاريخ السياسي العام قد قادها منذ القرن الثاني الهجري من أعلام المؤرخين ومن علماء الحديث الذين كان اشتغالهم بالتاريخ من العوامل الأساسية في ظهور حركة نقد مبكرة في التاريخ الإسلامي وفق مناهج المحدثين في الجرح والتعديل¹.

ساعد على نمو حركة النقد في التاريخ الإسلامي شيوع الإسناد في روايات الإخباريين وكتب المؤرخين، مما ساعد على معرفة الرواة والتأكد من ميولهم ومعرفة مراتبهم في الجرح والتعديل، كما أن اتصال أحداث صدر الإسلام بأصول العقيدة الإسلامية وبعض الأحكام الفقهية دفع المحدثين إلى الاهتمام بتاريخ هذه المرحلة اهتماما بالغا، بنقد الرواة والبحث عن عدالتهم ومدى تحريمهم الصدق فيما ينقلون، لأن تاريخ هذه المرحلة كان تاريخ دين وعقيدة قبل كونه تاريخ سياسة وأمة فتكلموا في رواة المغازي والسير ورواة أخبار التاريخ كما تكلموا في رجال الحديث، وقد حفظت لنا كتب علم الرجال رصيذا ضخما من أقوال أئمة الجرح والتعديل في الإخباريين والمؤرخين².

لقد ساهم هذا العلم في إرساء قواعد حديثية أثرت في التاريخ الإسلامي ورواياته ودفعت بالحركة النقدية. نمت إثره حركة النقد في مجال التاريخ وظلت مستمرة إلى قرون متأخرة رغم توقف علم الجرح والتعديل في مجال الحديث النبوي على رأس المائة الثالثة³.

سارت الروايات وفق منهج علمي دقيق وضعه المحدثون ابتداءا لصيانة الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نما وتطور حتى شمل مجال التاريخ والأخبار، إنصب هذا المنهج على دراسة مجالين: **مجال الرواة الذي هو من اختصاص علم الرجال**، فوضعوا لرواة التاريخ شروطا كشروط رواة الحديث، ثم **مجال الرواية الذي كانت معايير النقد فيه ثمرة من ثمار الجرح والتعديل**.

¹ أبو جميل الحسن العلمي، المرجع السابق، ص 34.

² أبو جميل الحسن العلمي، المرجع السابق، ص 35.

³ تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية، تح: أبي غدة، (د، ط)، المصدر السابق، ج 2، ص 22.

تجدر الإشارة إلى أن النقد في التاريخ كان سارياً وفق هذه المعايير التي كانت معروفة ومتداولة بين المحدثين، لكنها لم تبرز بشكل منهجي مرتب إلا على يد طائفة من المتأخرين كابن السبكي (ت771هـ)، الذي أبرز بعض جوانب هذا المنهج في كتابه طبقات الشافعية تحت عنوان "قاعدة في المؤرخين"، ومحمد بن سليمان الكافيجي (ت879هـ) صاحب "المختصر في علم التاريخ" والسخاوي (ت911هـ)، في "الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ" واتخذت حركة النقد عندهم اتجاهين: اتجاه نظري تمثل في وضعهم منهجاً علمياً دقيقاً لقبول الأخبار وردّها، سرى تطبيقه إلى مجال الأخبار التاريخية ثم في اشتراطهم شروطاً يجب توفرها في المؤرخ، وعلى ضوءها بنوا كلامهم في تجريح الإخباريين والمؤرخين وتعديلهم واتجاه تطبيقي تمثل في ناحيتين: نقدم للرجال المشتغلين برواية الأخبار التاريخية ثم نقدم للأخبار التاريخية، خاصة ما يتصل منها بمرحلة صدر الإسلام كالسيرة وتاريخ الصحابة والخلفاء الراشدين وأحداث الفتنة، وغيرها من الوقائع التي لها مساس بالأحكام التشريعية وأصول الإيمان أو المسار الحضاري للأمم وحركة الإسلام عبر التاريخ¹.

4 - مدى إمكانية تطبيق قواعد المحدثين عموماً، ومنهج الجرح والتعديل خصوصاً على المرويات التاريخية :

إن مدرسة الحديث النبوي والتاريخ الإسلامي كانتا تسيران على وتيرة واحدة من حيث السند والمتن، لذا نجد أغلب الذين كتبوا في السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي لمرحلة القرون الهجرية الأولى، ملئوا مؤلفاتهم بسلسلة الإسناد التي تسبق رواية متن الحادثة والتزموا أغلب قواعد أهل الحديث في مصنفاتهم، وفي العصر الحديث اعترف الباحثون غير المسلمين بدقة عمل المحدثين وأقروا بحسن صنيعهم واتخذ علماء التاريخ من قواعدهم أصولاً يتبعونها في تقصي الحقائق التاريخية، ووجدوا فيها خير ميزان توزن به وثائق التاريخ ومنهم صاحب كتاب مصطلح التاريخ أسد رستم، جرياً على تسمية العلماء المسلمين بمصطلح الحديث كما ذكرنا سابقاً، وإذا

¹ / أبو جميل الحسن العلمي، المرجع السابق، ص 39 .

كانت رواية الحديث ورواية التاريخ قد التزمتا بإيراد الإسناد إلا أنهما اختلفتا عند تطبيق منهج الجرح والتعديل على الرواة الذين وردوا في سلاسل الإسناد، فالتزم المحدثون به وتركه المؤرخون مما سبب عيباً كبيراً على الباحث المعاصر في إمكانية تطبيق هذا المنهج على مرويات التاريخ من جهة، وفسح المجال واسعاً أمام من يريد أن يغمز هذا التاريخ وحضارته من جهة أخرى¹.

وقد أبرز العمري أنه ينبغي ملاحظة منهج المحدثين المؤرخين عند التعامل مع الرواية التاريخية، فهم يتساهلون في رواية الأخبار التاريخية كما نلاحظ عند ثقات المؤرخين مثل محمد بن إسحاق وخليفة بن خياط والطبري حيث يكثر من الأخبار المرسلة والمنقطة كما أن الطبري يكثر النقل عن رواة في غاية الضعف مثل هشام بن الكلبي وسيف بن عمر التميمي ونصر بن مزاحم وغيرهم، ولا شك أن عدم تمحيص المؤرخين للأخبار كما فعلوا في الحديث واكتفاءهم بإلقاء العهدة على الرواة المذكورين في أسانيد الروايات ألقى عيباً كبيراً على المؤرخ المعاصر المسلم، لأنه يحتاج إلى بذل جهد ضخم للوصول إلى الروايات الصحيحة بعد فهم وتطبيق منهج المحدثين، وهو أمر لم يعد سهلاً ميسوراً كما كان بالنسبة لخليفة بن خياط أو الطبري بسبب تزلزلهم في مناهج المحدثين وطرق سبرهم للروايات وتمييزها، وعلى أية حال فنحن لا نبخس قدامى المؤرخين حقهم وفضلهم فقد جمعوا لنا المادة الأولية بالأسانيد التي تمكننا من الحكم عليها ولو بعد جهد وعناء².

لاشك أن اشتراط الصحة الحديثية في كل رواية، تاريخية، نريد قبولها فيه تعسف لأن ما تنطبق عليه هذه الشروط لا يكفي لتغطية العصور المختلفة للتاريخ الإسلامي، مما يولد فجوات، في تاريخنا، وإذا قارنا ذلك بتواريخ العالم فإنها كثيراً ما تعتمد على روايات، مفردة، أو مؤرخين مجهولين، بالإضافة إلى ذلك فهي مليئة بالفجوات، لذلك يكفي في الفترات اللاحقة التوثق من

^{1/} عبد الله خلف الحمد، الإسناد وأهميته في نقد مرويات التاريخ الإسلامي، مجلة البحوث والدراسات الإسلامية، العدد 28 ديسمبر 2012، العراق 2012 م، ص 99، 100.

^{2/} أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، ط6، مكتبة العلوم والحكم، المدينة النبوية، 1415هـ، 1994م، ج 1 ص 39، 40.

عدالة المؤرخ وضبطه لقبول ما يُسجله مع استخدام قواعد النّقد الحديثي في التّرجيح عند التّعارض بين المؤرّخين¹.

إنّ اشتراط الأمانة والثقة والدّين في المؤرّخ ضروريّ لقبول شهادته على الرّجال والأُمم وتقويم دورهم التّاريخيّ واجب ديني وعلمي، إذ أن مراحل التّاريخ الإسلاميّ كلّها بحاجة إلى إعادة تقويمها من وجهة النّظر الإسلاميّة، وقد تبين مدى تغير الصّورة التّاريخية لفترة ما من تاريخنا عندما يتناولها بالبحث كُتّاب مُسلمون مُنصفون، ويبدو أنّ التغير الذي سيحدث في تصورنا للتاريخ الأمويّ والعباسيّ وما بعدهما من حلقات حتّى تاريخنا المعاصر سيكون كبيراً جداً وسيكشف عن مدى الرّيف والتّحريف الذي أصاب تاريخنا².

يجب أن نتبع المرونة في تطبيق قواعد المحدثين على الروايات التاريخية، فمنهجهم الشديد الصّارم سيعصف بأغلب الروايات التي نقلت عن مجاهيل أو عن متهمين بالكذب أو مدلسين أو غيرها من صفات الرد عند المحدثين، فكلام أهل الحديث مثلاً جرحاً وتعديلاً في سيف بن عمر التميمي يبين الفرق بين المنهجين وصعوبة تطبيق منهج أهل الحديث على المرويات إلا بحدز ومرونة، فيحيى بن معين (ت 233هـ) قال: "سيف بن عمر التميمي: ضعيف الحديث، فلس خير منه"³، أما أبو زرعة الرازي (ت 264هـ) قال: "ضعيف الحديث"⁴، وقال أبو داود (ت 275 هـ): "ليس بشيء"⁵ وهذا يعدّ جرحاً شديداً، وقال فيه يعقوب بن سفيان الفسوي (ت 277 هـ): "حديثه وروايته ليس بشيء"⁶.

¹ عبد العزيز بن صغير دخان، روايات تاريخ الصحابة في ميزان الجرح والتعديل، مجلة هيئة تفعيل التاريخ والتراث الوطني عدد 04، أبو ضبي، 2002م، ص 12.

² محمد بن صامل السلمي، المرجع السابق، ص 66.

³ شمس الدين الذهبي، ميزان الاعتدال، المصدر السابق، ج 2، ص 255.

⁴ أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمان المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تح: بشار عواد معروف، ط 01، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1400هـ، 1980م، ج 12، ص 327.

⁵ الذهبي، المصدر السابق، ج 2، ص 256.

⁶ أبو جعفر العقيلي المكي، الضعفاء الكبير، تح: عبد المعطي أمين قلجعي، ط 01، دار المكتبة العلمية بيروت، 1404هـ، 1984م، ج 2، ص 175.

هنا يضعفه بقوة في الاثنتين: الحديث والتاريخ، كما جرحه النسائي صاحب السنن (ت 303 هـ) قال: "ضعيف متروك الحديث، ليس بثقة، ولا مأمون" ¹، وهاهو ابن حجر (ت: 852 هـ) يقول في سيف بن عمر التميمي: "صاحب كتاب الردة، ويقال له الضبي، ويقال غير ذلك الكوفي ضعيف في الحديث عمدة في التاريخ أفحش ابن حبان القول فيه" ².

كل هذا الجرح من أئمة الحديث في عمدة من أعمدة التاريخ الإسلامي على حد لسان ناقد جهبذ وهو ابن حجر يبين صعوبة الأمر، وبدون إفراط ولا تفريط يجب أن نتخذ منها وسطاً بين المنهجين وذلك بمنهجية جمع بين طريقة المؤرخين وطريقة المحدثين، وهنا يقول أكرم العمري: "وبعض المؤلفين جمع بين صفتي المحدث والمؤرخ مثل محمد بن إسحاق وخليفة بن خياط، ويعقوب بن سفيان القسوي ومحمد بن جرير الطبري، وهؤلاء أفادوا منهج المحدثين بالتزام سرد الأسانيد ومحاولة إكمال صورة الحادث عن طريق جمع الأسانيد أحياناً أو سرد الروايات التي تُشكّل وحدة موضوعية تحت عناوين دالة" ³.

فكيف بنا لا ننهج منهجهم في وقتنا الحالي وقد توفرت لنا كل المؤهلات وذللت كل الصعاب ولم تعد لنا حجة بعدهم وقد نهج مؤلفو كتب السيرة ⁴ مثلاً منهج المحدثين في الرواية: من ذكر الأسانيد، والنظر في الرواة، وإن لم يلتزموا ما لتزمه المحدثون من التشدد في التعديل والتجريح، وقبول الرواية، ورُبَّ رجلٍ مجروحٍ عند أهل الحديث وهو ثقةٌ عند أهل السير كسيف بن عمر التميمي، وهذا يرجع إلى اختلاف الغرضين، فغرض المحدث ذكر الأحاديث التي هي مناط معرفة الحلال والحرام، ومن ثمَّ كان لا بُدَّ من التشدد في الرواية، وغرض المؤلف في السير

¹ أبو عبد الرحمن أحمد النسائي، الضعفاء والمتروكون، تح: محمود إبراهيم زايد، ط01، دار الوعي، حلب، 1396 هـ، ص185.

² ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، تح: محمد عوامة، ط01، دار الرشيد، سوريا، 1406 هـ، 1986م، ص262.

³ أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، المرجع السابق، ص11.

⁴ ومنهم: ابن إسحاق والواقدي وابن سعد، فأما الواقدي فقد تقدّم خطوة على ابن إسحاق، وقد تقدّم الواقدي خطوة على ابن إسحاق، وقد تقدّم الواقدي خطوة على منهج ابن إسحاق في الابتعاد عن طريقة المحدثين وعدم الالتزام بالأسانيد وألفاظ الرواة وصاغ المغازي في نسقٍ واحدٍ مُترابطٍ الأحداث في أسلوبٍ قصصي واضح العبارة ممّا يسرّ حفظها على عامّة الناس، انظر: صامل السلمي: منهج كتابة التاريخ الإسلامي، المرجع السابق، ص360.

والتَّوَارِيخِ ذِكْرُ أَخْبَارٍ، لَيْسَتْ مَنَاطَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ غَالِبًا، فَمِنْ ثَمَّ تَسَاهَلُوا، وَوُجِدَتْ فِي كِتَابِهِمُ الرَّوَايَاتُ "المرسلة، والمنقطعة، والمعضلة، والشاذة والمنكرة"¹.

وتعدى ذلك للموضوعة المختلقة على قلة بل المحدثون أنفسهم يتشددون ويبالغون في التحري عن الرواة حينما يروون أحاديث الأحكام، ويتساهلون في بعض الشيء في رواية الفضائل، روي عن الإمام أحمد أنه قال: "نحن إذا رويناه في الحلال والحرام شددنا وإذا رويناه في الفضائل تساهلنا" وفي معنى الفضائل المغازي والسيئر وروي عنه أيضاً أنه قال: "ثلاثة ليس لها أصل: التفسير، والملاحم، والمغازي"، ومراده أنه يغلب فيها رواية المراسيل والمنقطعات والبلاغات، ونحوها و إلا فقد صحح فيها أحاديث كثيرة².

ثم يدعوا العمري المؤرخين المسلمين إلى تقديم دراسات مفصلة تكشف عن ملامح التفسير الإسلامي للتاريخ، وعن أبعاد المنهج النقدي الذي تعامل وفقه روايات التاريخ الإسلامي، كما حذر من الاعتماد في فهم أحداث التاريخ الإسلامي وتصور عظماء رجاله على روايات تسوقها كتب التاريخ والأخبار دون تمحيص، مما يعطي صوراً مشوهة لأحداث التاريخ الإسلامي، وأنه لا بد من محاولة جادة لإعادة صياغة التاريخ الإسلامي بأقلام إسلامية تؤمن بالله وبرسوله، وتشعر بدور الإسلام وأثره في تاريخنا وحاضرنا ومستقبلنا³.

نستخلص أن تطبيق أصول وقواعد المحدثين على المرويات التاريخية أمر صعب جداً إذ قد يلغي أهم روايات تاريخ الإسلام ويردها لعل سبق ذكرها، وخاصة منهج الجرح والتعديل الذي تميز به خواص علماء الحديث، والذي وضع لحماية السنة والحديث أساساً ومنه وجب أن لا نلغي دور أولئك الجهابذ ونرمي قواعدهم ونتركها للحديث فقط بل نأخذ منها الذي يسهل

¹ الحديث المرسل: ما رفع وروي من التابعي عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من صفة أو تقرير أو قول أو فعل دون أن يكون واسطة بين التابعي وبين رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، أما الحديث المنقطع: وهو ما سقط من سنده راوي واحد فقط والحديث المعضل: وهو ما سقط من إسناده اثنان فأكثر من الرواة على التوالي والحديث الشاذ: وهو ما رواه الثقة برواية مخالفة للراوي الأوثق منه إما بالزيادة أو بالنقص والحديث المنكر: وهو الحديث الذي لا يُعرف إلا برواية الراوي الذي رواه بحيث لا يُعرف الحديث من طريق راوي آخر ولا يكون له متابعات ولا شواهد، أنظر محمد خضر الشقيري ملخص علوم الحديث ومصطلحه، دار الهداية، عمان، ص 44.

² محمد أبو شهبه، السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، دار القلم، دمشق، ج 01، ص 34.

³ ضياء العمري، صحيح السيرة، المرجع السابق، ص 45، 46.

تطبيقه على مرويات الإسلام كما فعل علماء الأمة في السيرة النبوية والخلافة الراشدة وأعادوا بذلك صياغتها على تلك المناهج، وأن نركز على الروايات التي تحمل قواعد عقدية وأصولاً إيمانية كي لا ينفلت عقد الولاء والحب للصحابة والتابعين .

ولكي نلجم الوضاعين والكذابين من الروافض وغيرهم ممن يطعن فيهم وفي عدالتهم وخاصة حوادث الفتن والملاحم وغيرها، لأنهم يعتقدون في الخلفاء والملوك جميعاً أنهم مغتصبون للخلافة إلا علياً رضي الله عنهم، ولذلك عمدوا إلى تشويه التاريخ واختلاق الأكاذيب والظعن في الخلفاء بدءاً بالطعن في أبي بكر وعمر رضي الله عنهم وزاد الطين بلة أن بعض المؤرخين قمش ولم يفتش فجمع الغث والسمين، فاستغلوا هذه الفرصة وأصبحوا يقولون إن هذا الكلام في كتبكم.

وأما الدس والتشويه في العصر الحديث فتولى كبره المستشرقون وأذئابهم ممن ينتسب إلى الإسلام اسماً ورسماً، ولذلك نحن بحاجة إلى نقد تراثنا وتاريخنا حاجة ماسة ضرورية من أجل نهضة وصحة صحيحة فتية على أصول وقواعد أولئك من المحدثين والمؤرخين لأن جهودهم الجبار الذي بذلوه ينم على سعة اطلاع وقوة ضبط وتحليل، ويختلف منتوجهم الفكري عموماً والنقدي خصوصاً على منتوج الغربيين في النقد، فكان حري بالمؤرخين المعاصرين أن يتأثروا بأسلافهم في المناهج والقواعد فالتاريخ يتعلق بدينهم وعقيدتهم ولغته لغتهم الأم .

الفصل الثالث : نماذج تطبيقية في نقد الروايات الحديثية والتاريخية .

المبحث الأول : نماذج من نقد علماء الحديث .

المبحث الثاني : نماذج من نقد علماء التاريخ .

المبحث الثالث : نماذج من نقد علماء اللغة والفقهاء والأصول

أولاً : نماذج من نقد علماء الحديث :

اعتنى المؤرخون اعتناءً شديداً بالسيرة النبوية و المغازي ولم يقتصر هذا الاهتمام عليهم فقد سبقهم بل جاوزهم إلى ذلك المحدثون ،والذين اعتبروا السيرة جزءاً من النبوة وحقلاً لاستنباط الأحكام الشرعية ،فكثرت التصانيف والرسائل في هذا المجال وبلغت الألوف¹ .

ومن أهمها كتب كتب العلل وهي نقد الحديث الذي لم يكن وليد فترة معينة لفتت الأنظار ، ونُشرت حولها كثير من الأخبار ، خاصة في عصر بعض الأئمة الأعلام كالإمام ابن الصلاح²، حتى قيل: في عهد ابن الصلاح استقرَّ الاصطلاح، وهي مقولة تداولتها الألسن منذ عهد ابن الصلاح إلى يومنا هذا، وهي وإن كانت تعبر عن المصطلح عمومًا، فإنها في طياتها تحمل اتجاهًا علميًا يجعل المتأخر يعضُّ الطرف عن كل المراحل التي سبقت ابن الصلاح بأكثر من مائتي سنة.

علمًا أن مرحلة ابن الصلاح لا تعبر عن الصورة الحقيقية لهذا العلم، فكم سبق ذلك الإمام من أئمة عظام! رَفَعُوا لهذا العلم دعائمه وشيدوا معالمه، وبينوا الثقات والضابطين، كما بينوا الضعفاء والمجاهيل فضلًا عن الكذبة والوضّاعين، ثم انفصل هذا العلم عند المتأخرين عن باقي العلوم.

وعلى هذا الأساس فإن هذا الاعتناء الخاص أقلل الباب في وجه الكذابين و الوضّاعين والمدلسين وساهم في الحد من اهتمامهم بموضوع السيرة والكذب والوضع فيه ولكنه لم يثبتهم على الاجتهاد في بث سمومهم لخدمة معتقداتهم الباطلة أو لنصرة فرقهم الضالة أو لتشويه صورة الرعيل الأول وفتح باب الطعن فيهم ،ومنه الطعن في نقلهم أي القرآن والسنة .

^{1/} صلاح الدين المنجد ، معجم ما أئف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،دار الكتاب الجديد ، بيروت ، 1402 هـ ، 1982م ، ص09 .

^{2/} ابن الصلاح : إمامُ الحَافِظُ العَلامَةُ شَيْخُ الإِسْلامِ تَقِيُّ الدِّينِ أَبُو عَمْرٍو عَثْمَانُ ابْنُ المُفْتِي صَلاحِ الدِّينِ عبد الرحمن بن عثمان بن موسى الكردي، الشهزوري، الموصلي، الشافعي، صاحب " غُلُومِ الحَدِيثِ " . وُلِدَ في شَرخان، بلد قرب شهرزور. 557 هـ ، ثم انتقل إلى الموصل ولاة الملك الأشرف التدریس بها في دار الحديث الأشرفية. له مصنفات كثيرة منها: معرفة أنواع علوم الحديث، ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح؛ الأمالي؛ الفتاوى؛ شرح الوسيط؛ فوائد الرحلة؛ أدب المفتي والمستفتي؛ طبقات الفقهاء الشافعية؛ صلة الناسك في صفة المناسك. تُوفي في دمشق 643 هـ. أنظر:الذهبي، السير ، المصدر السابق ،ج16، ص363 .

الفصل الثالث: نماذج تطبيقية في نقد العلماء للروايات الحديثية والتاريخية

ذكر المحدث الألباني: ويحضرني الآن بفعل مناسب لهذه القضية في عهد أحد الخلفاء العباسيين ألقى القبض على أحد الزنادقة وأُتي فيه لتنفيذ حد القتل فيه فلما رأى أنه قادم على الموت أراد أن يروي غيظ قلبه على المسلمين قال " أنا لا أموت إلا وقد وضعت على لسان نبيكم كذا ألف حديث " فقال له الخليفة " خسئت فلن تسلك هذه الأحاديث ما دام عندنا مثل فلان " أظنه ذكر له عبد الله بن المبارك أو غيره من الأئمة وهو قد أخذ الغربال يغربل هذه الأحاديث فإذا هذا زنديق أشاع أحاديث موضوعة سوف لا تؤثر هذه الأحاديث الموضوعة ما دام بالمقابل في ناس يغربلون¹.

كما أن الناس يولعون بالغرائب ويبحثون عن المادة التي تحرك العاطفة فينقاد لهم بعض المتحدّثين ويستجيبون لرغباتهم على طريقة ما يطلبه الجمهور فيأتون لهم بالغرائب التي ما أنزل الله بها من سلطان ،فعن حمّاد رضي الله عنه قال : " كان رجل قد لزم أيوب وسمع منه ففقدته أيوب فقالوا يا أبا بكر إنه قد لزم عمرو بن عبيد. قال حمّاد: فبينما أنا يوما مع أيوب وقد بكرنا إلى السوق فاستقبله الرجل فسلمّ عليه أيوب ثم قال بلغني أنك لزمْتَ ذلك الرجل يعني عمرا قال نعم يا أبا بكر إنه يجيئنا بالغرائب فقال له أيوب إنما نفرّ من هذه الغرائب².

قال النووي معناه إنما نهرب من هذه الغرائب التي يأتي بها عمرو بن عبيد مخافة من كونها كذبا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وبعض الناس قد يكون من أهل الصدق مع الله ومن أهل الخير والتقوى والصلاح ولكنه ليس من أهل هذا الفن فهؤلاء نطلب الدعاء منهم لكن لا نأخذ العلم عنهم³ ،روى مسلم في صحيحه عن أبي الزناد قال: "أدركت بالمدينة مائة كلّهم مأمون ما يؤخذ عنهم الحديث يقال ليس من أهله⁴.

¹ محمد ناصر الدين الألباني ،سلسلة الهدى والنور ،رقم 428 ،أنظر : <https://alathar.net> ،تمت زيارته في : 08/01/2020 ، 22:53 سا .

² أحمد بن عبد الله بن العجلي ،تاريخ الثقات ،ط01 ،دار الباز ،1405هـ،1984م،ص15 .

³ شرف الدين النووي ، المصدر السابق ،ج01 ،ص76 .

⁴ شمس الدين الكرمانى ،الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري ،ط02 ،دار إحياء التراث العربي ،بيروت 1401 هـ ،ج1 ،ص12 .

الفصل الثالث: نماذج تطبيقية في نقد العلماء للروايات الحديثية والتاريخية

إلا أن الله قيد لذلك رجالاً من أهل الفن ،حموا عرين السنة ووضعوا مناهج في نقد الروايات الحديثية وكتبوا طويلاً في الرجال اعتنوا فيها بالجرح والتعديل والسير والتراجم وأقاموا سداً منيعاً أمام ضعاف الأنفس والديانة ،وسنسد بعض الأمثلة التي طبق فيها المحدثون مناهجهم لترجيح الرواية بين الصحة والضعف والقبول والرد .

1 - ما رواه الإمام مسلم في مقدمته "صحيحه"، قال : " حدّثني عبد الله بن عبد الرحمن الدّارمي قال : سمعتُ أبا نعيم و ذكر المعلّى بن عُرْفان فقال : حدّثنا أبو وائل قال : خرج علينا ابن مسعود بصفيّين فقال أبو نعيم : "أترأه بُعثَ بعد الموت؟!"¹.

قال النّوّوي معلّقاً على هذا الكلام: معنى هذا الكلام أنّ المعلّى كذب على أبي وائل في قوله هذا ،لأنّ ابن مسعود تُوفّي سنة اثنتين وثلاثين ، وقيل سنة ثلاث وثلاثين والأول قول الأكثرين ، وهذا قبل انقضاء خلافة عثمان بثلاث سنين وصفيّين كانت في خلافة علي بعد ذلك بسنتين فلا يكون ابن مسعود خرج عليهم بصفيّين إلا أن يكون بُعث بعد الموت ،وقد علمتم أنه لم يبعث بعد الموت وأبو وائل مع جلالته وكمال فضيلته وعلو مرتبته والاتفاق على صيانته لا يقول خرج علينا من لم يخرج عليهم هذا ما لا شك فيه فتعين أن يكون الكذب من المعلّى بن عرفان مع ما عرف من ضعفه².

وهنا جرح ابن عرفان ولم يقبل كلامه وردت روايته ،وأما صفيين فبكسر الصاد والفاء المشددة وبعدها ياء في الأحوال الثلاث الرفع والنصب والجر وهذه هي اللغة المشهورة وفيها لغة أخرى حكاه أبو عمر الزاهد عن ثعلب عن الفراء وحكاها صاحب المطالع وغيره من المتأخرين صفون بالواو في حال الرفع وهي موضع الوقعة بين أهل الشام والعراق مع علي ومعاوية رضي الله عنهما ،أما الوقعة بهذا الرسم فواحدة وهي موقعة صفيين المعروفة عند المؤرخين والمحدثين

¹/ رواه مسلم : حديث رقم 92 .باب باب الكُشفِ عن معائبِ، رُواة الحديثِ وَنَقَلَهُ الأَخْبَارَ وَقَوْلِ الأَيْمَةِ فِي ذَلِكَ .
²/ محيي الدين يحيى بن شرف النووي ،المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ،ط 02 ،دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،1392هـ ،ج 1 ،ص 117 ، 118 .

الفصل الثالث: نماذج تطبيقية في نقد العلماء للروايات الحديثية والتاريخية

والمعلی¹ هذا أسدي كوفي ضعيف قال البخاري رحمه الله في تاريخه هو منكر الحديث وضعفه النسائي أيضا وغيره².

وهذا يبين صنعة المحدثين وحرصانة منهجهم النقدي وشدة تعاملهم مع الرواة جرحا وتعديلا، وقبولا وردا فلا يملكون كل ما يسمعه دون تثبت وعرض على منهج نقد المتن والسند عندهم.

2 - روى مسلم في صحيحه ، من طريق إبراهيم بن عيسى الطالقاني قال : " قلت لعبد الله بن المبارك : يا أبا عبد الرحمن الحديث الذي جاء " إِنَّ مِنَ الْبِرِّ بَعْدَ الْبِرِّ أَنْ تُصَلِّيَ لِأَبِيكَ مَعَ صَلَاتِكَ ، وَتَصُومَ لَهَا مَعَ صَوْمِكَ " قال : فقال عبد الله : يا أبا إسحاق عمّن هذا؟ قال : قلت له : هذا من حديث شهاب بن خراش ، فقال : ثقة ، عمّن ؟ قال : قلت : عن الحجاج بن دينار ، قال : ثقة ، عمّن ؟ قال : قلت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : يا أبا إسحاق إنّ بين الحجاج بن دينار وبين النبي صلى الله عليه وسلم ، مفاوز تنقطع فيها أعناق المطي ، ولكن ليس في الصدقة اختلاف"³ .

ومعنى هذه الرواية أنه لا يقبل الحديث إلا بإسناد صحيح وقوله مفاوز جمع مفازة وهي الأرض القفر البعيدة عن العمارة وعن الماء التي يخاف الهلاك فيها قيل سميت مفازة للتناول بسلامة سالكها ، كما أن هذه العبارة التي استعملها هنا استعارة حسنة وذلك لأن الحجاج بن دينار⁴ هذا من تابعي التابعين فأقل ما يمكن أن يكون بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم اثنان التابعي والصحابي فلهذا قال بينهما مفاوز أي انقطاع كثير⁵ .

^{1/} هو معلی بن عبد الرحمن الواسطي يروي عن سفيان الثوري وشريك قال أبو حاتم الرازي متروك الحديث وضعفه ابن المديني وذهب إلى أنه كان يضع الحديث وقال أبو زرعة ذاهب الحديث وقال ابن حبان يروي عن عبد الرحمن بن جعفر المقلوبات لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد وقال الدارقطني ضعيف كذاب وكان الدقيقي يثنى عليه وقال المصنف قلت وثم آخر يقال له (معلی بن عبد الرحمن) يروي عن الحسين بن زياد لا نعلم فيه قدحا أنظر : ابن الجوزي، الضعفاء والمتروكون ، تح : عبد الله القاضي ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1406 هـ ، ج3 ، ص131 .

^{2/} شرف الدين النووي ، المصدر السابق ، ج01 ، ص119 .

^{3/} نفسه ، ج1 ، ص89 .

^{4/} حجاج بن أرطاة : أبو أرطاة النخعي الكوفي يروي عن عطاء وعمرو بن دينار كان رائدة يأمر بترك حديثه وقال أحمد يزيد في الأحاديث ويروي هم من لم يلقه لا يحتج به وقال يحيى ضعيف وقال مرة لا يحتج بحديثه وقال النسائي ليس بالقوي وقال أبو حاتم الرازي يدلّس عن الضعفاء فإذا قال حدثنا فلان فلا يرتاب قال ابن عدي عابوا عليه تدليسه عن الزهري وغيره وربما أخطأ فأما أن يتعمد الكذب فلا وقال الدارقطني لا يحتج به وقال ابن حبان تركه ابن المبارك ويحیی القطان وابن مهدي ويحیی بن معين وأحمد بن حنبل وقال ابن المبارك رأيته في مسجد الكوفة يُحَدِّثُهُمْ بِأَحَادِيثِ الْعَزْرَمِيِّ وَيُدَلِّسُهَا عَلَى شَيْخِ الْعَزْرَمِيِّ وَالْعَزْرَمِيِّ قَانِمٌ يُصَلِّي لَا يَهْتَمُّ بِهِ أَحَدٌ وَالنَّاسُ عَلَى حِجَاجٍ أَنْظَرَ: ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص191 .

^{5/} شرف الدين النووي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص90 .

الفصل الثالث: نماذج تطبيقية في نقد العلماء للروايات الحديثية والتاريخية

فمن الإمام مالك أنه قال "إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم، لقد أدركت سبعين من يحدث قال فلان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند هذه الأساطين وأشار إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فما أخذت عنهم شيئاً وإن أحدهم لو أؤتمن على بيت المال لكان أميناً لأنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن وقدّم علينا ابن شهاب فكاننا نزدحم على بابه¹.

3 - ما رواه الإمام الترمذي في السنن : حدثنا محمد بن بشار، ومحمد بن المثنى، قالوا: حدثنا وهب بن جريّر، قال: حدثنا أبي عن محمد بن إسحاق، عن أبان بن صالح عن مجاهد، عن جابر بن عبد الله قال: نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن نستقبل القبلة ببول، فرأيتُه قبل أن يقبض بعامٍ يستقبلها وفي الباب عن أبي قتادة، وعائشة، وعمار، حديث جابر في هذا الباب حديث حسنٌ غريبٌ، وقد روى هذا الحديث ابنُ لهيعة، عن أبي الزبير، عن جابر، عن أبي قتادة: أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يبول مستقبلاً القبلة، أخبرنا بذلك قتيبة، قال: أخبرنا ابن لهيعة. وحديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم أصحُّ من حديث ابن لهيعة وابن لهيعة ضعيفٌ عند أهل الحديث ضعّفه يحيى بن سعيد القطان وغيره².

وفي هذا النموذج تظهر طريقة الإمام الترمذي في بيان ضعف الحديث فقد أتى بجميع طرق الحديث وتحدّث عن سياقاتها كلها، ففي السند الأول ساقه من حديث جابر مرفوعاً ثم نكر أن الحديث لم يروه فقط جابر، بل رواه صحابة آخرون حتى يعلم أنه ليس من الأفراد ثم نكر حُكم حديث جابر معيّراً عن ذلك بقوله : حسن غريب، ثم ذكر واسطه بين جابر والنبي صلى الله عليه وسلم، لكنها من رواية عبد الله بن لهيعة وبين الترمذي أن ابن لهيعة ضعيف .

هذه طريقة الإمام في الحكم على الراوي بالضعف ومن ثمة رد الحديث لسبب شاب الراوي أي السند ولم يمس المتن الصريح، ولكن ذهب غيره كالنووي أن هذا ظاهره أن جابراً يعتقد

^{1/} محمد بن عبد البر بن عاصم، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1387 هـ، ج1، ص47 .

^{2/} محمد بن عيسى بن الترمذي، أبو عيسى، الجامع الكبير، سنن الترمذي، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998 م، ج1، ص60 .

الفصل الثالث: نماذج تطبيقية في نقد العلماء للروايات الحديثية والتاريخية

نسخ النهي وليس هو منسوخًا، بل النهي محمولٌ على الصحراء وهذا الفعل كان في البنيان، كما صرّح به في حديث ابن عمر¹.

كما ذهب الشوكاني: وفيه أن دعوى الزيادة في القبح ممنوعة ومجرد اقتصار بعض أهل العلم على منع الاستقبال ليس لكونه أشد بل؛ لأنه لم يقد دليل على جوازه، كما قام على جواز الاستدبار، والتخصيص بالقياس مذهب مشهور راجح، وهذا على تسليم أنه لا دليل على الجواز إلا مجرد القياس وليس كذلك².

وأقر غيرهم من المحدثين: وفي الاحتجاج بهذا الحديث على نسخ النهي عن استقبال القبلة بالبول نظرًا، إذ يحتمل أن فعله صلى الله عليه وسلم إنما كان لعذر، ويحتمل أنه كان في بُنيانٍ أو لوجود ما يستزهره، وأن النهي مُختصّ بالفناء كالصحراء، وقد كان المعهود في حال النبى صلى الله عليه وسلم التستّر في قضاء الحاجة ممّا يقوي أنه ربّما كان في بُنيانٍ³.

وهنا يتبين اهتمام المحدثين في اتصال السند لقبول الرواية، وحتى وإن كان رجالها ثقات إلا أن الانقطاع علة من العلل التي ترد الحديث وتثبط العمل به وقد نحى على هذا المنحى أغلب المحدثين، خصوصاً أن اتصال السند من شروط الصحيحين.

كما أن في هذا الباب تبين أن أئمة المحدثين يعاملون أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم المنسوبة إليه في التدقيق في أسانيدها، ورجالها، بما لا يعاملون به المنقولات عن غيره صلى الله عليه وسلم، سواء كانت آثارًا عن الصحابة أو التابعين أو غيرهم، ومن أعظم ما يجلي ذلك: أن الأحاديث المرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم نفسها يختلف تعامل نقاد المحدثين معها حسب الأبواب التي ترد فيها.

ففي أبواب الحلال والحرام والأحكام يتشددون في نقد الأسانيد والرجال وأما في غيرها كأبواب التفسير والسير والرقائق فيتساهلون في نقد أسانيدنا وفي رواية الضعيف فيها، وهذا فيما

¹ / شرف النووي، الإيجاز في شرح سنن أبي داود، ط1، الدار الأثرية، عمان الأردن، 1428 هـ، 2007 م، ص128.

² / محمد بن عبد الله الشوكاني، نيل الأوطار، تح: عصام الدين الصباطي، ط01، دار الحديث، مصر، 1413 هـ، 1993 م، ج1، ص108.

³ / عبد الملك بن بكر قاضي، الموسوعة الحديثية الشاملة بين الواقع والمأمول، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، المدينة النبوية، ج1، ص138.

الفصل الثالث: نماذج تطبيقية في نقد العلماء للروايات الحديثية والتاريخية

لا يرويه الكذابون أو شبههم فمثل هذا لا يلفتون إليه أبداً وهذا التساهل والتشديد منقول عن غير واحد من المتقدمين كابن مهدي وأحمد بن حنبل، وابن معين، وابن المبارك، والثوري، وحكي الاتفاق عليه¹.

قال البيهقي عن الأحاديث الضعيفة المتفق على ضعفها: وهذا النوع على ضربين: ضرب رواه من كان معروفاً بوضع الحديث والكذب فيه، فهذا الضرب لا يكون مستعملاً في شيء من أمور الدين إلا على وجه التلحين، وضرب لا يكون راويه متهماً بالوضع، غير أنه عرف بسوء الحفظ وكثرة الغلط في رواياته أو يكون مجهولاً لم يثبت من عدالته وشرائط قبول خبره ما يوجب القبول، فهذا الضرب من الأحاديث لا يكون مستعملاً في الأحكام، كما لا تكون شهادة من هذه صفته مقبولة عند الحكام وقد يستعمل في الدعوات والترغيب والترهيب، والتفسير والمغازي فيما لا يتعلق به حكم².

ثانياً : نماذج من نقد علماء التاريخ :

ذكر الخطيب البغدادي ماروي أبو علي الحسن بن علي بن عبد الله المقرئ، أنا محمد بن جعفر النجار، قال: أنشدنا أبو علي النجار قال: أنشدني العصفري:

منازعة الرجال العلم نبل وتلقيح لألباب الرجال

وإسناد الحديث إلى ذويه أحق به وأقرب للمعالي

لأنك إن سلمت به شريك ... لمن حدثت عدل في الجمال

وإن يطعن عليك رددت فيه ... إلى البادي به سوء الفعال³

¹ مصطفى السباعي، المرجع السابق، ص 168.

² أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي، دلالة النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، ط 01، دار الكتب العلمية، بيروت، 1405 هـ، ج 1، ص 33.

³ الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، المصدر السابق، ج 2، ص 213.

الفصل الثالث: نماذج تطبيقية في نقد العلماء للروايات الحديثية والتاريخية

وأما أخبار الصالحين وحكايات الزهاد والمتعبدين ومواعظ البلغاء وحكم الأدباء فالأسانيد زينة لها وليست شرطاً في تأديتها¹.

بينما فيما سبق تأثر منهج المؤرخين بمنهج المحدثين في عدة أبواب وخاصة في مجال النقد وبينما سبب تشدد المحدثين في قبول مرويات الأحكام والحلال والحرام والتساهل في غيرها من المرويات، وما أسنده الخطيب حدثنا أبو جعفر محمد بن عبدان المعروف برزقان الواسطي حدثنا العباس بن عبد الله الترقفي، حدثنا محمد بن عبد الخالق، قال: " كنت جالسا عند يزيد بن هارون وخراساني يكتب الكلام ولا يكتب الإسناد قال: فقلت له أو قيل له: مالك لا تكتب الإسناد؟ فقال: «أنا خانة خواهم نبارز» ، قال أبو طالب تفسيره قال: أنا للبيت أريده لا للسوق " قال أبو بكر: إن كان الذي كتبه الخراساني من أخبار الزهد والرقائق وحكايات الترغيب والمواعظ فلا بأس بما فعل، وإن كان ذلك من أحاديث الأحكام وله تعلق بالحلال والحرام فقد أخطأ في إسقاط أسانيدِه لأنها هي الطريق إلى تبينه فكان يلزمه السؤال عن أمره والبحث عن صحته².

هذا دليل على تثبت الأولين فيما يتساهل فيه أو يتشدد، كما وجب التنبيه في هذا السياق إلى قضية مهمة ربما غفل عنها كثيرون، وهي أن لعلماء كل علم طريقتهم الخاصة في نقد علمهم وفي الفحص عن صحة منقولهم ومعقولهم، ومن الخطأ الفادح أن نخلط بين معايير النقد المختلفة بين كل علم وآخر، لأن ذلك سيؤدي إلى هدم كل تلك العلوم .

وفي هذا المجال يجب التذكير بضرورة تعظيم أئمة كل علم في علمهم، واحترام تخصصات أصحاب التخصصات، فلا نزاحمهم ما دمنا لسنا من أصحاب ذلك العلم، وخاصة أولئك الأعلام من علماء علوم الإسلام على اختلاف فنونها ونقصد من ذلك كله بيان أن التخفف من نقد المنقولات من غير السنة لا يعني أننا سنثبت بذلك غير الثابت منها، ولكن يعني أننا سنضع كل منقول في ميزانه الكافي لتمييز ثابتته من غير الثابت منه .

¹/ الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج2، ص214.

²/ نفسه، ج2، ص215.

الفصل الثالث: نماذج تطبيقية في نقد العلماء للروايات الحديثية والتاريخية

وسنحاول مبلغ جهدنا عرض أمثلة منتقاة من تاريخنا الإسلامي، ردها كبار المؤرخين لعدة أسباب سنفصل فيها مبرزين بذاك دورهم الجبار في حماية موروثنا التاريخي و الثقافي ،مغلقين الباب أمام المندسين من بني جلدتنا ومن غيرهم من الدخلاء على تاريخنا العظيم ،الذي اشربت له أعناق الغربيين ومن وراء البحار لزخمه المعرفي ومنهجه العتيق وما فيه من بطولات وأمجاد ،جرت أنامل الحساد إلى تشويبه والطعن في أحداثه ومجرباته .

لقد كانت تلك الروايات المكذوبة في كتب التراث صيدا ثميناً عند المستشرقين فرحوا به، فعكفوا على استخراجها من بطون الكتب ونشرها وإبرازها لأنها تسير في نفس الاتجاه الذي يهدفون إليه وتخدم أغراضهم التي فرغوا أنفسهم لها من صد المسلمين عن دينهم عن طريق التشكيك في دينهم وتشويه تراثهم وتاريخهم، وقد بنوا على تلك الروايات التي تلقوها عن سلفهم من الرواة الوضاعين أحكاماً تاريخية تجافي الواقع الحقيقي بل وبعضها يناقض الواقع المعلوم بالضرورة من حياة المسلمين وتاريخ رجالاته وأبطاله الأماجد ،فوقف أولئك لهم بالمرصاد وصدوهم عن ذلك صدوداً ،ومن تلك الأمثلة :

1 - ما ذكر الحافظ ابن كثير في "البداية والنهاية" أحداث سنة ثلاث وستين وأربعمائة في ترجمة أبي بكر الخطيب البغدادي ما نصه: "ولمَّا ادَّعى الخَيَابِرَةُ ، أنَّ معهم كِتَاباً نَبَوياً فيه إسْقَاطُ الجِزِيَةِ، أوقف ابن مسلمة الخطيب على هذا الكتاب ، فقال : هذا كذب . فقال له : وما الدَّليلُ على كذِبِهِ؟ فقال : لأنَّ فيه شهادة معاوية بن أبي سفيان ولم يكن أسلم يوم خيبر وقد كانت خيبر في سنة سبع من الهجرة ، وإنَّما أسلم معاوية يوم الفتح ، وفيه شهادة سعد بن معاذ ، وقد مات قبل خيبر عام الخندق سنة خمس فأعجِبَ النَّاسُ بذلك"¹ .

وقال ابن كثير بعد هذا النَّقل: "قد سُبِقَ الخطيب إلى هذا النَّقل، سبقه محمد بن جرير كما ذكرت في مصنَّف مفرد"².

^{1/} ابن كثير، البداية والنهاية، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، 1424هـ، 2003م، ج16، ص28
^{2/} نفسه، ج16، ص29 .

الفصل الثالث: نماذج تطبيقية في نقد العلماء للروايات الحديثية والتاريخية

ولا يقف على هذا الكذب إلا من أحاط بطبقات الصحابة ، فعرف وفياتهم وأخبارهم ، ولذلك جاءت المقولة الذهبية لسفيان الثوري : "لَمَّا اسْتَعْمَلَ الرُّوَاةُ الكَذِبَ ، اسْتَعْمَلْنَا لَهُمُ التَّارِيخَ"¹.

وقد رد ابن القيم نفس الرواية بعدة وجوه أحدها: أنه فيه شهادة سعد بن معاذ وسعد قد توفى قبل ذلك في غزوة الخندق ، وثانيها: أن فيه وكتب معاوية بن أبي سفيان هكذا ومعاوية إنما أسلم زمن الفتح وكان من الطلقاء ، أما ثالثها: أن الجزية لم تكن نزلت حينئذ ولا يعرفها الصحابة ولا العرب وإنما أنزلت بعد عام تبوك وحينئذ وضعها النبي صلى الله عليه وسلم على نصارى نجران ويهود اليمن ولم تؤخذ من يهود المدينة لأنهم وادعوه قبل نزولها ، ثم قتل من قتل منهم وأجلى بقيتهم إلى خيبر وإلى الشام وصالحه أهل خيبر قبل فرض الجزية فلما نزلت آية الجزية استقر الأمر على ما كان عليه وابتدأ ضربها على من لم يتقدم له معه صلح فمن هاهنا وقعت الشبهة في أهل خيبر ، ورابعها: أن فيه وضع عنهم الكلف والسخر ولم يكن في زمانه كلف ولا سخر ولا مكوس².

خامسها: أنه لم يجعل لهم عهدا لازما بل قال نقرم ما شئنا فكيف يضع عنهم الجزية التي يصير لأهل الذمة بها عهد لازم مؤبد ثم لا يثبت لهم أمانا لازما مؤبدا، **سادسها:** أن مثل هذا مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله فكيف يكون قد وقع ولا يكون علمه عند حملة السنة من الصحابة والتابعين وأئمة الحديث وينفرد بعلمه ونقله اليهود؟ **وسابعها:** أن أهل خيبر لم يتقدم لهم من الإحسان ما يوجب وضع الجزية ، عنهم فإنهم حاربوا الله ورسوله وقاتلوه وقاتلوا أصحابه وسلوا السيوف في وجوههم وسموا النبي صلى الله عليه وسلم وآووا أعداءه المحاربين له المحرضين على قتاله فمن أين يقع هذا الاعتناء بهم وإسقاط هذا الفرض الذي جعله الله عقوبة لمن لم يدين منهم بدين الإسلام؟ ، **ثامنها:** أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يسقطها عن الأبعدين مع عدم معاداتهم له كأهل اليمن وأهل نجران فكيف يضعها عن جيرانه الأذنين مع شدة

¹ / الخطيب البغدادي ، الكفاية ، المصدر السابق ، ص 193 .

² / ابن قيم الجوزية ، المنار المنيف في الصحيح والضعيف ، تح: عبد الفتاح أبو غدة ، ط 1 ، مكتبة المطبوعات الإسلامية ، حلب ، 1390 هـ ، 1970 م ، ص 101 .

الفصل الثالث: نماذج تطبيقية في نقد العلماء للروايات الحديثية والتاريخية

معاداتهم له وكفرهم وعنادهم ومن المعلوم أنه كلما اشتد كفر الطائفة وتغلظت عداوتهم كانوا أحق بالعقوبة لا بإسقاط الجزية¹.

تاسعها: أن النبي صلى الله عليه وسلم لو أسقط عنهم الجزية كما ذكروا لكانوا من أحسن الكفار حالاً ولم يحسن بعد ذلك أن يشترط لهم إخراجهم من أرضهم وبلادهم متى شاء فإن أهل الذمة الذين يقرون بالجزية لا يجوز إخراجهم من أرضهم وديارهم ما داموا ملتزمين لأحكام الذمة فكيف إذا روعي جانبهم بإسقاط الجزية وأغفوا من الصغار الذي يلحقهم بأدائها فأي صغار بعد ذلك أعظم من نفيهم من بلادهم وتشتيتهم في أرض الغربة فكيف يجتمع هذا وهذا؟، **وعاشرها:** أن هذا لو كان حقاً لما اجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون والفقهاء كلهم على خلافه وليس في الصحابة رجل واحد قال لا تجب الجزية على الخيرية لا في التابعين ولا في الفقهاء بل قالوا أهل خيبر وغيرهم في الجزية سواء².

وعرضوا بهذا الكتاب المكذوب صرحوا بأنه كذب كما نكر ذلك الشيخ أبو حامد والقاضي أبو الطيب والقاضي أبو يعلى وغيرهم، ونكر الخطيب البغدادي هذا الكتاب وبين أنه كذب من عدة وجوه وأحضر هذا الكتاب بين يدي شيخ الإسلام وحوله اليهود يزفونه ويجلونهم وقد غشي بالحريير والديباج فلما فتحه وتأمله بزق عليه وقال هذا كذب من عدة أوجه وذكرها فقاموا من عنده بالذل والصغار³.

2 - ما ذكره ابن حجر: أن سهل بن معاذ الجهني أورده ابن شاهين في الصحابة وهو وهم نشأ عن سقط، فإنه أخرج من طريق إسماعيل بن عباس عن أسيد بن عبد الرحمن عن فروة بن مجاهد عن سهل بن معاذ الجهني قال: غزوت مع أبي الصائفة فنزلنا على حصن فضيق الناس المنازل وقطعوا الطرق فبعث النبي صلى الله عليه وسلم منادياً فنادى في الناس: " إن من ضيق منزلاً أو قطع طريقاً فلا جهاد له، فقال: لو تدبره ابن شاهين لعلم وجه الوهم فإنه لم يكن في

¹ ابن قيم الجوزية، المصدر السابق، ص 102.

² نفسه، ص 103.

³ ابن قيم الجوزية، المصدر السابق، ص 104، 105.

الفصل الثالث: نماذج تطبيقية في نقد العلماء للروايات الحديثية والتاريخية

زمن النبي صلى الله عليه وسلم صائفة¹.

استخدم بن حجر مقياس الحقيقة التاريخية الثابتة في نقد متون هذا الخبر التاريخي، ولم يتوقف عند ذلك الحد بل قوى نقده بشواهد صحيحة ثابتة ومنها: وعند أبي يعلى من هذا الوجه عن سهل بن معاذ: غزوت مع أبي الصائفة في زمن عبد الملك بن مروان وعلينا عبد الله بن عبد الملك فضيق الناس المنازل فقال معاذ: أيها الناس إني غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنذكره فظهر أن الصحابي في هذا الحديث هو معاذ بن أنس لا ابنه سهل². وهذا يظهر الدقة والتحري لدى ابن حجر كمؤرخ، لم يمر الرواية التاريخية فقط بل نقدها استنادا على حقائق تاريخية ثابتة ثم دعم حجته بأدلة نقلية ثابتة إسنادا ومتنا.

3 - ما رواه ابن إسحاق: وحدثني العباس بن عبد الله بن معبد، عن بعض أهله، عن ابن عباس، قال: لما مشوا إلى أبي طالب وكلموه، وهم أشراف قومه، عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، وأممية بن خلف، وأبو سفيان بن حرب في رجال من أشرافهم فقالوا: يا أبا طالب، إنك منا حيث قد علمت وقد حضرك ما ترى وتخوفنا عليك، وقد علمت الذي بيننا وبين ابن أخيك، فادعه فخذ لنا منه وخذ له منا ليكف عنا ولنكف عنه، وليدعنا وديننا ولنضعه ودينه، فبعث إليه أبو طالب فجاءه فقال: يا ابن أخي، هؤلاء أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليعطوك وليأخذوا منك. قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " نعم، كلمة واحدة تعطونها، تملكون بها العرب، وتدين لكم بها العجم ". فقال أبو جهل: نعم وأبيك وعشر كلمات، قال: " تقولون: لا إله إلا الله، وتخلعون ما تعبدون من دونه ". قال: فصفقوا بأيديهم ثم قالوا: يا محمد أتريد أن تجعل الآلهة إلها واحدا إن أمرك لعجب! قال: ثم قال بعضهم لبعض: إنه والله ما هذا الرجل بمعطيك شيئا مما تريدون، فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه ثم

^{1/} ابن حجر العسقلاني، الإصابة في معرفة الصحابة، تج: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، ط01 دار الكتب العلمية، بيروت، 1415 هـ، ج2، ص02.

^{2/} نفسه، ج2، ص03.

الفصل الثالث: نماذج تطبيقية في نقد العلماء للروايات الحديثية والتاريخية

تفرقوا. قال: فقال أبو طالب: والله يا ابن أخي ما رأيتك سألتهم شططا، قال: فطمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فجعل يقول له: أي عم، فأنت فقلها، أستحل لك بها الشفاعة يوم القيامة، قال: فلما رأى حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: يا ابن أخي والله لولا مخافة السببة عليك وعلى بني أبيك من بعدي وأن تظن قريش أنني إنما قلتها جزعا من الموت لقلتها لا أقولها إلا لأسرك بها. قال: فلما تقارب من أبي طالب الموت نظر العباس إليه يحرك شفثيه، فأصغى إليه بأذنه. قال: فقال: يا ابن أخي والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته أن يقولها قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لم أسمع. قال: وأنزل الله تعالى في أولئك الرهط: " ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ، بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ " ، وقد استدل بعض من ذهب من الشيعة وغيرهم من الغلاة، إلى أن أبا طالب مات مسلما بقول العباس هذا الحديث: يا ابن أخي! لقد قال الكلمة التي أمرته أن يقولها. يعني لا إله إلا الله.¹

والجواب عن هذا من وجوه أحدها، أن في السند مبهما لا يعرف حاله، وهو قوله: عن بعض أهله، وهذا إبهام في الاسم والحال ومثله يتوقف فيه لو انفرد، ثم قد عارض سياق ابن إسحاق ما هو أصح منه، وهو ما رواه البخاري رحمه الله قائلا: حدثنا محمود، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن ابن المسيب، عن أبيه، رضي الله عنه، «أن أبا طالب لما حضرته الوفاة، دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل، فقال: " أي عم، قل لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله ". فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، ترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزالا يكلمانه، حتى قال آخر شيء كلمهم به: على ملة عبد المطلب. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " لأستغفرن لك ما لم أنه عنك ". فنزلت " ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم " ونزلت: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } وهكذا قال عبد الله بن عباس، وابن عمر، ومجاهد، والشعبي، وقتادة: إنها نزلت في

¹ / ابن كثير، المصدر السابق، ج 4، ص 305، 307.

الفصل الثالث: نماذج تطبيقية في نقد العلماء للروايات الحديثية والتاريخية

أبي طالب حين عرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول: لا إله إلا الله فأبى أن يقولها وقال: هو على ملة الأشياخ وكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب¹.

نقد ابن كثير رواية ابن اسحاق بمقارنتها بما هو أصح منها وهي رواية البخاري وذلك تفرد به ابن كثير كمؤرخ، بعد تفصيله في المبهم² الذي روى قصة إسلام عبد المطلب وأنه لا يعتد به.

رد بن كثير الرواية بتعارضها مع الصحيح مما ورد في رواية البخاري، ثم تقوى بغيرها من الروايات التي أثبتت أن جد النبي صلى الله عليه وسلم لم يسلم كحديث مسلم عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أهون أهل النار عذاباً أبو طالب، منتعل بنعلين من نار يغلي منهما دماغه"³.

لا غرابة أن يستخدم ابن كثير هذا المقياس الأصيل الذي يتجلى في مراجعة الرواية في ضوء الروايات الأخرى في الموضوع نفسه، إذ إن لهذا المنهج أثراً في كشف مميزات المتن وعيوبه والإسناد، فالمقارنة بين الروايات سنداً وامتتاً وسيلة لسبر غور الرواية وتصنيفها بحسب ما يكتنفها من قوة أو ضعف ومن ثم إلbasها المسمى المناسب لحالها⁴.

4 - ما رواه عمرو بن حكام حدثنا شعبة، عن علي بن زيد، عن أبي المتوكل، عن أبي سعيد قال: أهدى ملك الروم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هدايا فكان فيها جرة زنجبيل فأطعم كل إنسان قطعة، وأطعمني قطعتين.

قال مسلم: هذا منكر من وجوه أحدهما أنه لا يعرف أن ملك الروم أهدى شيئاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم. وثانيهما أن هدية الزنجبيل من الروم إلى الحجار شئ ينكره العقل، فهو نظير هدية التمر من الروم إلى المدينة النبوية⁵.

¹ نفسه، ج4، ص308، 310.

² الحديث المبهم: هو الحديث الذي يوجد في سنده أو منته رجل أو امرأة لم يسمياً، بل عُبرَ عنهما بلفظ عام، وهو نوعان، إبهام في السند وهو ماسبق ذكره وإبهام في المتن وورد في عدة احاديث صحيحة مثل إن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم، وأن امرأة سألت النبي صلى الله عليه وسلم أنظر: السيوطي، تدریب الراوي، المصدر السابق، ج2، ص853.

³ رواه مسلم، رقم: 209. باب الإيمان.

⁴ محمد علي قاسم العمري، المرجع السابق، ص30.

⁵ شمس الدين الذهبي، ميزان الاعتدال، المصدر السابق، ج3، ص254.

الفصل الثالث: نماذج تطبيقية في نقد العلماء للروايات الحديثية والتاريخية

نقد الذهبي الرواية بلا رجوع لسند ولا رجال، فواقع الحال ينبئ بالخبر وكيف يهدي ملك الروم الزنجبيل للنبي صلى الله عليه وسلم ولم يثبت التهادي بينهما أصلاً، ثم كيف بالزنجبيل من الروم إلى الحجاز .

5 - ما ذكره الطبري في حوادث سنة أربعين : وحج بالناس في هذه السنة المغيرة بن شعبة حدثني موسى بن عبد الرحمن، قال: حدثنا عثمان بن عبد الرحمن الخزاعي أبو عبد الرحمن قال: أخبرنا إسماعيل بن راشد قال: لما حضر الموسم - يعني في العام الذي قتل فيه علي رضي الله عنه - كتب المغيرة بن شعبة كتاباً افتعله على لسان معاوية، فأقام للناس الحج سنة أربعين، ويقال: إنه عرف يوم التروية ونحر يوم عرفة خوفاً أن يفطن بمكانه¹.

فإنه بصرف النظر عن دراسة السند فإن النص من المخالفة الشرعية ما يبطله، وهي الزعم أنه عرف بالناس يوم التروية وهو اليوم الثامن وهذا العمل باطل شرعاً، فإن هذه العبادة مؤقتة زماناً ومحددة مكاناً والحج عرفة، ومن لم يقف بعرفة في اليوم التاسع وليلة العاشر فلا حج له².

ولقد رد ابن كثير على الطبري في هذه الرواية : وهذا الذي نقله ابن جرير لا يقبل، ولا يظن بالمغيرة رضي الله عنه ذلك، وإنما نبهنا على ذلك ليعلم أنه باطل والله أعلم، فإن الصحابة أجل قدراً من هذا ولكن هذه نزعة شيعية³.

6 - وحوادث سنة ثلاث وخمسين وفيها توفي زياد بن أبي سفيان في رمضان من هذه السنة مطعوناً وكان سبب ذلك أنه كتب إلى معاوية يقول له: إنني قد ضبطت لك العراق بشمالي، ويميني فارغة وهو يعرض له أن يستتبيه على بلاد الحجاز أيضاً، فلما بلغ أهل الحجاز ذلك جاءوا إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب، فشكوا إليه ذلك فقام ابن عمر فاستقبل القبلة فدعا على

¹ / الطبري، المصدر السابق، ج5، ص160 .

² / محمد صامل السلمي، منهج نقد الروايات التاريخية، دراسات منهجية، جامعة أم القرى، السعودية، ص28

³ / ابن كثير، المصدر السابق، ج11، ص133.

الفصل الثالث: نماذج تطبيقية في نقد العلماء للروايات الحديثية والتاريخية

زياد والناس يؤمنون، فطعن زياد بالعراق فمات فلما بلغ خبر موته عبد الله بن عمر قال: اذهب إليك يا ابن سمية، فلا الدنيا بقيت لك، ولا الآخرة أدركت¹.

فهذا الخبر مرسل لأن الراوي لم يدرك الحادثة ولا يعلم ممن تلقاه، وفي متن النص نكارة، وهي القول المنسوب لعبد الله بن عمر الصحابي الفقيه الورع بأن زيادا لم يدرك ثواب الآخرة، وهذا فيه تأل على الله سبحانه وتعالى ومجازفة لا تصدر من هذا الصحابي الجليل².

وهذا الأصل نرد به كل رواية فيها قدح في الصحابة رضي الله عنهم عموما وخصوصا فإن من المقرر عند علماء العقيدة: وجوب الإمساك عما شجر بني الصحابة والسلف الأولين، ولما حكم على الصحابة المكرمين بأنهم خير القرون أجمعين شرع في بيان ما يطلب منا في حقهم بقوله: أن لا يذكر أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بأحسن ذكر لخبر ثابت صحيح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا ذكر أصحابي فأمسكوا"³.

ومعناه أن لا يذكروا إلا بخير لأنه الواجب لهم لأن الله عظيمهم، وقال الرسول عليه الصلاة والسلام: " لا تؤذوني في أصحابي " وقال أيضا: " لا تسبوا أصحابي " وفي رواية: " من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا " أي لا فرضا ولا نفلا وقيل لا صدقة ولا قرية وقال أيوب السختياني: من أحب أبا بكر فقد أقام الدين، ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحب عثمان فقد استضاء بنور الله، ومن أحب عليا فقد استمسك بالعروة الوثقى، وغير ذلك والحاصل أنه يجب علينا احترامهم وتعظيمهم، ومن هنا قال القاضي: من سب غير الزوجات فقد أتى كبيرة ويؤدب وتعظيمهم، ومن هنا قال بن عياض: من سب غير الزوجات فقد أتى كبيرة ويؤدب حيث اشتمل سبه على قذف⁴.

¹ الطبري، المصدر السابق، ج11، صص260، 261.

² السلمي، منهج نقد الروايات، المرجع السابق، ص29.

³ الألباني، المرجع السابق، ج2، ص289.

⁴ أحمد بن غانم، الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، دار الفكر، 1415هـ-1995م، ج1، ص105.

الفصل الثالث: نماذج تطبيقية في نقد العلماء للروايات الحديثة والتاريخية

ولما ورد من النصوص الشرعية الدالة على هذا مثل قوله صلى الله عليه وسلم " إذا ذكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكر النجوم فأمسكوا ،وإذا ذكر القدر فأمسكوا " ¹. والمراد إذا تكروا بسوء، أما فضائلهم فإن نشرها والتحديث بها أمر مرغوب فيه ،و لنهيه أن يتخذها الصحابة غرضاً بعده ² يتبين مما ذكر من رد ابن كثير ونقده لروايات عند الطبري منهجه النقدي المبني على قواعد، ذكرنا إحداها في ووجوب الإمساك عما شجر بين الصحابة و الترضي عنهم أجمعين كقاعدة شرعية وجب تمرير الروايات عليها ،كأصل عقدي عند المسلمين ،ولا نغفل التعرّيج عن اتصال السند من دونه وثبوت المزامنة والسماع.

7 - ومن الأمثلة كذلك ما يذكره أبو الفرج الأصفهاني في كتابه الأغاني من أخبار الشاعر عمر بن أبي ربيعة في المجون واللهو ،ثم يضع من الوقائع والقصص ما يفسر ذلك الشعر، وما يذكره عن مجامع السهر ومواطن اللهو والشراب كما زعم في مكة والمدينة ،وأخطائه التاريخية العديدة ،وقد اعتمد عليه بعض الباحثين فقرروا آراء شاذة عن مجتمع الحجاز في القرن الأول ³ ومنها : أن عمر فرق بين منظور بن زيان وبين امرأة أبيه لما تزوجها وزعم أنه لم يعلم بالتحريم ،ثم تزوجت فرآها منظور يوماً وهي تمشي في الطريق، وكانت جميلة رائعة الحسن فقال: يا مليكة، لعن الله ديناً فرق بيني وبينك، فلم تكلمه وجاتزت وبلغ عمر رضي الله عنه الخبر فطلبه ليعاقبه، فهرب منه ⁴.

وروايته في الرشيد لما قتل زنديقين "إذ أخذ صالح بن عبد القدوس وعلي بن الخليل في الزندقة ⁵، بينما من قتله هو المهدي وحينها لم يكن عمر الرشيد يتعدى الخمس سنوات .

¹ /الألباني، السلسلة الصحيحة، حديث رقم : 34، ج1، ص42 .

² /رواه الترمذي :حديث رقم :3863، ويشهد لمعناه حديث جابر سمرة قال: خطبنا عمر بن الخطاب بالجابية ، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فينا مقامي فيكم فقال: احفظوني في أصحابي ثم الذين يلونهم ،ثم الذين يلونهم ،أنظر:الألباني :السلسلة الصحيحة، حديث رقم : 1116.ج3، ص109 .

³ /عبد الله خلف ، مجتمع الحجاز في العصر الأموي ،بين الآثار الأدبية والمصادر التاريخية ،رسالة دكتوراه جامعة الإمام - كلية اللغة العربية ،غ ،م ،ص28، نقلا عن : صامل السلمي ،نقد الروايات التاريخية، المرجع السابق ،ص 39 .

⁴ /أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني ،ط2، دار الكتب العلمية ،بيروت ،1412 هـ ،ج12، ص228 .

⁵ /الأصفهاني ،المصدر السابق ،ج14، ص174 .

الفصل الثالث: نماذج تطبيقية في نقد العلماء للروايات الحديثية والتاريخية

ومن ذلك أيضًا روايته عن الوليد بن عقبة أنه قال: " لما فتح رسول الله مكة جعل أهل مكة يأتونه بصبيانهم فيدعو لهم بالبركة ويمسح على رؤوسهم فجاء بي إليه وأنا مخلوق فلم يمسنني وما منعه إلا أن أمني خلقتني بخلوق فلم يمسنني من أجل الخلق" ¹ .

والغريب أن الوليد ابن عقبة أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقًا إلى بني المصطلق يجمع منهم الزكاة، فكيف يكون يوم فتح مكة صبيًا؟! قال ابن عبد البر: " الحديث منكر مضطرب لا يصح، ولا يمكن أن يكون من بعث مصدقًا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم صبيًا يوم الفتح" ² .

ذكر ابن الجوزي في المنتظم: "وكان يتشيع، ومثله لا يوثق بروايته، فإنه يصرح في كتبه بما يوجب عليه الفسق، ويهون شرب الخمر، وربما حكى ذلك عن نفسه، ومن تأمل كتاب «الأغاني» رأى كل قبيح ومنكر" ³ .

قال النوبختي: كان أبو الفرج الأصفهاني، أكذب الناس، كان يدخل سوق الوراقين وهي عامرة، والدكاكين مملوءة بالكتب فيشتري شيئًا كثيرًا من الصحف ويحملها إلى بيته ثم تكون رواياته كلها منها" ⁴ .

قال الذهبي وهو يتحدث عنه: " شيعي، وهذا نادر في أموي، كان إليه المنتهى في معرفة الأخبار وأيام الناس، والشعر، والغناء، والمحاضرات، يأتي بأعاجيب بحدثنا وأخبرنا" ⁵ .

إضافة إلى ذلك إغراق الرجل في الشعوبية الحاقدة الناقمة على كل ما هو عربي، الشعوبية التي تفيض من سطور الكتاب وتفوح رائحتها من بين حروفه وكلماته، وهي مما يجب رده فإن

¹ / نفسه، ج 5، ص 154 .

² / ابن عبد البر، الإستيعاب في معرفة الأصحاب، تح: علي محمد الجاوي، ط 1، دار الجيل، بيروت، 1412 هـ، 1992 م، ج 4، ص 1553 .

³ / ابن الجوزي محمد، المصدر السابق، ج 14، ص 185 .

⁴ / الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد وذيوله، تح: مصطفى عبد القادر عطا، ط 1، 1417 هـ، دار الكتب العلمية بيروت، ج 11، ص 398 .

⁵ / الذهبي، ميزان الاعتدال، المصدر السابق، ج 3، ص 123 .

الفصل الثالث: نماذج تطبيقية في نقد العلماء للروايات الحديثية والتاريخية

أحوال العصر لا تقبله، والأخبار التي يذكرها صاحب الأغاني تركز على الجانب الضعيف في حياة من يترجم لهم من الشعراء وأهل الأدب، وهو جانب اللهو والمرح وإشباع الشهوات ولم يذكر جوانب الأخلاق والشيم الرفيعة والاهتمامات العالية، ثم عممها الباحثون المعاصرون على جميع مجتمع الحجاز¹.

وهكذا فكل عصر له خصائص ومميزات سواء كانت إيجابية أم سلبية، فينبغي اعتبار أحوال العصر عند نقد الروايات والنصوص فإن من الوقائع التي يذكرها الأخباريون ما لا تحتمله أحوال العصر المروية عن تلك الأخبار، ومنه فيجب اعتبار أحوال العصر وقياس الرواية التاريخية على أحوال المخبر عنها كما سبق فالإنسان ابن بيئته وعصره، فإن المجتمع الذي يعيش فيه الإنسان له أثر عليه في سلوكه وأحواله.

ويؤخذ على مرويات الأصفهاني عموماً التشويه البالغ لأعلام الإسلام من خلفاء وعلماء وقادة، فنقل عنهم الأخبار الملققة والأقاصيص الكاذبة التي تصورهم على غير ما هم عليه، ولا يخفى على العاقل المنصف ما تخلفه هذه الأخبار في نفس قارئها من تشويه لأعلام ظنهم لبرهة من الزمن يتربعون على عروش العفاف ويتحلون بجلية الوقار، ولولا تلك المناهج النقدية وأصحابها لعانت مثل هذه الروايات تشويهاً وطمسا لتاريخنا الإسلامي ورجاله العظام.

وعصر الرسالة والخلافة الراشدة خصوصاً هو أزهى وأزكى عصور الإسلام تمسكاً بالأخلاق الفاضلة والآداب الشرعية، وقد بلغ بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الغاية في التربية على آداب الإسلام وتعاليمه فهذا العصر هو جيل الأسوة والقودة، والجليل المثالي في كل مناحي الحياة الإسلامية وكذا ما تلاه من العصور الفاضلة حيث بين رسول الله أن خير القرون قرنه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم².

¹ شوقي ضيف، الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية، دار الثقافة، بيروت، 1967 م، ص 68.
² محمد فؤاد بن عبد الباقي، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، ط2، دار الحديث، القاهرة، 1407 هـ، 1986 م ج3، ص 180.

الفصل الثالث: نماذج تطبيقية في نقد العلماء للروايات الحديثية والتاريخية

8 - ماروي في السيرة عن ابن اسحاق : حدثني عبد الله بن الفضل بن عباس بن ربيعة ابن الحارث عن سليمان بن يسار عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري قال: خرجت أنا وعبيد الله بن عدي بن الخيار أخو بني نوفل بن عبد مناف في زمان معاوية بن أبي سفيان، فأدربنا مع الناس فلما قفلنا مررنا بجمص، وكان وحشي مولى جبير بن مطعم قد سكنها وأقام بها، فلما قدمناها قال لي عبيد الله بن عدي: هل لك في أن تأتي وحشيا فنسأله عن قتل حمزة كيف قتله؟ قال قلت له: إن شئت، فخرجنا نسأل عنه بجمص فقال لنا رجل ونحن نسأل عنه: إنكما ستجدانه بفناء داره وهو رجل قد غلبت عليه الخمر، فإن تجداه صاحباً تجدا رجلاً عربياً وتجداه عنده بعض ما تريدان وتصيبا عنده ما شئتما من حديث تسألانه عنه، وإن تجداه وبه بعض ما يكون به فانصرفا عنه ودعاه، قال: فخرجنا نمشي حتى جئناه فإذا هو بفناء داره على طنفسة له فإذا شيخ كبير مثل البغاث (قال ابن هشام: البغاث ضرب من الطير يميل إلى السواد) فإذا هو صاح لا بأس به، قال: فجلسنا إليه فقلنا له: جئنا لتحدثنا عن قتلك حمزة كيف قتلته؟ فقال: أما إنني سأحدثكما كما حدثت رسول الله صلى الله عليه وسلم سألني عن ذلك، وقص قصة قتله حمزة خير الناس ثم قتله أبو مسيلمة عليه وسلم سألني عن ذلك، وقص قصة قتله حمزة خير الناس ثم قتله أبو مسيلمة الكذاب شر الناس¹.

هذه الرواية رجال إسنادها ثقات، وصرح ابن إسحاق بالسماع فهو حسن، لكن في متن الخبر نكارة وهي قصة الخمر، وكونه يجلس عند باب داره وهو سكران، فإن هذا إذا قسناه على أحوال المخبر عنه، وأحوال ذلك العصر، نجد أنه غير مقبول، فالمخبر عنه صحابي وإن كان قتل وهو مشرك - صحابيا جليلا وهو حمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء، ثم أسلم وحشي بن حرب وشارك في الجهاد في سبيل الله : وقتل أكذب خلق الله مسيلمة الكذاب، والإسلام يجب ما قبله².

¹ / ابن كثير الدمشقي، السيرة النبوية، تح: مصطفى عبد الواحد، ط1، دار المعرفة، 1421 هـ، 2000 م، ج3، ص34، 35.
² / صامل السلمي، نقد الروايات التاريخية، المرجع السابق، ص، 41، 42.

الفصل الثالث: نماذج تطبيقية في نقد العلماء للروايات الحديثية والتاريخية

ونحن نستخدم هذا المقياس في تعاملاتنا المتعددة ، فلو بلغنا خبر عن رجل معروف لدينا، وأحوال ذلك الرجل لا تحتمل وقوع مثل تلك الحادثة منه لأنكرنا ذلك، وتوقفنا في تصديق الخبر. وبخصوص هذه الرواية نجد أن أحوال العصر لا تحتملها ،لظهور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحدود ،وتطبيق الشريعة بكمالها من قبل الدولة والمجتمع معا¹ ، ثم وجدنا أن الإمام البخاري قد أخرج في صحيحه² هذه القصة من طريق عبد الله بن الفضل عن سليمان بن يسار عن جعفر بن أمية ،وهو الطريق الذي أخرج منه ابن إسحاق القصة ،ولم يذكر فيها هذه الألفاظ النكرة مما يدل على إقحامها، وربما تكون من ذلك الرجل المجهول الذي لم يسم³.

إن هذا أصل من الأصول التي يرجع لها المؤرخون عند ورود الروايات والنقول التي تضاد الصورة المعروفة الثابتة، فإذا لم يكن نقد الروايات والنصوص عن طريق دراسة السند أولم يكن للنقل سندا ،فإن الباحث يحاول الجمع بين الروايات بشرط أن لا يخالف الأصول ،فإذا تعذر الجمع فإن الأمر المعلوم الثابت لا يدفع بالأمر الموهوم واليقين لا يزول بالشك .

يفصل في ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية : "إن الأمر المعلوم من الكتاب والسنة والنقل المتواتر من محاسن الصحابة وفضائلهم لا يجوز أن يدفع بنقول بعضها منقطع، وبعضها محرف، وبعضها لا يقدر فيما علم، فإن اليقين لا يزول بالشك ، ونحن قد تيقنا ما دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف قبلنا وما يصدق ذلك من المنقولات المتواترة ،من أن الصحابة رضي الله عنهم أفضل الخلق بعد الأنبياء ، فلا يقدر في هذا أمور مشكوك فيها فكيف إذا علم بطلانها"⁴.

09 - مارواه المسعودي أن رجلا من أهل الكوفة دخل إلى دمشق على بعير له وذلك بعد منصرفهم من صفين ،فتعلق به رجل من أهل دمشق فقال هذه ناقتي أخذت مني بصفين ،فارتفع أمرهما إلى معاوية ،وأقام الدمشقي خمسين رجلا بينة يشهدون أنها ناقتة ،فقضى معاوية على

¹ نفسه ،ص 43 .

² رواه البخاري ،حديث رقم : 1720 ،باب قتل حمزة .

³ صامل السلمي ،المرجع السابق ،ص 44 .

⁴ عبد الحلیم ابن تيمية ،المصدر السابق ،ج 6 ،ص 305.

الفصل الثالث: نماذج تطبيقية في نقد العلماء للروايات الحديثية والتاريخية

الكوفي ،وأمره بتسليم البعير إليه ،فقال الكوفي أصلحك الله إنه جمل وليس بناقة ،فقال معاوية :هذا حكم قد مضى ثم دس للكوفي بعد تفرقهم فأحضره وسأله عن ثمن بعيره ،فدفع إليه ضعفه وبره وأحسن إليه وقال له أبلغ عليا أنني أقاتله بمائة ألف ما فيهم من يفرق بين الناقة والجمل¹ .
إن هذا الخبر لما قيس على أحوال المخبر عنه وأحوال عصره دلنا ذلك على كذبه ،فبغض النظر على ميول المسعودي الشيعية كما أقر أهل الجرح والتعديل وسقطاته التاريخية وخصوصا طعنه في بعض الصحابة ومنهم معاوية رضي الله عنه خال المؤمنين وكاتب وحي النبي صلى الله عليه وسلم ،فهو في نفس سياقه أورد رواية تاريخية عن معاوية رضي الله عنه لا يقبلها النقل ولا العقل ،وفحواها " أن معاوية بن أبي سفيان قد صلى بأهل الشام وهو في طريقه على صفيين الجمعة يوم الأربعاء"² .

وهذا لا شك في استحالة وقوعه من معاوية رضي الله عنه ،وقد ذكرت هذه القصة لأرد بها على رواية الجمل والناقة فمن كذب في هذه فتلك أيسر له ،إذ فيها تبديل للعبادات ولعب بالشعائر التي تقضي للاستهزاء والكفر .

وهل يتصور أن تقع من صحابي جليل قال النبي صلى الله عليه وسلم: " أول جيش من أمتي يغزون البحر،قد أوجبوا"³ ،وثبت أن أول جيش غزا مدينة قيصر بحرا كان في خلافة معاوية رضي الله عنه وأرضاه ،وكان أمير الجيش ابنه يزيد⁴ .

ثم كلنا يعلم أن للصلاة في الخوف و الحرب والسفر أحكام فلما يبتدع معاوية رضي الله عنه هذا وخاصة وهو يسير لحرب لا يدري سيرجع منها أم لا يرجع .

و إذا عدنا للرواية الأولى فسأحاول الرد عليها من عدة اوجه أولها :هل يساغ أن يشهد الدمشقي خمسين رجلا في ناقة أو بعير ،وعند أعلى رتبة في السلطة وفي ظرف كالظرف الذي

¹ /المسعودي ،المصدر السابق ،ج3 ،ص 41 .

² /نفسه ،ج03 ،ص 42 .

³ /رواه البخاري :حديث رقم : 2924 .

⁴ /شمس الدين الذهبي ،تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ،تح: عمر عبد السلام التدمري ،2ط ،دار الكتاب العربي ،بيروت ،1413 هـ ،1993 م ،ج1 ،ص395 .

الفصل الثالث: نماذج تطبيقية في نقد العلماء للروايات الحديثة والتاريخية

بعد صفين وما حدث بها من أحداث دامية بين خيرة الخلق بعد الأنبياء ،وثانيها : هل يساغ أن لا يعرف كل الشهود أجمل هو أم ناقة ؟ كما أن هذا رمي بشهادة الزور في الخمسين رجلا وقبوله طعن في حكم معاوية رضي الله عنه للدمشقي ،وطعن فيه رضي الله عنه بأن الحكم أمام الناس قضي ،وخلفهم حكم آخر للكوفي واسترضاء له دون أعين الناس دساسة ،أي أن ثالثها طعن مباشر في عدالة الصحابي الجليل بقبوله شهادة الزور ، ورابعها هل يقبل معاوية شهادة الزور ويتترك فاعلها بلا عقاب وقد شهد فيها خمسون رجلا وإقراره لكل لذلك ،وخامسها هل يصح أن يتهم معاوية مائة ألف من رجاله و جنوده ويعتابهم ويحبط معنوياتهم ثم يرسل لغريمه في الحرب ،بأن رجالي المائة ألف لا يفرقون بين الناقة والجمال وأنا شهدت بذلك .

10 - وما نقله المسعودي أيضا في حديث مدينة النحاس "وأنها مدينة كلّ بنائها نحاس بصحراء سجلماسة ظفر بها موسى بن نصير في غزوته إلى المغرب وأنها مغلقة الأبواب وأنّ الصّاعد إليها من أسوارها إذا أشرف على الحائط صَفَّقَ ورمى بنفسه فلا يرجع آخر الدهر"¹.

نقد ابن خلدون الرواية بقوله : "حديث مستحيل عادة من خرافات القصّاص وصحراء سجلماسة قد نفضها الرّكّاب و الأدلاء ولم يقفوا لهذه المدينة على خبر ، ثمّ إنّ هذه الأحوال التي ذكروا عنها كلّها مستحيل عادة مناف للأمر الطّبيعية في بناء المدن واختطاطها وأنّ المعادن غاية الموجود منها أن يصرف في الآنية والخرثي وأما تشييد مدينة منها فكما تراه من الاستحالة والبعد وأمثال ذلك كثيرة وتمحيصه إنّما هو بمعرفة طبائع العمران وهو أحسن الوجوه وأوثقها في تمحيص الأخبار وتمييز صدقها من كذبها وهو سابق على التّمحيص بتعديل الرّواة ولا يرجع إلى تعديل الرّواة حتّى يعلم أنّ ذلك الخبر في نفسه ممكن أو ممتنع وأمّا إذا كان مستحيلا فلا فائدة للنّظر في التّعديل والتّجريح ² .

¹ ابن خلدون ،المصدر السابق ،ج 1 ،ص 48 .
² نفسه ،ج 01 ،ص 49 .

الفصل الثالث: نماذج تطبيقية في نقد العلماء للروايات الحديثية والتاريخية

فالقانون في تمييز الحقّ من الباطل في الأخبار بالإمكان والاستحالة أن ننظر في الاجتماع البشريّ الذي هو العمران ونميّز ما يلحقه من الأحوال لذاته وبمقتضى طبعه وما يكون عارضا لا يعتدّ به وما لا يمكن أن يعرض له¹.

نتبين من نقد ابن خلدون لرواية المسعودي أنه لم يدرس سندا ولا متنا بل طبق قانون العمران البشريّ لديه، وهو كون الخبر يستحيل وقوعه من الناحية العقلية أبدا بل عده من القصص والخرافات التي دونت في كتب التاريخ، وأطلق عليه لفظ الإستحالة، والمستحيل لا يقع بأي حال مهما كانت الظروف والمسببات فيما يدور في الفكر البشري، ثم بين التجربة في ذلك، فهناك من بحث وكد في ذلك من الركاب و الأدلاء ولم يجد لها أثرا في صحراء سجماسة، ولا في غيرها من صحراء المغرب.

إن نقد الروايات التاريخية عند المؤرخين يتعدى السند والمتن، في عدة حالات وبغياب النصوص الأصلية لطول العهد أو لما ألم بها من خبايا الأزمان من تلف وضياع وسرقة وتصحيف وسقط وغيرها مما يشوب الرواية المكتوبة، لتطبيق الوسائل النقدية العلمية الأخرى من نوعية الحبر وأصل الخط ومادة الورق يلزم على الباحث العمل بقواعد لم نجدها عند المحدثين.

إذ من الطرق التي يعلم بها كذب المنقول أن يروي خلاف ما علم بالتواتر و الاستقاضة، فهل يختلف اثنان من أن مسيلمة الكذاب ادعى النبوة واتبعه طوائف كثيرة من بني حنيفة، وأن المعراج كان بمكة والصفة بالمدينة، وأن أهل الصفة من الصحابة وهي منزل ينزل بها من لا بيت له، فإذا روى الجاهل خلاف ذلك علم انه كذب² ومنه إذا رجع الناقد للروايات لأهل التخصص وسلك طريقهم كان كلامه بعلم وانتقى عنه الجهل، لكن تلزمه صفة أخرى وهي العدل وعدم إتباع الميل والهوى فيها يستقيم السلوك الإنساني ويكثر الصواب ويقل الخطأ.

¹ / نفسه، ج1، ص 50.

² / ابن تيمية، المصدر السابق، ج07، ص437.

ثالثا : نماذج من نقد علماء اللغة والفقهاء والأصول .

1 - نماذج من نقد علماء اللغة :

للعلوم الإنسانية دور كبير في اهتمام العلماء باللغة العربية، من حيث تدوينها وتلقيها والدفاع عن سلامتها، والمحافظة على نصوصها المأثورة شعرا ونثرا وقد أمعنوا في تاريخ هذه اللغة ما وسعهم الإمعان، وحاولوا أن يقفوا على أقدم آثارها قبل الإسلام، حتى رضوا بأن يكون منطلقهم هو عهد الجاهلية الأخيرة التي لا تتعدى على أكثر تقدير القرنين قبل البعثة النبوية، فصاروا يبحثون في تلك اللغة العربية الباقية، وهي التي ما زالت تستعمل عندنا اليوم، وفي مختلف بلاد العرب والمسلمين لغة أدب، وتاريخ، وكتابة، وهذا هو السر في أننا نقرأ دواوين الشعر الجاهلي باللغة نفسها التي نفهمها بالرجوع إلى المعاجم اللغوية، ونقرأ القرآن الكريم والحديث النبوي دون أن يفصل بيننا وبين هذه اللغة، ودون أن نستشعر حاجزا يمنعنا من فهم كتاب الله وحديث رسوله صلى الله عليه وسلم في امتداداتهما طوال قرون¹.

وباللغة نفسها ندرس الروايات التاريخية ونحللها ونستخلص العبرة والأسوة، ومنه فقد اعتمد علماء اللغة قواعد النحو والصرف والبلاغة في نقد بعض الروايات التي يشوبها الغموض من ناحية القواعد اللغوية الثابتة أو أسلوب النص وسياقه، فإن لكل عصر خصائص أسلوبية ومفردات لغوية يشيع استعمالها في كتابة الوثائق ودواوين الإدارة، وبذلك كانت سدا للحفاظ على الموروث الثقافي ومن هنا وقع الاهتمام الكبير باللغة خاصة عندما بدأت العجمة تغشو في المجتمعات الإسلامية نتيجة الفتوح، وما ترتب عنها من عوامل اختلاط العرب بغيرهم من ذوي اللغات الأخرى، بالإضافة إلى أن هناك في القرنين الأول والثاني الهجريين أسبابا أخرى فكرية وعنصرية، خشي معها علماء العربية أن تؤدي إلى التأثير في اللغة وإفساد أصالتها وطمس معالمها².

¹ عبد الحميد محيي الدين، مدى التأثير والتأثير بين المحدثين واللغويين، مقال في مجلة الدراسات الإسلامية وشؤون الثقافة والفكر، المغرب، العدد 318، ذو القعدة 1416/أبريل 1996م، ص 1.

² نفسه، ص 2.

الفصل الثالث: نماذج تطبيقية في نقد العلماء للروايات الحديثية والتاريخية

قال بن خلدون: "استمر فساد ملكة اللسان العربي بملايسة العجم، ومخالطتهم حتى تأدى الفساد إلى موضوعات الألفاظ، فاستعمل كثير من ألفاظ العرب عندهم ميلا مع هجنة المتعربين في اصطلاحاتهم المخالفة لصريح العربية، فاحتيج إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين خشية الدروس، وما ينشأ عنها من الجهل بالقرآن والحديث فشمّر كثير من أئمة اللسان لذلك وأملوا فيه الدواوين¹".

إن علم اللغة العربية كغيرها من علوم القرآن والحديث والتاريخ تعتمد على الرواية والنقل خصوصا و أن مدار كل الروايات اللفظ ومعناه ورسمه ،وسنحاول تقديم أمثلة منتقدة من هذه الروايات ومن هذه الأمثلة :

1 - ما ذكره القرطبي² عن ابن أبي مليكة قال: قدم أعرابي في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: من يقرئني مما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم؟ قال: فأقرأه رجل "براءة"، فقال: "إِنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولِهِ"، بالجر فقال الأعرابي: أوقد برئ الله من رسوله؟ فإن يكن الله برئ من رسوله فأنا أبرأ منه، فبلغ عمر مقالة الأعرابي: فدعاه فقال: يا أعرابي أتبرأ من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال يا أمير المؤمنين إني قدمت المدينة ولا علم لي بالقرآن، فسألت من يقرئني فأقرئني هذا سورة "براءة" فقال: "إِنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولِهِ"، فقلت أو قد برئ الله من رسوله ،إن يكن الله برئ من رسوله فأنا أبرأ منه ،فقال عمر: ليس هكذا يا أعرابي ،قال: فكيف هي يا أمير المؤمنين؟ قال " إِنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ" فقال الأعرابي: وأنا أبرأ مما برئ الله ورسوله منه، فأمر عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ألا يقرئ الناس إلا عالم باللغة، وأمر أبا الأسود فوضع النحو³.

¹ ابن خلدون ،المصدر السابق ،ص 756 .
² هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي، فقيه مالكي مفسر ومحدث، له تصانيف مفيدة، أشهرها: الجامع لأحكام القرآن أجاد فيه في بيان واستنباط الأحكام وإثبات القراءات والناسخ والمنسوخ والإعراب، وله شرح أسماء الله الحسنى والتذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة والتقصي، توفي سنة 671هـ. أنظر: ابن عماد الحنبلي ،المصدر السابق ،ج 5، ص 335.
³ محمد بن أحمد بن شمس الدين القرطبي ،الجامع لأحكام القرآن - تفسير الطبري ،تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ،ط 2 ، دار الكتب المصرية ،القاهرة ،1384هـ ،1964 م ،ج 1 ،ص 24 .

الفصل الثالث: نماذج تطبيقية في نقد العلماء للروايات الحديثية والتاريخية

ذكر القرطبي هذه الرواية في تفسيره، والمطلع عليها يعلم أن الأمر جل فاللحن يزحف للقرآن المنقول بالتواتر والقطعي الثبوت والزمن قريب في خلافة الفاروق وبالمدينة وعلى لسان سكانها من التابعين وغيرهم، وقد نقد الأعرابي الرواية وفضح اللحن الموجود في الآية بسليقته التي استتبتها من أصله وبأديته، فالأعراب قد اشتهروا بالأمية آنذاك، هذا بالقرآن المحفوظ بالصدور فما بالناس غيره من الروايات التاريخية التي تقادم عهدها وزمانها وهلك أغلب رواياتها.

أمر من هنا عمر رضي الله عنه أبا الأسود الدؤلي¹ بوضع النحو، وروي أن أبا الأسود هو الذي سمع اللحن في تلك الآية فقال: "ما ظننت أمر الناس آل إلى هذا"²، أو قال: "لا أظن يسعني إلا أن أضع شيئاً أصح به نحو هذا، أو كلاماً هذا معناه، فوضع النحو"³.

وبهذا يمكن القول: إن الخطوة الأولى في ظهور النقد العربي وكانت بمثابة رد فعل مباشر لتسرّب اللحن إلى العربية بعامة وإلى القرآن بخاصة، ومنه التسرب للمرويات الحديثية والتاريخية وقد كان الوسط العام في المدينة مفعماً بمقاومة اللحن في القرآن، وكانت صدور خاصة مهينة لظهور علم جديد يتصدى لزحف اللحن إلى النصّ القرآني، ولا بد أن يكون قد صاحب ذلك جهود تمثلت في تأمل اللغة، والنظر في مفرداتها وتراكيبها، فكانت تلك التأمّلات وما نتج عنها من ملحوظات لغوية في الصدر الأول من الإسلام هي النواة الأولى للنقد، ومما يؤكد ذلك أن جُلّ النُحاة القدماء كانوا من القراء والنقاد أو ممّن اشتغل بالدراسات القرآنية⁴.

لعل هذا المثال أقرب الأمثلة على منهج النقد اللغوي للروايات، إذ نقدها أعرابي سليم السليقة أصيل المنطق والمعنى، وبين الصحابة الكرام حول كتاب الله المعجز .

¹ هو أبو الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي البصري، ولد في الجاهلية وأسلم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وفي اسمه ونسبه ونسبته اختلاف كثير، كان من سادات التابعين وأعيانهم صحب علي بن أبي طالب رضي الله عنه وشهد معه موقعة صفين، وكان من أكمل الرجال رأياً وأسدهم عقلاً وكان معدوداً من الفقهاء والأعيان والشعراء والفرسان، وهو في أكثر الأقوال أول من نقط المصحف وله شعر جيد، وأشهره أبيات يقول فيها: لا تنه عن خلق وتأتي مثله توفي سنة 69 هـ. أنظر: يوسف بن عبد الرحمن المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تح: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1400هـ، 1980م، ج33، ص37.

² جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (المتوفى: 646هـ)، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1406 هـ، 1982م، ج1، ص40.

³ عبد الواحد بن علي الحلبي، أبو الطيب اللغوي، مراتب النحويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، 1430 هـ، ص26.

⁴ عبد الرزاق بن فراج الصاعدي، أصول علم العربية في المدينة، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة الثامنة والعشرون، العددان: 105-1417، 106هـ، 1418هـ/1987-1988م، ص10.

2 - نماذج من نقد علماء الفقه والأصول :

من المعلوم أن الفقهاء المجتهدين كلهم قد سبقوا المحدثين المصنّفين في الزمن فأولهم: أبو حنيفة وهو متوفى سنة 150هـ، ثم الإمام مالك وهو متوفى سنة 179 هـ، ثم الإمام الشافعي وهو متوفى سنة 204هـ، وآخرهم هو الإمام أحمد بن حنبل وهو متوفى سنة 241هـ، بينما أول المصنّفين من المحدثين من الأئمة الستة هو الإمام البخاري وهو متوفى سنة 256هـ، وآخرهم هو الإمام وهو متوفى سنة 303 هـ، وقد مات ثلاثة من الفقهاء قبل أن يولد " أو يطلب العلم " أول المحدثين¹.

وأن الفقهاء المجتهدين سبقوا حتى كبار المؤرخين المسلمين الأوائل كأبي حنيفة الدينوري المتوفى سنة 235هـ، وخليفة بن خياط المتوفى سنة 240هـ، وابن قتيبة المتوفى سنة 276هـ، والبلاذري المتوفى سنة 279هـ، واليعقوبي المتوفى سنة 284هـ، ومحمد بن جرير المتوفى سنة 310هـ، فلهم بذلك السبق في التعامل مع الروايات التي تحمل أحكاما شرعية من الحلال والحرام، وروايات من عمل الأولين من الصحابة، فعمل الصحابة مستند شرعي في إطلاق الأحكام على المعاملات والديات وغيرها، وهما هو الإمام مالك يقر أصلا من الأصول وهو عمل أهل المدينة، قبل الارتكاز على قواعد المحدثين وغيرهم من المؤرخون فلهم بهذا طريقتهم في التأكد من صحة الرواية وضعفها ولهم المعيار الشرعي في القبول والرد . وقد كان اعتماد الفقهاء في استنباط الفروع من الحديث على أسانيد لهم، وفعلوا ذلك قبل تعقيد كثير من قواعد الحديث وضمن ضوابط رسموها، لذا فقد يختلف حكم المحدث فيما بعد على حديث عن حكم الفقيه، لذا بادر كثير من المحدثين إلى تدوين ما يرونه أدلة للمذهب الفرعي الذي يميل إليه أو يعتنقه، لذا ذكر في هذه المصنّفات ما هو ضعيف عند المحدثين وإن كان الفقيه قد اعتمد ذلك لعوامل أخرى متعددة².

¹ خليل بن إبراهيم ملا خاطر، خطورة مساواة الحديث الضعيف بالموضوع، ط 1، دار القبة للثقافة الإسلامية، جدة، 1428هـ، 2007 م، ص 49.
² نفسه، ص 50.

الفصل الثالث: نماذج تطبيقية في نقد العلماء للروايات الحديثية والتاريخية

والمقصود أنّ المحدثين الذين صنّفوا دواوين السنّة إنما قصدوا جمع أدلّة الأحكام التي عمل بها أئمة المذاهب، فمنهم من صرح بذلك ومن اختار التصنيف على أبواب الفقه، والمؤرخون استنبطوا من المحدثين مناهجهم فهم تبع لذلك .

تميّزت نظرة الفقهاء النقدية إلى الأحاديث والروايات عن المحدثين والمؤرخين كثيرًا، حتى صارت طريقةً مستقلة بذاتها، ونتج عن ذلك أن اشتراط الفقهاء شروطًا لا تتفق في غالب الأحيان مع ما سطره علماء الحديث أو التاريخ، علمًا أن الفقهاء لم يتفقوا في الشروط التي وضعوها.

1 - ما نقده بن حزم الأندلسي: عن محمد بن المثنى حدثنا سهل بن يوسف قال حميد أنبأ عن الحسن قال: خطب ابن عباس في آخر رمضان على منبر البصرة فقال أخرجوا صدقة صومكم فكأن الناس لم يعلموا فقال من ههنا من أهل المدينة فقوموا إلى إخوانكم فعلموهم فإنهم لا يعلمون فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الصدقة، صاعا من تمر أو شعير أو نصف صاع من قمح على كل حر أو مملوك ذكر أو أنثى صغير أو كبير، فلما قدم علي رأى رخص الشعير قال: قد أوسع الله عليكم فلو جعلتموه صاعا من كل شيء¹.

نقد ابن حزم الظاهري هذه الرواية من عدة وجوه ومنها نقد فقهي لردّها وتبيين ضعفها " وهذه الرواية قبل كل شيء لا تصح لوجوه ظاهرة أولها أن الكذب والتوليد والوضع فيها ظاهرة كالشمس، لأنه لا خلاف بين أحد من أهل العلم بالأخبار أن يوم الجمل كان لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين، ثم أقام علي بالبصرة باقي جمادى الآخرة وخرج راجعا إلى الكوفة في صدر رجب وترك ابن عباس بالبصرة أميرا عليها، ولم يرجع علي بعدها إلى البصرة هذا ما لا خلاف فيه من أحد له علم بالأخبار، وفي الخبر المذكور ذكر تعليم ابن عباس أهل البصرة صدقة الفطر ثم قدم علي بعد ذلك وهذا هو الكذب البحت الذي لا خفاء فيه، ووجه ثان

¹ علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي لظاهري، الإحكام في أصول الأحكام، تح: أحمد محمد شاكر، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ج2، ص131.

الفصل الثالث: نماذج تطبيقية في نقد العلماء للروايات الحديثية والتاريخية

أن الحسن لم يسمع من ابن عباس أيام ولايته بالبصرة شيئاً ولا كان الحسن يومئذ بالبصرة وإنما كان بالمدينة، هذا ما لا خلاف فيه بين أحد من نقلة الرواية¹.

رد ابن حزم الرواية مطبقاً أولاً قول الثوري: لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ، فالمعلوم أن واقعة الجمل في العاشر من جمادى الثاني سنة ست وثلاثين من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم بإجماع أهل الأخبار كلهم، وأقام بعدها علي رضي الله عنه بالبصرة إلى بدايات رجب ورجع للكوفة ولم يعد للبصرة بعدها تاركاً عليها ابن عباس رضي الله عنهما فكيف عاد في رمضان، هذا أول أوجه الرد وثانيها أن الحسن رضي الله عنه لم يسمع من ابن عباس أيام ولايته بالبصرة شيئاً، وكيف يسمع منه والأخبار تدل على أنه كان بالمدينة أصلاً.

أتم الفقيه بن حزم أوجه رده للرواية: **ووجه ثالث** فإنه حديث مفتعل لا يصح لأن البصرة فتحها وبنائها سنة أربع عشرة من الهجرة عتبة بن غزوان المازني بدري مدني، ووليها بعده المغيرة بن شعبة وأبو موسى وعبد الله بن عامر وكلهم مدنيون أزيد من ثلاثمائة رجل، منهم عمران بن الحصين وأنس بن مالك وهشام بن عامر والحكم بن عمرو وغيرهم، وفتحت أيام عمر بن الخطاب وتداولها ولاته إلى أن وليها ابن عباس بعد صدر كبير من سنة ست وثلاثين من الهجرة، فلم يكن في هؤلاء كلهم من يخبرهم بزكاة الفطر بل ضيعوا ذلك وأهملوه واستخفوا به أو جهلوه مدة أزيد من اثنين وعشرين عاماً مدة خلافة عمر بن الخطاب وعثمان رضوان الله عليهم حتى وليهم ابن عباس بعد يوم الجمل أترى عمر وعثمان ضيعاً إعلام رعيتهما هذه الفريضة².

بين بن حزم في نقده للرواية من هذا الوجه ضرباً آخر من ضروب النقد والتي لا تعتمد على السند، بل رد المتن لشوائب عدة منها مخالفة الحقيقة التاريخية وغيرها كالطعن في كبار الصحابة وعمالهم و اتهامهم بالإهمال والتفريط في نشر شرع الله عز وجل والعمل بأحكامه، فالبصرة فتحت منذ اثنين وعشرين عاماً، وتعاقت عليها خلافة الفاروق وعمر وذو النورين عثمان، ولم يبلغوا صدقة الفطر وضاع صيام أولئك طول هذه المدة بتضييعهم صدقة الفطر.

¹ نفسه، ج2، ص 132.

² ابن حزم الظاهري، المصدر السابق، ج2، ص133.

الفصل الثالث: نماذج تطبيقية في نقد العلماء للروايات الحديثية والتاريخية

ثم أكمل أوجه النقد والرد لهذه الرواية بطرح الأسئلة التي تكون إجاباتها نقدا مباشرا للخبر أو الرواية وهذا ظرب من اوجه النقد عند المؤرخين وابن حزم فقيه صاحب المذهب الظاهري المشهور ،منافحا عن الصحابة الكرام ممن رضي الله عنهم ورضوا عنه ،رادا شوائب الرواية بالحجة والدليل نقلا وعقلا وتاريخا وفقها .

والوجه الرابع أترى أهل البصرة لم يحجوا أيام عمر وعثمان ولا دخلوا المدينة فغابت عنهم زكاة الفطر إلى بعد يوم الجمل ،إن هذا لهو الضلال المبين والكذب المفترى ونسبة البلاء إلى الصحابة رضوان الله عليهم أن هذا الخبر ما يدخل تصحيحه في عقل سليم¹ .

تبين هنا من واقع الحال كيف لأهل البصرة أن يعرضوا عن الحج أو العمرة طيلة أيام عمر وعثمان ،مضيعين ركنا من أركان الإسلام ولم يخالط أحدهم طلبة العلم والمشايخ على كثرتهم من محدثين وفقهاء و مفسرين يتعلمون منهم أمر دينهم ولا سافروا المدينة النبوية و لا خالطوا أهلها بتجارة أو معاملات فهذا مردود مرجوح.

أتم ابن حزم نقده :لو صح وهو لا يصح لكان حجة على المالكيين لأنه خلاف مذهبهم في صدقة الفطر لأنهم يرون أنه لا يجزي فيها من البر إلا صاع فعاد حجة عليهم ولا أضل ممن يحتج بما لا يصح نعوذ بالله من الخذلان وإنما يصح².

وهنا جاء النقد بالاعتماد على قواعد الفقهاء ،وأصولهم المستنبطة من الأدلة الشرعية ،فالرواية التي ردها ابن حزم في مقدار المخرج من زكاة الفطر ونوعه عند بعض المالكية مستشهادين بقول علي رضي الله عنه في ذلك :فلما قدم علي رأى رخص الشعير قال: قد أوسع الله عليكم فلو جعلتموه صاعا من كل شيء .

ككيف يصح ودليل مذهبهم صاع عن كل فرد من جميع الأجناس المخرج منها مما يعد قوتا عملا بحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال : 'كنا نخرج - إذ كان فينا رسول الله

^{1/} بن حزم الظاهري ،المصدر السابق ، ج2 ،ص134
^{2/} نفسه ، ج2 ،ص135

الفصل الثالث: نماذج تطبيقية في نقد العلماء للروايات الحديثية والتاريخية

صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر عن كل صغير وكبير حر أو مملوك، صاعاً من طعام، أو صاعاً من أقط¹، حر أو مملوك، أو صاعاً من شعير أو صاعاً من تمر، أو صاعاً من زبيب، فلم نزل نخرجه حتى قدم علينا معاوية بن أبي سفيان حاجاً أو معتمراً، فكلم الناس على المنبر، فكان فيما كلم به الناس أن قال: إني أرى أن مدين من سمراء الشام تعدل صاعاً من تمر².

كما رد الحديث لعله عدم صحته مستعينا بضرب آخر من ضروب النقد وهي مخالفة الصحيح ووجود لفظ آخر في رواية أخرى تثبت خلط الراوي ومجانبته للصواب: هذا الحديث بخلاف اللفظ المذكور، كما حدثنا عبد الله بن ربيع حدثنا محمد بن معاوية ثنا أحمد بن شعيب ثنا قتيبة بن سعيد ثنا حماد هو ابن زيد عن أيوب السختياني عن أبي رجاء هو العطاردي قال سمعت ابن عباس يخطب على منبركم يعني منبر البصرة يقول صدقة الفطر صاع من طعام وقد موه بعضهم بأن قال إن أهل المدينة هم شهدوا آخر عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم³.

فالصحابة رضي الله عنهم كانوا كلهم مدنيين طول مدة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدة أبي بكر، وإنما سكنوا الشام والبصرة والكوفة في صدر خلافة عمر رضوان الله عليه فما بعد ذلك لأن الشام ومصر كانت بأيدي الروم والعراق حيث بنيت الكوفة والبصرة كانت بأيدي الفرس ولم يفتح شيء من كل ذلك، ولا سكنه مسلم إلا بعد صدر إمارة عمر هذا أمر لا يجهله من له أقل نصيب من العلم، وكل من كان بالعراق والشام ومصر من الصحابة فلم يفارقوا سكنى المدينة طوال حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينفرد قط برسول الله من بقي منهم بالمدينة دون من سكن بعد موته عليه السلام العراق أو الشام أو مصر⁴.

اشتهر ابن حزم الظاهري بتنوع المعرفة وكثرة التدوين، فهو الفقيه والأصولي، والأديب والفيلسوف والمؤرخ والسياسي، وفي كل فن من هذه الفنون التي أتقنها، التزم منها دقيقا في

¹ الأقط: لبن مجفف يابس مستحجر يطبخ به. أنظر: ابن الأثير، المصدر السابق، ج1، ص57.

² رواه أبو داود، السنن، المصدر السابق، باب من روي نصف صاع من قمح في الزكاة، حديث رقم: 1620.

³ ابن حزم الظاهري، المصدر السابق، ج2، ص136.

⁴ نفسه، ج2، ص137.

الفصل الثالث: نماذج تطبيقية في نقد العلماء للروايات الحديثية والتاريخية

تحرير نصّه، أو إيراد خبره، أو بناء معرفته وكان نقد الخبر من أدوات المنهجية الأساسية حيث المعرفة عنده مبنية على الخبر عن الله، وهو الوحي المنزّل قرآناً، أو عن الرسول صلّى الله عليه وسلّم وهو المجموع سنّة، أو عن اجتماع الناس وهو المروي تاريخاً¹.

تبين لنا مما سبق أن الفقهاء قد أدلو بدلوهم وعدو بخيلهم في مضمار نقد الروايات التاريخية و الحديثية معتمدين على أسس لهم سايرت قواعد المحدثين أحياناً واختلفت عنها أخرى وذلك بحسب فهم النصوص والآثار وطريقة العمل بها، ولا يخفى عنا تعدد المذاهب إثر اختلاف الآراء وتباعد المواطن وتدخل الأمراء أحياناً متأثرين ببطانة السوء تلك، بالرغم من انهم نهلوا من مشكاة بعض فكل منهما تلميذ الآخر أو شيخه، إلا ابن حزم كان أشدهم نقداً للروايات الحديثية والتاريخية وأدقهم تمحيصاً لما يأتي من غيره .

¹ / طاهر بن علي، منهج نقد الخبر في فكر ابن حزم الظاهري، مجلة الواحات للبحوث و الدراسات، جامعة غرداية، العدد 19، 2013، ص01 .



الختامة

من خلال هذه الدراسة يمكننا استخلاص النتائج التالية :

✓ علم الحديث بشقيه رواية ودراية أصل من العلوم الشرعية الذي اختصت به الأمة الإسلامية ، إذ يهتم بدراسة كل ما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم من أفعال وأقوال وتقرير قبل البعثة أو بعدها من جهة ، ويبحث في مصادر الأحاديث وأسانيدھا وشروحيھا ومصنفاتها ، دون غيرها من المرويات التاريخية .

✓ الأثر ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وما جاء عن غيره، والرواية إخبار هنا وهناك فلا ضير في تسمية الحديث خبرا والخبر حديثا ، ومن نفس الزاوية وجدنا أن الأثر لفظ مرادف للخبر والسنة والحديث ، فلا مسوغ لتخصيص الأثر بما أضيف للسلف من الصحابة والتابعين وكلها مصطلحات تناولها المحدثون في مضمارهم .

✓ علم التاريخ فن شامل لما جمع في ثناياه أغلب أحوال الإنسان والأمم والدول وما توالى عليها من خطوب و نزاعات ، وكيف مرت عبر العقبات الحضارية والتطورات العمرانية مثبتة بزمام ومعلمة بخطام وهو الوقت أو التاريخ والحيز أو المكان .

✓ الرواية التاريخية هي ما بلغنا من أخبار ومعلومات مؤرخة عن حوادث ووقائع مضت عن أحوال الأمم والدول والفرق ، إذ هي بذلك اللغة التي خاطب بها التاريخ مؤرخيه والصورة القرب التي استقاها ناقلوها عن الواقع الغابر ، بغية تأملها ودراستها وفحص مختلف أوجه النشاط البشري فيما مضى من العصور ، بقصد رصد أسباب الظواهر التاريخية المختلفة ومحاولة كشف جوانب العلاقة السببية في طيات هذه الأحداث وكشف اللثام عن بداياتها ومعرفة أصولها .

✓ كما أن الرواية التاريخية هي ذلك الوعاء العلمي المنهجي الذي تربطه قواعد وأسس بين المؤرخين ويحمل في طياته وقائع بشرية وهي بذلك أداة رابطة بين الماضي والحاضر أو الغلاف الثقافي الرابط بين ماضينا وحاضرنا .

✓ مناهج المحدثين هي الطرق التي بذلت خدمة للحديث واشتملت بذلك العناية بالراوي وأصوله العلمية من ضبط وسماع وحفظ ، وقواعده الخلقية من عدالة وصدق في النقل

الختامة

والإسناد وتثبت ومسئولية ، وما تعلق بمتن الحديث من ألفاظ وأسلوب ومقصد ، و لكل منها قواعد ومفاهيم وتفصيل وجب التفرد به وتبينه فعليها مدار القبول والرد .

✓ مناهج المؤرخين هي مجمل القواعد والشروط التي يجب مراعاتها عند معالجة أي حدث تاريخي ،سواء بالكتابة والتأليف أم بالدراسة والتعليم ،وهذه الشروط تتناول الكاتب ذاته ،كما تتناول المصادر التي تستمد منها المادة وكما أنها تعنى بالغاية والهدف من الدراسة التاريخية ،و بالأسلوب والمصطلحات .

✓ هناك علاقة علمية منهجية وطيدة بين علم الحديث و علم التاريخ يتداخل العلمان في العديد من المناهج والأصول ويشترك كلاهما في الكثير من القواعد والدلالات ،وأن من نافلة القول أن نذكر أن من أشد العلاقات بين العلوم توطدا علاقة التاريخ بالحديث ،ومن الثابت والمعروف عند الباحثين وجود علاقة تأثير وتأثر بين العلمين فعلماء الحديث أول من نظم نقد الروايات التاريخية ،إذ أن الرواية والسند والمتن مدار مشترك بينهما وأساس لقيام المناهج النقدية فيهما .

✓ لدراسة مناهج المحدثين فوائد جمة وعديدة ومنها أن هذه المناهج مفخرة من مفاخر هذه الأمة من ناحية السبق أولا ،ومن جهة الشمولية والموضوعية ودقة النتائج ثانيا وهذا ماشهد به أهل الإنصاف حتى من المستشرقين وغيرهم كما تقضي إلى معرفة شروط الأئمة أصحاب المصنفات على اختلاف أحكامهم ،وبذلك تمييز المتشدد من المتساهل ومعرفة طرق تحملهم للرواية سماعا أو عرضا أو إجازة أو وجادة والإطلاع على الأدوار التي مر بها المنقول منذ عصر النبي صلى الله عليه وسلم إلى الآن .

✓ كما أن لدراسة مناهج المحدثين يكشف منحي التصنيف عندهم ،ويرفع اللبس عن طريقة ظهور كتب الطبقات والسير والمغازي ،كما تساعد في تحقيق المخطوطات الحديثية والتاريخية .

✓ ومن فائدة دراستها أيضا دفع التوهم للقدح في بعض الأئمة وخاصة البخاري ومسلما شيخي أهل الحديث ،إذ أن الطعن وقع من جهال بهذه المناهج والقواعد فضلا عن

الخاتمة

ضعف بعض النفوس ومنه درأ أغراض أعداء الإسلام والحديث التي تستغل جهل المثقف المسلم بل جهل كثير من طلبة العلم وحملته بمناهج المحدثين وشروطهم ومقاصدهم الدقيقة في كتبهم .

✓ إن دراسة هذه المناهج تساعد على تنمية التفكير العلمي والمنهجي لدى الدارس، وتكسبه مهارة في البحث تيمنا بهذه المناهج الرصينة ووفق أسس علمية مدروسة ودقيقة .

✓ أما بالنسبة لدراسة مناهج المؤرخين فلذلك فوائد جمة وعديدة ومنها الكشف عن الحقائق التاريخية وإظهارها والقول بالحق فيها بموضوعية وحيادية ،وفق أسس متفق عليها ،ومفاهيم مشتركة عند أغلب المؤرخين وعرض الوقائع التاريخية كما وقعت دون تضخيم أو تشنيع ،فعبورها تتضح ملاسبات الحوادث التي صاحبة ذلك أو أدت إليه .

✓ كما أن إتباع هذه المناهج في الدراسة يحصل به العبرة والتوجيه وتتحقق به الثمرة من دراسة التاريخ ،وهي تقويم سلوك الإنسان بما يوافق الحق وأخذ العبرة والدرس لبناء المستقبل وهي بذلك باب من أهم الأبواب للوقوف على الحقائق التي لا تأتي إلا بشدة البحث وكثرة المطالعة لجميع الآراء والأقوال والتفتيش في كل الحجج والبراهين فتتجاوز الأهواء والضمائر ، والنحل والمذاهب وترسوا على شاطئ الحقيقة التاريخية أو قريبها .

✓ كما تكمن أهمية دراسة هذه المناهج في ضبط المفاهيم والأحكام والتفسيرات ،بمعيار موحد ممنهج يدحر الاختلاف ويبعث على التوافق والتفاهم ،كما تورث هذه المناهج للباحث جدية في العمل وصفاء في الفكر واهتماما بالكليات والأصول مبتعدا عن الإغراق في الجزئيات ،التي تستغرق جهدا ووقتا في مداهنات قد لا تعود بفائدة تذكر .

✓ إن هذه المناهج تجبر كسر الباحث والمؤرخ وتقوم تكوينه الفكري ،وتساير عوامله الوراثية ،ظروفه العاطفية والشخصية أو القومية والدينية وتبعده عن أي نوع من أنواع الانحراف الفكري لا شعوريا جرائها ،وتحميه عن أي شذوذ منهجي عن مسار الحقل العلمي المعرفي .

الختامة

- ✓ أدى ضعف ملكة الحفظ في الناس وطول الأسانيد وتشعبها بسبب بعد العهد وكثرة حملة الحديث فكثرت الأحاديث ودخلتها القوادح والعلل الظاهرة والخفية، وكثرة الفرق المنحرفة عن جادة الصواب وعن المنهج الذي عليه الصحابة والتابعون، كالمعتزلة والجبرية والخوارج وغيرهم، فنهض أئمة الإسلام لمواجهة هذه الضرورات ووضعوا لكل طارئ ما يسد الثُّلْمَةَ التي حصلت، فكان التدوين الرسمي للسنة الذي قام به عمر بن عبد العزيز .
- ✓ كما توسع العلماء في نقد الرجال لكثرة شيوع الضعف من جهة ضعف الحفظ ومن جهة انتشار الأهواء والبدع، فافتقر جماعة من الأئمة لنقد الرجال واشتهروا به ومن هنا كانت بوادر ظهور هذا المنهج الطيب في الذب عن الحديث وهو المنهج النقدي .
- ✓ إن تلك العلوم والضوابط التي وجدت حتى عصرهم كانت محفوظة في صدور الرجال لم يدون شيء منها في كتاب، إلا ما كان من الشافعي الذي جمع فصولاً وأبحاثاً متفرقة لها أهميتها في كتابه الرسالة، فتكلم في الحديث الذي يحتج به وشرط فيه شروط الصحيح، وتكلم في شرط حفظ الراوي والرواية بالمعنى والمدلس وقبول حديثه .
- ✓ ويمكن تعريف النَّقْد عند المحدثين بأنه تمييز الأحاديث الصحيحة من السقيمة والحكم على رواتها تجريحا وتعديلا بالألفاظ مخصوصة ودلائل معلومة، وتوضيح ذلك: أن تمييز الأحاديث الصحيحة من السقيمة، يكون بدراسة السند والمتن، وإصدار الحكم على الحديث بالقبول أو الرد، وهذا يفرض بنا إلى نوعين من مناهج النقد عند المحدثين.
- ✓ منهج الجرح والتعديل والمراد به بيان أحوال الرواة من حيث قبول رواياتهم أو ردها بألفاظ مخصوصة دقيقة الصياغة محددة الدلالة ومرتببة الألفاظ، وبأسماء الرواة وأنسابهم وأعمارهم، وتواريخ ولادتهم ووفياتهم وسماعهم من شيوخهم، ومنهج علل الحديث وهو من أدق علوم الحديث وأغمضها، فمن طريقه يمكن معرفة الأوهام الواقعة في أحاديث الثقات التي ظاهرها الصحة وكشف ما في المتن من الخفايا والعلل.
- ✓ وبذلك يتبين لنا أن السمات العلمية للمنهج النقدي عند المحدثين كانت تتسم بالشمول والدقة خاصة فيما يتعلق بالراوي وشروط نقده وضبطت بقواعد ثابتة أجمع عليها

الختامة

المحدثون ،منها العدالة والضبط ثم وضعوا العلوم التي تكشف أحوال الرواة فبحثوا في أسمائهم وفي تواريخهم وأماكنهم ومما يتصل بهذه الأصول من المسائل ،في ثلاثين نوعاً من أنواع علوم الحديث لها فروعها ومسائلها وتصانيفها الكثيرة التي تتناول جزئياتها بالنسبة لكل راو جزئية جزئية ، ثم اهتم هؤلاء بالمتن كمكون ثان للرواية الحديثية ،وخضع للبحث والتفتيش والتتبع بقصد التأكد من صحة النسبة للنبي صلى الله عليه وسلم وبالتالي تصدى لهذا الغرض أهل الخبرة و جهابذة السنة .

✓ إن إهمال نقد الأسانيد في الرواية التاريخية الإسلامية والاكتفاء بنقد المتن يوقعنا في حيرة أمام الروايات الكثيرة المتعارضة عندما تكون متونها جميعاً متفقة مع المقاييس والقواعد النقدية العقلية ،وهذا يحدث مع كثير من تفاصيل الأحداث التاريخية وخاصة المتعلقة بتاريخ صدر الإسلام ،إن ذلك يحتم على الباحث استعمال منهج المحدثين في نقد الأسانيد وإلا فإنه سيقف أمام العديد من المشاكل دون حل أو ترجيح .

✓ لقد ارتكز العديد من مؤرخي التاريخ الإسلامي على مسaire منهج المحدثين في كتاباتهم ومنهجهم في نقد الرواية الحديثية ،معولين على نقد سند ومتن الرواية التاريخية كما هو دأب المحدثين في روايتهم ،وذلك بمعالجة أغلب الروايات الضخمة التي دونت في السير والتراجم خصوصاً ،كما اعتنوا بدراسة طرق جمع هذه الروايات وكيفية تصنيفها .

✓ لقد أنتج الاحتكاك المنهجي بين المحدثين والمؤرخين إلى ظهور معال عديدة مست الكتابة التاريخية فيما يخص التصنيف وظهور الإسناد وظهر جليا في كتب التراجم والطبقات كما صرح غير واحد منهم في مصنفه ،ولم يقتصر على ذلك فقط بل أثر في طريقة كتابة تواريخ العالم والتواريخ العامة الأخرى خاصة في بدايات القرن السادس هجري ،وبلغ التأثير حتى كتب الأسماء و الكنى والألقاب والأنساب والتواريخ المحلية وتواريخ المدن إذ أن أصحاب هذه المصنفات تتلمذوا أساساً على يد المحدثين .

✓ إن تطبيق أصول وقواعد المحدثين على المرويات التاريخية أمر صعب جداً إذ قد يلغي أهم روايات تاريخ الإسلامي ويردها لعل سبق ذكرها ،وخاصة منهج الجرح والتعديل

الخاتمة

الذي تميز به خواص علماء الحديث، والذي وضع لحماية السنة والحديث أساسا ومنه وجب أن لا نلغي دور أولئك الجهابذ ونرمي قواعدهم ونتركها للحديث فقط بل نأخذ منها الذي يسهل تطبيقه على مرويات تاريخ الإسلام بمرونة وحذر كما فعل العلماء المؤرخون في السيرة النبوية والخلافة الراشدة وأعادوا بذلك صياغتها على تلك المناهج، وأن نركز على الروايات التي تحمل قواعد عقديّة وأصولا إيمانية كي لا ينفلت عقد الولاء والحب للصحابة والتابعين وغيرهم من العلماء والمربين .

✓ وفي الأخير إن وجود المؤرخ المسلم الجامع بين علم الحديث والتاريخ، والملم بأغلب قواعد العلوم قبل الخوض في كلياتها أو جزئياتها، والواعي لما يجري من حوله يعد صمام أمان لحماية تراث الأمة من تسلل قلم عدوها إلى الوثائق التي تعبر في كثير من الأحيان عن إرادة هذه الأمة وتعكس صورة هويتها .

1 - قائمة المصادر :

القران الكريم .

الحديث النبوي.

1 - ابن الأثير مجد الدين (ت630هـ) ،الكامل في التاريخ ،تح : أبي الفدى القاضي ، ط1، دار الكتب العلمية ،بيروت، 1987 م.

2- (-،-) ، جامع الأصول في أحاديث الرسول ،تح : عبد القادر الأرنبوط ، ط01 مكتبة الحلواني ، 1389 هـ / 1969م.

3- (-،-) ،النهاية في غريب الحديث والأثر، تح: طاهر أحمد الزاوي ،المكتبة العلمية ،بيروت ،1399هـ /1979م .

4- أحمد بن محمد ابن حنبل (ت: 241هـ) ،مسند الإمام أحمد ،تح : شعيب الأرنبوط وآخرون ،ط01 ، مؤسسة الرسالة ، 1421 هـ / 2001 م .

5- أحمد بن غانم (1129هـ)،الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني ،دار الفكر،1415هـ./1995م.

6- الأصبهاني أبو نعيم موسى بن مهران (ت: 430هـ) ،الضعفاء ،تح :فاروق حمادة ،ط01 ،دار الثقافة ،الدار البيضاء ، 1405 هـ / 1984 م.

7- الأصفهاني أبو الفرج علي بن حسين(356)، الأغاني ،ط2 ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1412 هـ.

8- البستي حمد بن محمد بن إبراهيم (388هـ)، معالم السنن شرح سنن أبي داود ،ط1 ، المطبعة العلمية، 1351 هـ / 1932م .

9- ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت: 578 هـ)، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس ، ط02 ،مكتبة الخانجي ،1374 هـ / 1955 م.

10- البَلَّاذُري أحمد بن يحيى (ت 279هـ)، فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1988.

11- البيهقي أحمد بن الحسين أبو بكر (458)، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تح: عبد المعطي قلجعي، ط01، دار الكتب العلمية، بيروت، 1405 هـ.

12- الترمذي محمد بن عيسى بن أبو عيسى، الجامع الكبير، سنن الترمذي، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998 م.

13- ابن تغري بردي يوسف (ت 874هـ)، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تح: محمد بن محمد أمين الهيئة المصرية العامة للكتاب.

14- ابن تيمية تقي الدين (ت 728هـ)، منهاج السنة النبوية، تح: محمد رشاد سالم، ط1، جامعة الإمام محمد بن سعود، السعودية، 1406هـ/1986 م.

15- الجرجاني أبو أحمد بن عدي (ت: 365هـ)، الكامل في ضعفاء الرجال، عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون، ط01 دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ./1997م.

16- ابن الجوزي أبو الفرج جمال الدين ابن محمد (ت: 597هـ)، الضعفاء والمتروكون، تح: عبد الله القاضي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1406 هـ.

17- (-،-)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تح: محمد عبد القادر عطا، ط01، دار الكتب العلمية، بيروت، 1412 هـ / 1992 م.

18- (-،-)، الموضوعات، تح: عبد الرحمان محمد عثمان، ط01، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، 1386 هـ / 1966 م.

19- ابن حجر العسقلاني (856هـ)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تح: محب الدين الخطيب، دار المعرفة بيروت، 1379 هـ.

20- ابن أبي حاتم أبو محمد عبد الرحمن الرازي، (المتوفى: 327هـ)، الجرح والتعديل، تح: المعلمي اليماني، ط01، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1271 هـ/ 1952.

- 21- (-،-) ،تقريب التهذيب ،تح :محمد عوامة ،ط01 ،دار الرشيد ،سوريا ،1406 هـ / 1986 م .
- 22- (-،-) ،الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ،تح :محمد عبد المعيد ضان ، ط 02 ،مجلس دائرة المعارف العثمانية - صيدر اباد، الهند ، 1392هـ / 1972م .
- 23- (-،-) ،الإصابة في معرفة الصحابة ،تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض ،ط01 دار الكتب العلمية ،بيروت ،1415 هـ .
- 24- (-،-) ،سير أعلام النبلاء ،دار الحديث ، القاهرة ، 1427هـ-2006م .
- 25- (-،-) ،نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر ،تح :عبد اللطيف بن ضيف الله الرحيلي ،مطبعة سفير ،ط1 ،الرياض ،1422 هـ .
- 26- ابن حزم أبو محمد علي الأندلسي الظاهري (ت: 456هـ) ،الفصل في الملل والأهواء والنحل ،مكتبة الخانجي القاهرة ،1317 هـ .
- 27- (-،-) ،الإحكام في أصول الأحكام ،تح :أحمد محمد شاكر ،دار الآفاق الجديدة ،بيروت .
- 28- الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد (ت463 هـ) ،تقييد العلم ،تح : يوسف العث ،دار إحياء السنة النبوية . ط02 ، 1974 م .
- 29- (-،-) ،الكفاية في علم الرواية ،تح :أبو عبد الله السورقي وإبراهيم حمدي المدني المكتبة العلمية بالمدينة المنورة .
- 30- (-،-) ،تاريخ بغداد ،تح :بشار عواد معروف ،ط01،دارالغرب الإسلامي ،بيروت ، 1422 هـ / 2002 م .
- 31- (-،-) ،تاريخ بغداد وذيوله ،تح : مصطفى عبد القادر عطا ،ط1 ،دار الكتب العلمية بيروت،1417 هـ .

- 32- (-،-) ،الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ،تح : محمود الطحان ، مكتبة المعارف ، الرياض.
- 33- ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد بن محمد (ت: 808هـ) ،تاريخ ابن خلدون :ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ،تح : خليل شحادة ،ط2 ،دار الفكر العربي ،بيروت ،1408 هـ / 1988 م .
- 34- ابن خلكان (ت681هـ) ،وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح :إحسان عباس ،دار صادر،بيروت، 1398هـ/1978 م .
- 35- خليفة بن خياط أبو عمرو بن خليفة (ت: 240هـ) ،تاريخ خليفة بن خياط ،تح :أكرم ضياء العمري ،ط02 ، مؤسسة الرسالة ، 1397 هـ.
- 36- الدارقطني علي بن عمر (ت385هـ) ،الضعفاء والمتروكين ، تح: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، ط1 ،مكتبة المعارف ،الرياض ،1404هـ/1984 م .
- 37- الذهبي أبو عبد الله شمس الدين بن قايمار (ت: 748هـ) ،ترجمة الإمام مسلم ورجال صحيحه ،تح: أبو يحيى عبد الله الكندري ،ط01 ،دار ابن حزم ،بيروت، 1416هـ، 1996م .
- 38- (-،-) ،تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ،تح :عمر عبد السلام التدمري ،ط2 ،دار الكتاب العربي، بيروت ، 1413 هـ ، 1993م .
- 39- (-،-) ،سير أعلام النبلاء ،تح شعيب الأرنؤوط ،مؤسسة الرسالة ،بيروت ،1982م .
- 40- (-،-) ،ميزان الاعتدال في نقد الرجال ،تح:علي محمد البجاوي ،دار المعرفة بيروت.
- 41- الرازي عبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم (ت: 327هـ) الجرح والتعديل، ط01، دار إحياء التراث العربي ،بيروت ، 1271 هـ / 1952 م .

- 42- الزركشي أبو عبد الله بدر الدين بهادر (المتوفى: 794هـ)، المنثور في القواعد الفقهية، ط02، وزارة الأوقاف الكويتية، 1405هـ/1985م .
- 43- السبكي تاج الدين ابن تقي الدين (ت771هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، تح: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، ط02، دار هجر، 1413هـ .
- 44- السخاوي شمس الدين عبد الرحمن (ت: 902هـ)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار مكتبة الحياة، بيروت.
- 45- (-،-)، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت 1407هـ/1986م.
- 46- (-،-)، الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، تح: إبراهيم باجس عبد المجيد، ط01، دار ابن حزم، بيروت، 1419هـ/1999م .
- 47- (-،-)، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت 1399هـ/1979م.
- 48- ابن سعد أبو عبد الله محمد البغدادي (ت: 230هـ)، الطبقات الكبرى، ط2، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1408هـ.
- 49- (-،-)، الطبقات الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا، ط01، دار الكتب العلمية، بيروت، 1410هـ/1990م .
- 50- ابن السكيت يعقوب ابن إسحاق (ت: 244هـ)، إصلاح المنطق، تح: محمد مرعب، ط01، دار إحياء التراث العربي، 1423هـ/2002م .
- 51- السلمي محمد ابن الحسين أبو عبد الرحمان (ت: 412هـ)، طبقات الصوفية، تح: مصطفى عبد القادر عطا، ط01، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ/1998م.
- 52- السيوطي عبد الرحمن بن كمال أبي بكر (المتوفى: 911هـ)، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تح: أبو قتيبة نظر محمد الفارابي، دار طيبة .

- 53- (-،-) ،طبقات الحفاظ ، ط01 ،دار الكتب العلمية ، بيروت ،1403 هـ .
- 54- (-،-) ،الشماریخ فی علم التاریخ ، تح : عبد الرحمن حسن محمود ،مكتبة الآداب، القاهرة ، 1411 هـ .
- 55- أبو شامة عبد الرحمان بن إسماعيل ،(ت: 665هـ) ،الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ،تح: إبراهيم الزبيق ،ط01 ،مؤسسة الرسالة ،بيروت ، 1997 م .
- 56- الشوكاني محمد بن عبد الله، نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار ،تح : عصام الدين الصبابي ،ط01 ،دار الحديث ،مصر ، 1413 هـ ، 1993م .
- 57- الصفدي صلاح الدين خليل (ت: 764هـ) ، الوافي بالوفيات ، ط1 ، دار إحياء التراث العربي ، تح: أحمد الأرنبوط وتزكي مصطفى ، بيروت، 1420 هـ / 2000 .
- 58- الصنعاني محمد بن إسماعيل بن صلاح (ت: 1182هـ) ،توضیح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار ،تح: صلاح بن محمد بن عويضة ،ط01 ،دار الكتب العلمية ،بيروت ، 1417 هـ ، 1997م .
- 59- الطبري محمد بن جرير (ت: 310 هـ) ، تاريخ الرسل والملوك ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط2 ، دار المعارف ، مصر ، 1387 هـ / 1387 م .
- 60- أبو الطيب اللغوي عبد الواحد بن علي الحلبي، (ت: 351هـ) ،مراتب النحويين ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ،المكتبة العصرية ، 1430 هـ .
- 61- ابن عبد البر محمد يوسف بن عبد الله بن عاصم، (ت: 463هـ) ، جامع بيان العلم وفضله، تح: أبي الأشبال الزهيري، ط01 ،دار ابن الجوزي ،السعودية، 1414هـ/ 1994م .
- 62- (-،-) ،الإستيعاب في معرفة الأصحاب ،تح :علي محمد البجاوي ،ط1 ،دارالجيل ،بيروت ، 1412 هـ، 1992 م .

- 63- (-،-) ،التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ،تح: مصطفى بن أحمد العلوي ،محمد عبد الكبير البكري ،وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية ،المغرب ،1387 هـ .
- 64- ابن عساكر علي بن الحسن المعروف (ت:571هـ) ،تاريخ دمشق ،تح : عمرو بن غرامة العمروي ، 1415 هـ / 1995 م .
- 65- ابن الطقطقي محمد بن علي بن طباطبا (ت: 709هـ) ، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية تح :عبد القادر محمد مايو ،ط01 ،دار القلم العربي ، بيروت ، 1418 هـ / 1997 م .
- 66- العقيلي أبو جعفر المكي (ت: 322هـ) ،الضعفاء الكبير ،تح :عبد المعطي أمين قلعجي ،ط01 ،دار المكتبة العلمية بيروت ،1404هـ/1984م.
- 67- ابن العماد أبو الفلاح الحنبلي (ت:1089هـ) ،شذرات الذهب في أخبار من ذهب ،تح: عبد القادر الآرنؤوط ، ط1، دار ابن كثير ،دمشق ،141 هـ /1996 م .
- 68- العيذروس محي الدين عبد القادر (ت: 1038هـ) ،النور السافر عن أخبار القرن العاشر ،ط01،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1405 هـ ،
- 69- الغزي نجم الدين محمد بن محمد (ت: 1061هـ) ،الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ،تح :خليل منصور ،ط01، دار الكتب العلمية بيروت ، 1418 هـ /1997م.
- 70- أبو القاسم يوسف بن محمد الهمذاني (ت: 468هـ) ،المهرونيات الفوائد المنتخبة الصحاح والغرائب ،تح سعود بن عيد الجربوعي ،ط1 ،المدينة المنورة ، 2002.
- 71- القاضي عياض بن موسى بن عياض (ت: 544هـ) ،الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع ،تح : السيد أحمد صقر ،ط01 ،المكتبة العتيقة، تونس ،1379 هـ / 1970م.

- 72- القرطبي محمد بن أحمد بن شمس الدين (ت:671هـ) ،الجامع لأحكام القرآن - تفسير الطبري ،تح:أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، دار الكتب المصرية ،القاهرة ،1384هـ ،1964م .
- 73- القزويني أبو يحيى زكرياء بن محمد (ت:682هـ) ،الإرشاد في معرفة علماء الحديث ،تح:محمد سعيد وعمر إدريس ،ط1 ،دار الرشد ،الرياض ،1409 هـ .
- 74- القفطي جمال الدين أبو الحسن (المتوفى: 646هـ) ،إنباه الرواة على أنباه النحاة ،تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ،ط1 ،دار الفكر العربي ، القاهرة ،1406 هـ ، 1982م .
- 75- ابن القيم الجوزية (ت: 751 هـ) ،المنار المنيف في الصحيح والضعيف ،تح: عبد الفتاح أبو غدة ،ط1،مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب ، 1390هـ ، 1970م
- 76- ابن كثير إسماعيل أبي الفدى الدمشقي،(ت:774هـ)،البداية والنهاية، تح: عبد الله التركي ط1، دار هجر، مصر، 1417هـ/1997م .
- 77- (-،-)،السيرة النبوية ، تح :مصطفى عبد الواحد ،ط1 ،دار المعرفة، 1421هـ ،2000م.
- 78- (-،-) ،البداية والنهاية ،تح :عبد الله بن عبد المحسن التركي ،دار هجر، 1424هـ،2003م.
- 79- (-،-) ،الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ،تح: أحمد شاکر ،ناصر الدين الألباني،ط01 مكتبة المعارف ،الرياض ،1417 هـ /1996م .
- 80- الكرمانى شمس الدين محمد بن يوسف بن علي(المتوفى: 646هـ) ،الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري ،ط02 ،دار إحياء التراث العربي ،بيروت 1401هـ .
- 81- ابن المبرد جمال الدين أبو المحاسن: (ت: 909 هـ) ،الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقى، تح:رضوان مختار،ط01 ،دار المجتمع ،السعودية ،1411 هـ / 1991م .

- 82- المزي يوسف بن عبد الرحمان: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تح: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1400هـ، 1980 م.
- 83- المسعودي أبي الحسن بن علي (ت346هـ) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ،تح : كمال حسن مرعي ، ط1 ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1425 هـ / 2005 م .
- 84- المقرئ تقي الدين أحمد (ت845هـ) ،المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار: الخطط المقرئية ،ط2 ، مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ، 1987 م .
- 85- ابن مسكويه أحمد بن يعقوب (المتوفى: 421هـ) ،تجارب الأمم وتعاقب الهمم ،تح : أبو القاسم إمامي ،ط02 ، دار سروش ، طهران ، 2000 .
- 86- الملطي أبي الحسين محمد بن أحمد (ت:377هـ) ،التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ،المعهد الألماني للأبحاث الشرقية ،بيروت ،1430 هـ /2009 م .
- 87- ابن النديم محمد ابن إسحاق(ت: 380 هـ) ،الفهرست ،دار المعرفة ،بيروت .
- 88- النسائي أبو عبد الرحمان أحمد (ت: 303هـ) ،الضعفاء والمتروكون، تح :محمود إبراهيم زايد ،ط01 ،دار الوعي ،حلب ،1396 هـ .
- 89- النووي أبو زكرياء يحي بن شرف الدين الحزامي (ت: 676هـ) ،الإيجاز في شرح سنن أبي داود ،ط1 ،الدار الأثرية ،عمان الأردن ،1428 هـ ،2007 م .
- 90- (-،-) ،شرح النووي على صحيح مسلم ،دار إحياء التراث العربي ،ط2 ،بيروت ،1392 هـ .
- 91- (-،-) ،المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ،ط02 ،دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،1392 هـ .
- 92- أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت: 395هـ) ،الأوائل ، ط1 ،دار البشير ،طنطا ، 1408 هـ .

2 - قائمة المراجع:

- 1- إبراهيم ابن محمد صديق ،نقد المتن بين براعة المُحدِّثين وعبثِ الحداثيين ط1، دار طيبة ،1441 هـ / 2017 .
- 2- إبراهيم أمين الجاف الشهرزوري ،مناهج المحدثين في نقد الروايات التاريخية للقرن الهجرية الثلاثة الأولى ،دار القلم ،الإمارات العربية المتحدة 2014 .
- 3- إبراهيم بيضون ،مسائل المنهج في الكتابة التاريخية العربية ، ط1،دار المؤرخ العربي ،بيروت ،1996 .
- 4- إبراهيم صادق ،المحققون العرب ،دار الحكمة ،الدار البيضاء ،2011م .
- 5- أبو جميل الحسن العلمي ،إعادة كتابة التاريخ الإسلامي في ضوء منهج الجرح والتعديل ،معهد المغرب الإسلامي ،1427 هـ ،2006 م .
- 6- أحمد بن عبد الرحمان الصويان ،جهود الأئمة في حفظ السنة ،ط15 ،دار البيان .
- 7- أحمد بن عبد الله بن العجلي ،تاريخ الثقات ،ط01،دار الباز ،1405هـ/1984م ،ص 15 .
- 8- أحمد صبحي منصور ،بدأ التدوين التاريخي ومراحله الزمنية، دار الفكر العربي ،بيروت ،2005 .
- 9- أحمد محرم الشيخ ناجي ،الضوء اللامع المبين عن مناهج المحدثين، ط05، دار المسلم ،الرياض .
- 10- أرشيد يوسف أبو أرشيد، علم التاريخ عند المسلمين، النشأة والتطور، ط2، دار المغرب الإسلامي .
- 11- أسد رستم ،مصطلح التاريخ ، ط 1 ، المكتبة العصرية، بيروت ، 1423 هـ / 2002م .

- 12- أكرم ضياء العمري ،بحوث في تاريخ السنة النبوية المشرفة ،ط5 ،مكتبة العلوم والحكم ،المدينة المنورة.
- 13- (-،-) ،بحوث في تاريخ السنة النبوية المشرفة، ط04 ،دار بساط،بيروت.
- 14- (-،-) ،السيرة النبوية الصحيحة: محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية ، ط6 ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، 1415هـ/1994م.
- 15- أنيس زكريا ،الدولة الأموية في الشام ،ط01 ، دار السلام ، بغداد ،1927.
- 16- بشار عواد معروف، أثر الحديث في نشأة التأريخ عند المسلمين، مجلة الأعلام الأدبية العراقية، محرم 1386هـ / مارس 1964م .
- 17- جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي ،مطابع دار الهلال ،1958.
- 18- جمال عبد الهادي ووفاء محمد رفعت ، منهج كتابة التاريخ الإسلامي لماذا ، وكيف ؟ ط3 ، دار الوفاء ، القاهرة ،1414هـ/1994م.
- 19- حسن عثمان، منهج البحث التاريخي، دار المعارف بمصر، ط2، 1965م.
- 20- حسنين محمد ربيع، محاضرات في علم التاريخ ، ط01 ،دار النهضة العربية ،القاهرة 1983.
- 21- حسين مؤنس، التاريخ والمؤرخون، دار المعارف، القاهرة، 1984.
- 22- خليل بن إبراهيم ملا خاطر ، خطورة مساواة الحديث الضعيف بالموضوع، ط1، دار القبلة للثقافة الإسلامية ،جدة ،1428هـ، 2007م
- 23- خير الدين الزركلي، الأعلام ، ط15، دار العلم للملايين، بيروت ، 2002.
- 24- رفعت فوزي عبد المطلب، توثيق السنة في القرن الثاني الهجري أسسه واتجاهاته ،ط1، مكتبة الخانجي بالقاهرة ،1400هـ/1981م.
- 25- رفعت فوزي عبد المطلب، مناهج المحدثين الأسس والتطبيق، ط1، دار السلام ،القاهرة ،1429هـ .

- 26- زكرية أحمد غلفان زكري، المنهج العلمي للصحابة في رواية الحديث ، ط01 ، دار الداعي، الرياض 1427 هـ .
- 27- شهاب الدين أبو العباس السلاوي، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ،تح : جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب ،الدار البيضاء .
- 28- شوقي ضيف، الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية، دار الثقافة ،بيروت ،1967 م.
- 29- صائب عبد الحميد، علم التاريخ ومناهج المؤرخين، ط02، مركز الغدير ،بيروت ،1429 هـ، 2008 م.
- 30- صبحي الصالح، علوم الحديث ومصطلحه عرض ودراسة، ط15 دار العلم للملايين ،بيروت ، 1984.
- 31- صلاح الدين ابن أحمد الإدلبي ،منهج نقد المتن عند علماء الحديث النبوي ،ط01 ،دار الفتح للدراسات والنشر ،القاهرة 2013.
- 32- طاهر بن صالح ابن أحمد الجزائري، توجيه النظر إلى أصول الأثر ،تح : عبد الفتاح أبو غدة ،مكتبة المطبوعات الإسلامية ، ط01 ،حلب ،1416هـ /1995م.
- 33- عادل غنيم و جمال حجر، منهج البحث التاريخي، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ،1998.
- 34- عبد الحليم عويس ،ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث الحديثي والحضاري ،ط02، دار الزهراء للإعلام العربي ،1409 هـ /1988 م.
- 35- عبد الرحمان السلمي، المنهج النقدي عند المحدثين وعلاقته بالمناهج النقدية التاريخية، دراسة تأصيلية في الموازنة بين حتمية الاختلاف وضرورة الاجتماع ط01، مركز نماء للبحوث والدراسات، المدينة النبوية، 1435 هـ.

- 36- عبد الرحمن الشيخ ، المدخل إلى علم التاريخ ، ط2 ، دار المريخ للنشر ، الرياض ، 1994 م.
- 37- عبد الرزاق بن همام ، المصنف في الأحاديث والآثار ، تح: عبد الخالق الأفغاني ، ط2 ، الدار السلفية ، الهند ، 1399هـ/1979م.
- 38- عبد العزيز الدوري ، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام ، ط2 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2007م.
- 39- عبد العزيز الدوري ، نشأة علم التاريخ عند العرب ، مركز زايد للتراث والتاريخ ، 1420هـ/2000 م.
- 40- عبد العزيز سالم ، مناهج البحث في التاريخ الإسلامي والآثار الإسلامية ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ط2 ، 2011.
- 41- عبد العليم خضر ، المسلمون وكتابة التاريخ ، دراسة في التأصيل الإسلامي لعلم التاريخ ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، 1990 م.
- 42- عبد العليم خضر ، المسلمون وكتابة التاريخ ، ط ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، الرياض ، 1995.
- 43- عبد الله بن ضيف الله الرحيلي ، حوار حول منهج المحدثين في نقد الروايات سندا وامتنا ، ط1 ، دار المسلم ، الرياض ، 1414هـ/1994.
- 44- عبد الملك بن بكر قاضي ، الموسوعة الحديثية الشاملة بين الواقع والمأمول ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف ، المدينة النبوية.
- 45- عبد الوهاب عبد اللطيف ، المختصر في علم رجال الأثر ، المكتبة الحديثية ، 1966م.
- 46- على عبد الباسط مزيد ، منهاج المحدثين في القرن الأول الهجري وحتى عصرنا الحاضر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- 47- علي نايف بقاعي، مناهج المحدثين العامة والخاصة (الصناعة الحديثية) ط2، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1430هـ / 2009.
- 48- غوستاف لوبون، حضارة العرب، تر: عادل زعيتر، ط04، البابي الحلبي، 1384 هـ.
- 49- فاروق حمادة، المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل، ط01، دار المعارف، الرياض، 1982م.
- 50- فتحي عثمان، أضواء على التاريخ الإسلامي، دار العروبة، 1956.
- 51- فرانز روزنثال، علم التاريخ عند المسلمين، تر: صالح أحمد العلي، ط02، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983م.
- 52- م. ت. هوتسما وآخرون، دائرة المعارف الإسلامية، تح: إبراهيم زكي خورشيد وآخرون، تر: نخبة من الأساتذة المصريين، ط01 مركز الشارقة للإبداع الفكري، أبو ظبي 1418 هـ - 1998 م.
- 53- محمد أبو زهرة، الحديث والمحدثون، ط1، دار الفكر العربي، 1974.
- 54- محمد أبو شهبة، الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، دار الفكر العربي، بيروت.
- 55- (-،-) ، الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، دار المعرفة، جدة.
- 56- (-،-) ، السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، دار القلم، دمشق.
- 57- محمد الخضر بن سيد الشنقيطي، كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج1، 1415 هـ - 1995 م.
- 58- محمد بن صامل السلمي، منهج كتابة التاريخ الإسلامي وتدريبه، ط01، دار الوفاء للنشر، المنصورة، 1408 هـ / 1988 م.

ببليوغرافيا المصادر والمراجع

- 59- (-،-) ،منهج نقد الروايات التاريخية ،دراسات منهجية، جامعة أم القرى ،السعودية .
- 60- (-،-) ، منهج كتابة التاريخ الإسلامي ، ط1، دار الوفاء ،القاهرة ، 1408هـ/1988.
- 61- محمد خضر الشقيري ،ملخص علوم الحديث ومصطلحه ،دار الهداية ،عمان.
- 62- محمد خلف سلامة، لسان المحدثين، ط1، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.
- 63- محمد صديق خان البخاري القنّوجي ، التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول ،ط01، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1428 هـ ، 2007 م.
- 64- محمد عبد الله عنان، مؤرخو مصر الإسلامية ومصادر التاريخ المصري، مكتبة الأسرة مع الهيئة العامة للكتاب ،مصر 1999.
- 65- محمد عجاج الخطيب، أصول الحديث، علومه ومصطلحه، ط02 ،دار الفكر ، 1971 م.
- 66- محمد فؤاد بن عبد الباقي، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، ط2 ،دار الحديث ،القاهرة ،1407هـ / 1986 م .
- 67- محمد محمود أحمد بكار، بلوغ الآمال من مصطلح الحديث والرجال، ط01 ،دار الطباعة المحمدية، 5 140 هـ / 1985 م.
- 68- محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته -الفتح الكبير- ، ط3، دار المكتب الإسلامي ،بيروت ، 1408 هـ / 1988.
- 69- محمد أبو يسر العابدين ،أغاليط المؤرخين ،ط01 ،مكتبة الغزالي ،دمشق ، 139 هـ ، 1972 م.

- 70- محمود شاکر، التاريخ الإسلامي، ط8، المكتب الإسلامي، بيروت، 1461 هـ/2000.
- 71- محمود محمد الطنّاحي، مقالات الطنّاحي "صفحات في التراث والتراجم واللغة والأدب"، ط1، دار البشائر الإسلامية بيروت، 1422 هـ.
- 72- مصطفى شاکر، التاريخ العربي والمؤرخون: دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام، ط3، دار العلم للملايين، بيروت، 1983 م.
- 73- مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، مطبعة الاستقامة، ط01، القاهرة، 1953 م.
- 74- مصطفى وهبه، موجز تاريخ الحروب الصليبية، ط01، مكتبة الإيمان، المنصورة 1997 م.
- 75- مؤنس عوض وآخرون، الصفات التي يجب توفرها في المؤرخ، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة عين شمس، مصر.
- 76- ناصر الدين سعيدوني، أساسيات منهجية التاريخ، دار القصة، الجزائر، 2000.
- 77- نور الدين عتر، مناهج المحدثين العامة في الرواية والتصنيف، ط01، دار طيبة الدمشقية، دمشق، 1429 هـ/2007.
- 78- هاملتون جب، علم التاريخ، كتب دائرة المعارف الإسلامية، تر: ابراهيم زكي خورشيد وآخرون، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ط01، 1418 هـ/1998.
- 79- ياسر أحمد نور، مصادر السيرة النبوية بين المحدثين والمؤرخين، أمانة جائزة نايف ابن عبد العزيز آل سعود للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة، الدورة الثالثة، ط01، 1428 هـ/2007.

3 - الرسائل الجامعية:

- 1- حسن فوزي حسن الصعيدي، المنهج النقدي عند المتقدمين من المحدثين وأثر تباين المنهج، رسالة ماجستير في الدراسات الإسلامية، كلية التربية، جامعة عين شمس، القاهرة 2001 .

4 - المقالات:

- 1- إبراهيم بن صالح الحميدان، اتجاهات الكتابة والتصنيف في السيرة النبوية ودراساتها الدعوية، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد 40، شوال 1423هـ.
- 2- أحمد عباس مهنا العيسوي، قاعدة الإثبات مقدم على النفي وتطبيقاتها الفقهية، مجلة الجامعة العراقية، العدد 28، المجلد 1، صفر 1435هـ.
- 3- أنس سليمان المصري، معالم منهج المحدثين في التعامل مع الرواية التاريخية، مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، العدد 2، 2014.
- 4- أنور محمود زناتي، تصورات حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي، مجلة البيان للدراسات التاريخية، العدد 347، 2016.
- 5- إيمان محمود، الفرق بين المؤرخ والباحث، مجلة المرسال، العدد 2، مج 1، جوان 2015 م.
- 6- بشار عواد معروف، أثر الحديث في نشأة التأريخ عند المسلمين، مجلة الأعلام الأدبية العراقية، محرم 1386هـ / مارس 1964.
- 7- جواد علي، موارد تاريخ الطبري، مجلة المجمع العلمي العراقي، العدد 01، ج 1، العراق 1396هـ.

- 8- حديد مختار، النقد التاريخي عند المؤرخ ابن كثير من خلال كتابه البداية والنهاية، مجلة قضايا تاريخية، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، العدد 9، رمضان 1439 هـ، جوان 2008.
- 9- رجائي عطية، الفرق بين المؤرخ والكاتب عن التاريخ، المجلة المصرية الأهرام، العدد 1، مج 2، فيفري 2017 م.
- 10- سهيل حسن عبد الغفار، علوم الحديث وأثرها في علم التاريخ، دراسة مقارنة، مجلة جامعة الشارقة، المجلد 11، العدد 02، ديسمبر 2016.
- 11- طاهر بن علي، منهج نقد الخبر في فكر ابن حزم الظاهري، مجلة الواحات للبحوث و الدراسات، جامعة غرداية، العدد 19، 2013.
- 12- عبد الحميد محيي الدين، مدى التأثير والتأثير بين المحدثين واللغويين، مقال في مجلة الدراسات الإسلامية وشؤون الثقافة والفكر، المغرب، العدد 318، ذو القعدة 1416/أبريل 1996 م.
- 13- عبد الرزاق بن فراج الصاعدي، أصول علم العربية في المدينة، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة الثامنة والعشرون، العددان: 105-1417، 106 هـ، 1418 هـ/1987-1988 م.
- 14- عبد العزيز بن صغير دخان، روايات تاريخ الصحابة في ميزان الجرح والتعديل، عدد 04، هيئة تفعيل التاريخ والتراث الوطني. أبوظبي، 2002 م.
- 15- عبد الله خلف الحمد، الإسناد وأهميته في نقد مرويات التاريخ الإسلامي، مجلة البحوث والدراسات الإسلامية، العدد 28، ديسمبر 2012، العراق 2012.
- 16- عدنان أحمد أبو شبكية، منهج نقد الوثيقة الرسمية المدونة، وإمكانية التطبيق على الرواية في التاريخ الشفوي، جامعة الأقصى، العدد 03، سبتمبر 2016.
- 17- عماد عبد السلام رؤوف، من هو المؤرخ، مقال في مجلة الألوكة، العدد 1، جوان 2015 م.

- 18- فاطمة يحي زكريا الربيدي، استخدام منهج المحدثين في حركة التدوين التاريخي، الطبري في كتابه تاريخ الأمم والملوك أنموذجا، مجلة كان التاريخية، العدد 25، دار ناشري للنشر الإلكتروني، 2014.
- 19- محمد عيساوي، إسهامات الحافظ ابن كثير في النقد التاريخي من خلال كتابه البداية والنهاية، السيرة النبوية أنموذجا، مجلة جامعة محمد بوضياف، المسيلة.
- 20- منصور محمد أحمد يوسف، قواعد نقد المتن عند المحدثين، والرد على دعاوى إهمالهم نقد المتن، مجلة التراث النبوي، العدد 05 محرم 1441 هـ، سبتمبر 2019.
- 21- نور الدين محمد عتر الحلبي، الإمام البخاري وفقه التراجم في جامعه الصحيح، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد 4، الكويت، 1406 هـ / 1985م.

5 - المعاجم والقواميس:

- 1- أحمد رضا، معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة)، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1377 هـ / 1958 م.
- 2- أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1، 1429 هـ / 2008 م.
- 3- أيوب بن موسى أبو البقاء الحنفي (ت: 1094 هـ)، الكليات في معجم المصطلحات والفروق اللغوية، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- 4- جلال الدين السيوطي (ت: 911 هـ)، المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، تح: فؤاد علي منصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418 هـ، 1998 م.
- 5- حسن عز الدين بن أحمد الجمل، مخطوطة الجمل - معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2003.
- 6- زين الدين أبو عبد الله محمد الرازي (ت: 666 هـ)، مختار الصحاح، تح: يوسف الشيخ محمد، الدار النموذجية ط5، بيروت، 1420 هـ / 1999 م.
- 7- صلاح الدين المنجد، معجم ما ألف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1402 هـ، 1982 م.
- 8- عبد الرزاق بن فراج الصاعدي، موت الألفاظ في العربية، ط09، الجامعة الإسلامية بالمدينة، 1418، 1419 هـ.
- 9- عبد القادر بن عمر البغدادي (ت: 1093 هـ)، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تح: عبد السلام محمد هارون، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1418 هـ / 1997 م.
- 10- قاسم الرومي الحنفي (ت: 978 هـ) أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، تح: قاسم بن عبد الله بن أمير علي، دار الكتب العلمية، 1424 - 2004.

- 11- مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي (ت: 817هـ)، القاموس المحيط، تح محمد نعيم العرقسوسي، ط8، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2005.
- 12- محمد بن أبي المحاسن أبو العلاء الحنفي (ت: بعد 563هـ)، مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني، تح: عبد الكريم مصطفى مدلج، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 2001.
- 13- محمد بن مكرم جمال الدين ابن منظور (ت: 711هـ)، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 1993/1414.
- 14- محمد رواس قلعجي و حامد صادق قنبيبي، معجم لغة الفقهاء، ط2، دار النفائس للطباعة ، 1408هـ/1988م.
- 15- مرتضى الزبيدي (ت 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- 16- نشوان بن سعيد الحميري (ت: 573هـ) ، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، تح : حسين بن عبد الله العمري ، دار الفكر المعاصر ، ط1 ، بيروت ، 1420 هـ - 1999 م .
- 17- أبو نصر إسماعيل الفارابي (ت: 393هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1407 هـ / 1987 م.
- 18- ياقوت الحموي (ت: 623هـ) ، معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، تح: إحسان عباس ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1993.

6 - المواقع الالكترونية:

- 1- الغمر بأبناء العمر، ج01، ص168، موقع الوراق، <http://www.alwaraq.net>، أطلع عليه 2020/07/20، سا 09:00
- 2- محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الهدى والنور، رقم 428، أنظر <https://alathar.net>، تمت زيارته في: 2020/ 08/01، 22:53 سا.
- 3- <https://www.hindawi.org/contributors>، أطلع عليه 2020/07/21، سا 11:00.
- 4- <https://www.islamweb.net>، أطلع عليه 2020/07/21، سا 12:00
- 5- <https://lalipost.wordpress.com>، 2020/07/11، 13:00

فهرس الموضوعات

- الشكر والعرفان:.....ص1
- الإهداء :.....ص2
- مقدمة :.....ص أ ق
- الفصل الأول : علم الحديث وعلم التاريخ (التعريف ، ونشأة المنهج).....ص26_81
- المبحث الأول : تعريف علم الحديث ومناهجه :.....ص27_47
- أولا – تعريف علم الحديثص27_43
- ثانيا – مناهج المحدثين نشأتها وأهمية دراستهاص34_47
- المبحث الثاني :تعريف علم التاريخ ومناهجه :.....ص48_65
- أولا – تعريف علم التاريخص48_52
- ثانيا – مناهج المؤرخين نشأتها وأهمية دراستهاص52_65
- المبحث الثالث:العلاقة بين علم الحديث وعلم التاريخ والتصنيف فيهما.ص66_81
- أولا – الفرق بين علم الحديث وعلم التاريخص66_72
- ثانيا – المحدثون المؤرخون ومصنفاتهمص72_81
- الفصل الثاني : مناهج نقد الرواية عند المحدثين والمؤرخين :.....ص82_143
- المبحث الأول : المعالم النقدية والمنهجية للمحدثين :.....ص83_109
- أولا – النقد في اصطلاحات المحدثين وأهم أصوله.....ص83_98
- ثانيا – آثار منهج المحدثين في الكتابة التاريخيةص99_109
- المبحث الثاني : المعالم النقدية والمنهجية للمؤرخين :.....ص110_143
- أولا – النقد في اصطلاحات المؤرخين وأهم أصوله.....ص110_133
- ثانيا – منهج الجرح والتعديل ومدى إمكانية تطبيق قواعد المحدثين على المرويات التاريخية.....ص133_143

فهرس الموضوعات

الفصل الثالث: نماذج تطبيقية في نقد الروايات الحديثية و التاريخية: ص144_177

المبحث الأول : نماذج من نقد علماء الحديث ص145_151

المبحث الثاني : نماذج من نقد علماء التاريخ ص151_168

المبحث الثالث : نماذج من نقد علماء اللغة و الفقه و الأصول ص169_177

خاتمة ص178_183

قائمة المصادر و المراجع ص184_205